تاريخ المسلمين في الصين

في الماضي والحاضر

بقلم: بدر الدين و. ل. حي
مستشار السفارة الصينية في جدة

ثمن النسخة
خمس ليرات لبنانية
او ما يعادلها

دار الانشاء للطباعة والنشر
طرابلس - لبنان - هاتف: ٦٢٤١٢٤



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والعاقبة
للمتقين والصلاة والسلام على
رسوله محمد وآله اجمعين
اركان الايمان اقرار

باللسان وتصديق بالقلب
وعمل بالاركان احكام ايمان
واعلم ان احكام الايمان
على ستة انواع خمسة في
الدنيا وواحد في الآخرة

صفحة من كتاب التوحيد كتبه المسلمون الصينيون
في القرون الماضية لتعليم ابنائهم في الكتاتيب والمساجد

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

تاريخ المسلمين في الصين

في الماضي والحاضر

بقلم: بدر الدين و. ل. حي
مستشار السفارة الصينية في جدة

دار الإنشاء للطباعة والنشر
طرابلس لبنان - هاتف: ٦٢٤١٢٤

الاهـــداء

الى رائد التضامن الاسلامي ورئيس المجلس الاعلى للتوعية الاسلامية .

الى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة .

الى الامين العام لوحدة الدول الاسلامـــية .

الى الجامعات والمعاهد والمنظمات الاسلامية في البلـــــدان الاسلامية وغير الاسلامية .

الى قادة الفكر الاسلامي في العالم المعاصر

اهدي هذا الكتاب..

بدر الدين و. ل. حي

رمضان ١٣٩٤ هـ ــ جدة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

كلمة تمهيدية

غادرت بلادي ـ الصين التي احتلها الشيوعيون الان ، في اول عهد شبابي ونزلت بالهند ودرست في الجامعة الملّيّة الاسلامية بدلهي بين اعوام ١٩٢٧ و ١٩٣٣ م فتعلمت فيها اللغة الاردية الى حد يمكنني من التحدث بها مع المثقفين المسلمين في الهند البريطانية آنذاك كما اتصلت بكبار قادة الفكر المسلمين فيها من امثال الدكاور محمد اقبال المعروف فيما بعد بشاعر الباكستان بعد تقسيم القارة الهندية ، والدكتور ذاكر حسين خان وقد كان يتولى رئاسة الجامعة الملّيّة الاسلامية ثم اصبح في ايام حياته الاخيرة رئيسا للجمهورية الهندية ومولانا السيد سليمان الندوي من كبار علماء المسلمين في الهند والذي ترك مؤلفات كثيرة باللغة الاردية واشهرها سيرة النبي (ص) في أربعة مجلدات ضخمة وسيرة الصدّيق وسيرة الفاروق وغيرها كما قابلت مولانا محمد علي ومولانا شوكت علي من قادة حركة الخلافة الشهيرة . وكذلك مولانا ابو الكلام آزاد واضع الترجمان للقرآن الكريم باللغة الاردية وغيرهم . ثم سافرت الى القاهرة والتحقت بكلية اللغة العربية بالازهر الشريف الذي كان على رئاسته الشيخ مصطفى المراغي . كما كنت احضر المحاضرات في كلية الاداب في جامعة الملك فؤاد الاول (جامعة القاهرة الان) وتعرفت على كبار الاساتذة فيها من امثال الدكتور عبد الوهاب عزام والاستاذ مصطفى صادق الرافعي والاخرين ، كما اتصلت بالشيخ رشيد رضا صاحب المنار والسيد محب

الدين الخطيب صاحب الفتح والشيخ محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الاسلامية في القاهرة •

وخلال السنوات بين ١٩٣٤ و ١٩٤١ م حيث كنت ادرس في القاهرة اخذت اتردد الى دار الكتب المصرية لاراجع المصادر العربية والافرنجية الموجودة فيها باحثا عن المعلومات المتعلقة بتاريخ الاسلام وتوسع انتشاره في الصين في القرون الغابرة المختلفة — اي من دخول الاسلام الصين بحرا وبرا عبر القرون الوسطى الى اوائل القرن الحاضر — العشرين الميلادي يعني الى الثورة الوطنية الكبرى التي ايقظت الصين النائمة من مضاجعها — من الحكم الامبراطوري الى الحكم الجمهوري في سنة ١٩١١ م وقد تم ذلك بقيادة الدكتور صون بات سن الملقب فيما بعد بأبي الجمهورية الصينية •

وكان من نتائج ابحاثي في القاهرة ظهور كتابي الاول باللغة العربية وقد نشر تحت عنوان : « العلاقات بين العرب والصين » من قبل مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة في ١٣٩٥ م وفي نفس الوقت تقريبا قمت بوضع ترجمة لهذا الكتاب باللغة الاردية فنشرت فيما بعد من قبل « انجمن ترقى اردو » بكراتشي، عاصمة الباكستان • وكان ذلك ممكنا بفضل الشيخ الوقور الدكتور عبد الحق سكرتير الانجمن المذكورة • وقد لقب بـ « بابا اردو » اي ابو الاردو ، لولوعه وفنائه في خدمة لغة الاردو — لغة المسلمين في الهند البريطانية وفي الباكستان اليوم وقام بتنميتها وتقويتها بكل القوة والوسيلة لكي تصل الى اعلى مستوى من النمو والازدهار •

ويشمل كتاب « العلاقات بين العرب والصين » ثمانية ابواب وكل باب يتعلق بموضوع خاص وهي :

١ ـ علاقة العرب بالصين قبل ظهور الاسلام •

٢ ـ العلاقة العلمية ـ اي معلومات العرب عن الصين ومعلومات الصين عن العرب في القرون الوسطى •

٣ ـ العلاقـة التجـارية •

٤ ـ العلاقـة السياسـية •

٥ ـ العلاقـة الدبلوماسـية •

٦ ـ العلاقـة الدينيـة •

٧ ـ العلاقـة الصناعية والفنية •

٨ ـ النتائج المترتبة على هذه العلاقات من تأثيرات متبادلة بين العرب والصين في الايام الماضية • والحقت بآخر الكتاب فهرست المراجـع المتضمنة المصادر العربية والافرنجية والفارسية والصينية •

وفي البحث عن العلاقة الدينية بين العرب والصين بذلت مجهـودات غير قليلة في تحقيق من كان المسلم (العربي) الاول الذي ذهب بالاسلام الى الصين لغرض التبليغ والدعوة كما سعيت الى الاهتداء الى اسناد تاريخية تثبت بصورة قاطعة من كان مؤسسا لجامع ذكرى النبي (ص) القائم الى الان في مدينة كانتون بجنوب الصين ومن مؤسسا لجـامع « سي ـ آن » احد الجامعين الاقدمين بعاصمة الصين القديمة • غير انني بالاسف الشديد لـم اهتد اليها ، لا من المصادر العربية ولا مـن المصادر الصينية او من المصادر الاسلامية الاخرى • فلذا اميل الى الاعتقاد بأن اسم مبلغ الاسلام الاول في الصين سيظل مجهولا الى ما شـاء الله • لان احدا من العلماء او المؤرخين ـ الصينيين او المستشرقين ـ لـم يستطع القول ان فلانا من الصحابة او من اتباع الصحابة قد ذهب الـى

الصين في سنة كذا وكذا ودعا الناس وحاكم الصين الى دين الاسلام •
كما لم يصل احد من الباحثين الى نتيجة قاطعة عن اسم المؤسس لاي من الجامعين الاقدمين : احدهما في مدينة كانتون والاخر في مدينة سي ـ آن عاصمة الصين القديمة ، علما انهما من اقدم الاثار الاسلامية الباقية الى الان في تلك البلاد النائية التي كرمها رسول الله (ص) بقوله الشهير : اطلبوا العلم ولو بالصين •

من المفهوم ان كتاب « العلاقات بين العرب والصين » ولو شمل قسما عن احوال المسلمين في الصين في الماضي • غير انه لا يمكن ان يعتبر كتابا عن تاريخ المسلمين في الصين بعلة ان محتوياته كانت مقتصرة على العلاقات بين العرب والصين قبل تأسيس الجمهورية الصينية كما انه لم يتضمن الاوضاع الاقتصادية والحركات السياسية التي قام بها المسلمون في شمال الصين الغربي وولاية يوننان في عصر اسرة تسونغ (المانشوري) ولا المشاكل التي واجهها المسلمون في سنكيانغ قبل الحكم الجمهوري في الصين بنصف قرن وبعده بنفس المدة تقريبا • واما اوضاع المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في الصين منذ تأسيس الجمهورية الصينية الى استيلاء الشيوعيين عليها فلم تذكر اصلا • فلذا ارى من واجبي ان اقوم بتتبع الابحاث ومراجعة المصادر التي كانت في متناول يدي لارتب كتابا عن تاريخ المسلمين في الصين من الايام القديمة الى الوقت الحاضر • لان احوال المسلمين في تلك البلاد الشاسعة في الماضي او في الحاضر ما زالت غير معروفة لدى الناطقين بالضاد الا اشخاص عديدة ممن يهتمون بانتشار الاسلام والشؤون الاسلامية في الاقطار الناشئة من العالم • ومن المتأكد ان المعلومات عن المسلمين في الصين عند هؤلاء القلائل بقيت ناقصة ومشوشة • واذا لم اقم بهذا الواجب اليوم اخشى ان يصبح المسلمون وقد عاشوا في الصين الام اكثر

من ١٣ قرنا ، نسيا منسيا في المستقبل القريب • عندئذ فلا يوجد لهم اي ذكر في ايام مستقبلة بين اواسط المسلمين في العالم وربما في تاريخ الاسلام نفسه •

بدافع هذا الشعور عقدت النية على تتبع الدراسة والبحث وكانت اقامتي في نيويورك بين اعوام ١٩٥٣ و ١٩٥٥ م ضمن الوفد الصيني لدى هيئة الامم المتحدة قد اتاحت لي الفرصة للقيام بالمزيد من الابحاث في جامعة كولومبيا • فهذا الكتاب الذي انا بصدد تقديمه الى القراء الكرام هو من نتائج المجهودات التي بذلتها خلال تلك المدة وبعدها من السنين• ويتضمن هذا الكتاب قسمين كبيرين : القسم الاول في بيان اوضاع المسلمين في الصين في الماضي ببعض التفاصيل الشاملة على احوالهم في العصور الامبراطورية المنصرمة بما فيها عصر تسنج (الماشوري) الذي كثرت فيها حركات العصيان والثورات السياسية التي ظهرت ليست في اواسط المسلمين فحسب بل بين مختلف الطبقات من الشعب من وجه عام•

واما القسم الثاني فيخص بأحوال المسلمين في الصين منذ تأسيس الجمهورية الصينية في سنة ١٩١١ م الى استيلاء الشيوعيين على الحكم في جميع انحاء الصين في ١٩٤٩ م • وعندئذ اضطرت حكومة الصين الوطنية الى الانسحاب الى جزيرة تايوان واتخذتها مقرا مؤقتا لها على امل ان تعود الى بر الصين الكبرى يوما من ايام المستقبل • غير ان المسلمين في الصين الام لم يخرج منهم مع حكومة الصين الوطنية الا عدد قليل لا يتعدى عدة الاف نسمة من مجموع عدد المسلمين البالغين حينذاك ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠ ثمانية واربعون مليون نسمة موزعين في المناطق المختلفة من انحاء الصين • واما الباقون فمضطرون الى التخلف والبقاء في اماكنهم يقاسون المظالم الشيوعية وينتظرون ما كتب عليهم من حكم الاقدار • واما اليوم

فلا نعرف ماذا يكون حالهم وماذا ينتظرهم في المستقبل ؟ هل انهم ينقذون من المخالب الشيوعية او لا ينقذون ؟ فالمشكلة هذه وما في حكمها من المتاعب المتشابهة هي من المشاكل العصيبة التي لا يمكن ان تحل الا بترسيخ الايمان بالله وتقوية العقائد الدينية الاسلامية في نفوس المسلمين انفسهم قبل كل شيء • ثم بالتعاون مع جميع المؤمنين بالاديان السماوية على نطاق عالمي مقرونا بمجهودات واعية لاثارة الوعي الاسلامي الصحيح بين ابناء المسلمين في كل مكان ونشر محاسن الاسلام بين ابناء غير المسلمين في البلدان المجاورة والشعوب الصديقة • كما يجب على كل مسلم ومسلمة ان يعتصم بحبل الله جميعا تحت لواء الاخوة الاسلامية والتضامن الاسلامي الذي وقف جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم يدعو الناس اليه بكل اخلاص وقوة وثبات وبعون الله •

ربنا يوفق جميع المسلمين في تحقيق التضامن الاسلامي والوحدة الاسلامية التي يحتاج اليها العالم الاسلامي اشد الاحتياج اليوم في محاربة التيارات الاباحية والالحادية واللادينية •

وفي هذا القسم يقرأ القراء الكرام بعض التفاصيل عن احوال المسلمين الذين كانوا يعيشون في الصين حياة مليئة بالامل والنشاط ويقظة تبشر بخير متوقع ونهضة مرجوة في الثلاثينات من القرن الحاضر في ظل حكومة الصين الوطنية التي كانت تدعو الى تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية في الدين والعقيدة والى المساواة في الحقوق والواجبات ورفاهية العيش للشعب • كما انها تشدد على احياء الثقافة الصينية التليدة والعناية بترويج مكارم الاخلاق والتمسك بالمقومات المعنوية والادبية والخلقية كقوة صامدة في مقاومة العدوان الخارجي ومكافحة العقائد الماركسية والشيوعية والعناصر الهدامة • غير ان استيلاء الشيوعيين على اراضي

الصين الأم في اخر سنة ١٩٤٩ م حرم المسلمين من فرصة تتيح لهم تحقيق آمالهم المرجـوة •

كما يقرأون فصلا مسهبا عن احوال المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم الشيوعي الغاشم وعن كفاحهم ضد المظالم الشيوعية التي يقاسونها في البر الصيني وراء الستار الحديدي الذي فرضه الشيوعيون على المسلمين لكبت معنوياتهم ومحو آثار اسلامية من انظارهم وعواطف دينية من قلوبهم ، بغية ادماجهم في الكوميونات الشيوعية ادماجا تاما من حيث الا يروا من الان فصاعدا بصيصا من نور الايمان والحرية والعدالة والكرامة الانسانية طيلة حياتهم • ربنا ارحمهم وانت خير الراحمين • وانقذهم من هذه الحياة التعسة • انك على كل شيء قديـر •

غير انني لم اذكر شيئا ضمن هذا الكتاب عن احوال المسلمين في جزيرة تايوان • لان ذلك يحتاج الى معالجة خاصة تتطلب معرفة الداء وتشخيص الدواء • وعلى كل حال ، لعلي اوفق في وضع رسالة موجزة في المستقبل القريب ابين فيها نقاط الضعف في المسلمين في تايوان اليوم • ثم احاول ان ابين الطرق التي اراها لازمة لمعالجة نقاط الضعف المزمنة بين المسلمين في تايوان اليوم وذلك لدعم مركزهم دينيا وثقافيا واجتماعيا حتى اصبحوا افرادا مفيدين في خدمة الدين الأسلامي في تلك الجزيرة الخلابة التي تزخر بالرخاء والازدهار ، مقرونة بنعمة الامن والاستقرار والتقدم نحو مستقبـل ازهـر •

اخيرا اود ان اعبر عن اخلص شكري واعمق امتناني للسادة الكرام الذين شجعوني وساعدوني في اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود في الصورة الحالية منهم صاحب المعالي الشيخ احمد صلاح جمجوم مـن

قادة الفكر والمعارف وهو الاول الذي قد اطلع على مسودة هذا الكتاب واستحسنه فنصحني بعمل بعض التعديلات وتقوية الاسلوب ثم طلب من سعادة الشيخ محسن باروم من المتحمسين للدعوة الاسلامية والمطلعين على تاريخ المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، بمساعدتي في تنقيح الكتاب وتقوية الاسلوب وتعديل ما ينبغي ان يعدل • فله اكبر فضل في هذا ويستحق اخلص تشكراتي وامتناني • كما اشكر شكرا قلبيا الدكتور ظافر الموصلي الذي كان المستشار القانوني لامين العاصمة في مكة المكرمة اشكره على مساعيه الجميلة التي بذلها في ترتيب طبع الكتاب والاشراف على قراءة البروفا وتصحيحه حتى يتم طبعه وخرج من المطبع بلبنان • وله الف الف شكر •

وفي النهاية ارجو من القراء الناطقين بالضاد ان يستقبلوا هذا الكتاب – مع وجود بعض النواقص والعيوب فيه بقدر او نوع من الاستحسان والتشجيع ، بغض النظر عن تلك العيوب التي تظهر امامهم لاني اول مسلم صيني يقدم على الكتابة باللغة العربية في موضوع اراه لازما علي ان اعرفه بالعالم العربي والعالم الاسلامي كمرجع يستند اليه في المستقبل •

جدة في يوم الجمعة ٢٥ رمضان ١٣٩٤ هـ

١١ تشرين الاول ١٩٧٤ م •

بدر الدين و• ل• حي

مستشار السفارة الصينية – جدة

الباب الاول

نبذة تاريخية

المسلمون في الصين
في الماضي والحاضر

الفصل الاول

قدوم المسلمين العرب ومستوطناتهم في الصين
في عصري (تانغ) و (سونغ)

من الوثائق التاريخية الاسلامية علمنا ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين قد قال في احد احاديثه المشهورة : « اطلبوا العلم ولو بالصين » .ويبنى على هذا الحديث الكريم ثلاثة امور تاريخية :

اولا : انه يثبت بهذا الحديث إن هناك نوعا من الصلات مباشرة كانت او غير مباشرةبين بلاد العرب والصين قبل ظهور الاسلام وبفضل وجود هذه الصلة اصبح اسم الصين معروفاعند العرب حين ظهر رسول الله (ص) وبدأ يبشر برسالته من قلب جزيرة العرب الى كافة الناس في العالم .

ثانيا : ان الصين كانت معروفة عند العرب بأنها بلاد عظيمة الشأن وعريقة في الحضارة والمدنية ولها آداب رفيعة وحكمة عالية . غير انها من الناحية الجغرافية بعيدة جدا عن جزيرة العرب التي فيها منزل الوحي ومهد الاسلام .

وثالثا : ان رسول الله (ص) كان يشجع بحديثه هذا ، الصحابة واتباع الصحابة ومن دخل في دين الاسلام الحنيف فيما بعد ، على مخاطرة انفسهم بالسفر الى بلاد نائية كالصين التي تقع في اقصى الشرق لاجل طلب العلم والبحث عن الحكمة .

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه في سنة ٦٣٢ م. فلم يمض على وفاته زمن طويل حتى قام المؤمنون بدين الله ، وقد كان منهم العرب والايرانيون يتوافدون الى الصين برا وبحرا . فكان من السابقين الذين وصلوا الصين مبعوثون من قبل الخلفاء الراشدين اولا ثم من الخلفاء الامويين والعباسيين . واما الذين وردوا لاحقين فكان اكثرهم من رجال الاعمال والتجارة . ثم الذين قدموا في عصر المغول (يوان) قد تشكلوا

من طبقات شتى وكان من بينهم الاداريون والعلماء والدعاة والمبشرون . فكان هؤلاء لم يأتوا لاجل طلب العلم او البحث عن الحكمة . بل انهم قد وجدوا امامهم فرصة نادرة للاشتراك في شؤون الدوائر الحكومية والصعود الى المراكز الحساسة في الحكومة وبسط نفوذهم سياسيا كان او دينا في انحاء الصين . فان حالتهم هذه قد اوجدت فيهم شعورا بحاجة ماسة الى تكوين مستوطنات ـ مجمعات خاصة للاقامة فيها بصفة دائمة في الموانيء التجارية على سواحل البحر ، وانشاء امكنة للسكن في عاصمة الصين التي كانت معروفة باسم (تشانغ ـ آن) في عصر «تانغ» وهي مدينة (سي ـ آن) الحالية في ولاية شنى بشمال الصين .

ومن الطبيعي ان العرب والايرانيين الذين سافروا الى الصين بحرا عن طريق الهند وجاوا قد استوطنوا اولا في (خانفوا) وهي مدينة (كانتون) الحالية بجنوب الصين . ثم توغلوا من هناك الى الداخل حتى وصلوا (تشوان تشو) و (يانغ تشو) و (هانغ تشو) بالموانيء الداخلية على ضفة نهر اليانتسي . واما الذين قطعوا الجبال والاودية ووصلوا الصين عن طريق آسيا الوسطى وما يسمى بتركستان اليوم ، فقد القوا عصاهم في (تشانغ ـ آن) عاصمة الصين القديمة واتخذوا فيها مقاما طيبا .

واما فيما يتعلق بوصول المسلمين العرب الى الصين فقد سجل تاريخ تانغ القديم بعثات عديدة وردت من بلاد (التاشى) لتقديم الهدايا والاتاوات ولاغراض اخرى (١) . فمن المسجل في تاريخ الصين ان اول مبعوث عربي ورد الصين كان في السنة الثانية من (يوانخوي) الموافق ٦٥١ م وفقا للتحقيقات التي قام بها المؤرخ الشهير جين يوان وجانغ شنلانغ من اساتذة الجامعة الكاثوليكية ببكين ومارشال برو مهال والاستاذ اسحاق ماسون من المستشرقين . فكان هؤلاء الباحثون قد وصلوا الى هذه النتيجة استنادا الى فصل في بيان عن التاشى في تاريخ تانغ القديم وفي كتاب آخر يسمى (جيفويوانكوى) . لقد كان كل من هذين الكتابين يؤكد وصول مبعوث عربي الى الصين بالكلمات التالية :

.. « في السنة الثانية من (يوانخوى) في عهد حكم الامبراطور (تانغ كاوتسونغ) قد زار بلاد الصين مبعوث من بلاد التاشى وحمل معه

(١) كلمة (التاشى) في تاريخ تانغ القديم والجديد هي محرفة من كلمة (تازى) الفارسية والمراد منها العرب .

الهدايا الثمينه للامبراطور . لقد اخبر المبعوث العربي امبراطور الصين بأن دولته قد اسست منذ ٣٤ سنة فقط وان امير المؤمنين الثالث يجلس على كرسي الحكم الان . . »

ثم تواردت البعثات العربية على الصين واحدة بعد اخرى حتى ذكر تاريخ الصين ٢٨ بعثة بين ٦٥١ و ٨٠٠ م ومنها ١٦ منسوبة الى (التاشى) (اللابسين الملابس البيضاء) ومنها ١٢ مسجلة باسم (التاشى اللابسين الملابس السوداء) . فالمراد من الفئة الاولى هم الامويون ومن الفئة الثانية هم العباسيون الذين يلبسون الملابس السوداء تمييزا عن الحكام الامويين بدمشق . حدادا على مقتل حسن وحسين .

فالنظرة الخاطفة على هذه البعثات تكشف لنا انها قد وردت لاغراض شتى . منها سياسية للاستطلاع وجمع المعلومات . ومنها تجارية للاتصال بالاسواق الصينية وعرض المنتوجات العربية على التجار الصينيين. وكان من المحتمل ان بعض البعثات التجارية قد وردت مع بعض بعثات رسمية او في جماعات خاصة . وبهذا الطريق اخذت البعثات تزداد بمرور السنين من بلاد العرب الى الصين اذ وجدوا ان الطريق مأمون والسفر منيسر بركوب البحر . وعلى اثر ذلك كثر عدد المسلمين العرب والايرانيين في الموانيء الجنوبية من الصين بمرور الايام وطول اقامتهم فيها . فمن الطبيعي والحالة هذه . ان مراكزهم اخذت تقوى رويدا اولا في مدينة (خانفو) في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي وفي عاصمة الصين اي مدينة (تشانغ آن) حينذاك. ثم انتشروا في القرون المتوالية الى مدن اخرى مثل (تسوان ــ تشو) و (يانغ تشو) و (هانغ تشو) واستوطنوا فيها بصفة دائمة لاغراض تجارية . فلذا نجد في هذه الموانيء محلات السكنى الخاصة بهم والتي يرجع تاريخها الى القرن التاسع الميلادي .

مستوطنة عربية في (خانفو) :

ومما لا شك فيه ان (خانفو) كما سماها العرب بهذا الاسم هي احدى المدن الصينية التي وجدت فيها جماعة كبيرة من جاليات المسلمين المكونة من التجار العرب والايرانيين وعائلاتهم منذ القرن الثامن الميلادي واليك الشواهد الاتية :

بناء على ما جاء في كتاب « سلسلة التواريخ » الذي وقع في جزئين واولهما بقلم سليمان التاجر السيرافي الذي سافر الى الصين غير مرة في

النصف الاول من القرن التاسع الميلادي لاغراض تجارية والجزء الثاني كان بقلم زميله ابي زيد من اهل البصرة والذي جمع فيه معلومات قيمة من شهود العيان عن تجارة العرب مع الصين وعن حياة المسلمين في هذه المدينة الصينية في القرن التاسع الميلادي . ويبدو ان عددا كبيرا من تجار العرب والمسلمين الايرانيين قد استوطنوا فيها وبهذا الصدد قال سليمان التاجر السيرافي : « وجد بها (اي خانفوا) كثير من المسلمين يولى عليهم القاضي منهم مأمورا من صاحب الصين . فاذا كان العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين » (١) .

من هذه الكلمات نعرف ان للجاليات المسلمة بها حياة منظمة دينية كانت ام اجتماعية وكان عليهم قاض يتولى بأمورهم في تلك الايام الغــــابرة .

ثم ان المسلمين في (خانفوا) في عصر (سونغ) التي كانت تحكم الصين من ٩٥٠م الى ١٢٧٧م قد اتخذوا غربا من هذه المدينة محلة خاصة بهم وكانت معروفة فيما بعد باسم (فانغ قنغ) اي محلة الاجانب واحيانا سماها الصينيون بسوق الاجانب . وفيها شيخ المحلة (الحارة) ينتخب من قبل المسلمين ويتولى الامور باسم الملك . وقد كان مختارا من قبل العرب واحيانا من الايرانيين . وكان من مهام وظائفه النظر في امور التجار المسلمين العرب والايرانيين بالنسبة لاحكام الحكومة المحلية وبالاخص فيما يتعلق بالخراج والاتاوات التي كان يجب على التجار الاجانب ان يدفعوها السلطة الصينية وكان لشيخ المحلة لباس خاص رسمي وهو عبارة عن رداء فضفاض على الطراز الصيني كالذي يلبسه الموظفون الصينيون . وكان له ادارة خاصة تسمى مكتب شيخ الاجانب (٢) .

ومن المباني التاريخية التي تشهد بوجود جاليات العرب والايرانيين بخانفوا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادية ، مسجد قديم وهو لا يزال باقيا الى اليوم في مدينة (كانتون) الحاضرة ومعروفا بجامع الذكرى للنبي (ص) ومع ان تاريخ تأسيسه ليس مؤكد بالضبط غير انه من المعتقد ان هذا الجامع قد تم بناؤه في القرن الثامن الميلادي قريبا من التاريخ الذي بني فيه الجامع القديم الثاني بمدينة (تشانغ ـ آن) ويرجع تاريخ بنائه الى عصر تانــغ .

---

(١) سلسلة التواريخ : ج ١ ـ ص ١٤ .

(٢) مجموع الراجع لتاريخ المسلمين في الصين للاستاذ باي شو ـ اي : ص ١٥١ .



جامع المنارة المعروف بجامع ذكرى النبي (ص) في مدينة كانتون وهو احد الجامعين الاقدمين في الصين ، يرجع بناؤه الى القرن الثامن الميلادي .

لقد ذكر في تذكرة (كراتشو) ما يلي عن جامع الذكرى للنبي (ص) في (كانتون) : ان جامع الذكرى للنبي (ص) قد بني على ايدي الاجانب في عصر تانغ . ثم اعيد البناء للمرة الثانية في عصر منغ (١٣٦٨ — ١٦٤٢ م).

جالية اسلامية في تشوان تشو :

في مدينة (تشوان تشو) ايضا جالية اسلامية مكونة من العرب والإيرانيين الذين كانوا يسكنون منذ عصر (سونغ) في محلة خاصة بهم تقع على جانب النهر بجنوب المدينة . ثم اتسعت من الخارج الى داخل المدينة بسبب زيادة كثيرة من المسلمين المستوطنين فيها . وفي هذه المدينة يوجد مسجد عظيم الشأن قديم البناء مشهور بالجامع الطاهر وهو من الابنية الاسلامية التاريخية التي تم انشاؤها في سنة ١١٢١ م .

كما يوجد في هذا الجامع نصب حجري محفورة فيه كتابات صينية تشهد بأن بناء الجامع قد تم على يد تاجر عربي كبير يدعى عجيب مظهر الدين الذي قدم هذه المدينة في السنة سالفة الذكر . فاشترى قطعة من

الارض بجنوب المدينة وانشأ عليها جامعا على حسابه الخاص ثم خصص له اوقافا عقارية لانفاق ريعها على من يقوم بأمور الجامع من رجال الدين .

لقد زار هذا الجامع ابن بطوطة الرحالة المغربي الشهير الذي وصل الصين في جولاته العالمية في اوائل القرن الرابع عشر الميلادي اذ كان حكم اسرة (يوان) اي المغول مائلا الى الزوال . وفي هذه المدينة لقي ابن بطوطة عددا كبيرا من علماء الاسلام وكان من بينهم القاضي وشيخ الاسلام وكبار التجار العرب والايرانيين وقد ذكر منهم خاصة شرف الدين التبريزي وبرهان الدين الكازروني .

جالية اسلامية في هانغ تشو :

بالرغم من ان تاريخ اسرة (سونغ) لم يذكر المواقع التي سكنت بها الجالية العربية في مدينة (هانغ تشو) ، فان الكتاب من عصر المغول (١٢٧٧ ـ ١٣٦٧ م) قد دونوا في مؤلفاتهم ان محلة السكنى للمسلمين في (هانغ تشو) حينذاك كانت بداخل باب السلام من المدينة . ومن المعتقد ان محلة السكنى الاصلية لجاليات المسلمين منذ ايام ورودهم كانت قريبة من هذا المكان ثم توسعت وازدهرت حتى تمكنوا من تكوين منظمة اجتماعية خاصة بهم فبنوا المساجد والمدارس وكونوا جماعة كبيرة ذات نفوذ في المجتمع الصيني . لقد زار ابن بطوطة هذه المدنة فوصف حالة المسلمين فيها بالكلمات التالية :

.. « ان الخنساء (وهي هانغ تشو الحاضرة) مكونة من ست مدن تحيط احداها بالاخرى والملك يقيم داخل المدينة السادسة . واما المسلمون فيسكنون في المدينة الثالثة . ومدينتهم جميلة . لهم فيها اسواق مرتبة على شاكلة الاسواق التي نراها في جميع البلدان الاسلامية . ولهم الامام والمؤذن . لقد سمعنا الاذان لصلاة الظهر حين كنت زائرا لاحد التجار العرب في السوق ..

.. « قد نزلت عند عثمان بن العفان المصري . انه تاجر ثري وقد بنى جامعا وزاوية واوقف عليهما العقارات . واما المسلمون فعددهم كبير في المدينة . يوما دعانا امير المدينة الى وليمة في بيته فأتى بطباخ مسلم اذ هو يذبح الذبائح على الطريقة الاسلامية . فانه قد بعث ابنه لاصطحابنا في النزهة بالخليج (بحيرة هانغ تشو المشهورة) . فركبنا زورقا وركب ابن الامير زورقا اخر عليه اهل الطرب والمغنون . انهم قد غنوا الاغاني العربية والفارسية والصينية . وكان ابن الامر رجلا معجبا بالغناء الفارسي .

كما كانوا قد غنوا نوعا من الاغاني الفارسية امرهم بتكرارها واعادتها مرة بعد مرة حتى حفظت عن ظهر القلب ما يلي : —

تا دل بمحـــنت داديـــم	در بحر فكـــر افتـــاديـــم
جون در نمـاز ايستـــاديـــم	قوى در محـراب اندريـــم

ان ما حفظه ابن بطوطة كما ذكر في رحلته ، كان محرفا . والصحيح هو كمـا يلي : —

. .. « تا دل بمهرت داده ام در بحر فكر انتاده ام جون در نماز ايستاده ام كوى بمحراب اندرى ... » ومعناها بالعربية يكون بما يلي :

عندما نـذرت لـك قلبي حبـا	وقعـت غريقـا في بحـر الافكار
واذا وقفـت للصـلاة قائمـا	كأني اراك مشهـودا بالمحـراب

ان الوصف الذي جاء في بيان ابن بطوطة عن حالة الجاليات الاسلامية في هانغ تشو في القرن الرابع عشر الميلادي لا يعطينا فحسب صورة صادقة عن حالة المسلمين فيها وعن نظمهم الاجتماعية ونفوذهم في اسواق المدينة . بل يكشف لنا تأثيرهم الثقافي بين ابناء المدينة . ومن امثال ذلك كـان هناك اهل الطرب يغنون الاغاني العربية والفارسية . فالغناء الفارسي الذي اورده ابن بطوطة في كتابه كان من احدى القصائد المشهورة للشيخ سعدي الشيرازي الذي عاش الى اخر القرن الثالث عشر الميلادي واشتهر بأنـه من اكابر العلماء الايرانيين الذين دعوا الناس الى التمسك بمكارم الاخلاق وقيـم الدين .

جالية اسلامية في (يانغ تشو) :

وجدت جالية اسلامية في ميناء اخر ايضا يسمى (يانغ تشو) في القرن الثامن الميلادي . وبهذا الصدد يقول تاريخ تانغ القديم : « حينمـا قامت الجيوش الصينية التي قادها احد الثوار المسمى (تيان زين كونغ) بنهب مدينة (يانغ تشو) في السنة الاولى من جكم الامبراطور (سوتشونج) — ٧٦٠ م — وانزلوا بالاهالي التشريد والتقتيل ، كان من بين الضحايا الذين هلكوا في هذه النكبة الاف من التجار العرب والايرانيين ..» (١)

---

(١) باي شو — اي : ص ١٣٢

من هنا نعرف ان جماعة كبيرة من جاليات المسلمين قد استوطنت في هذا الميناء الصينى في القرن الثامن الميلادي وقد بلغ عددهم عدة الاف نسمة واكثرهم قد هلكوا في هذه النكبة الطارئة .

جاليات المسلمين في (تشانغ ــ آن) :

وعلاوة على هذه المستوطنات للجاليات الاسلامية التي ذكرناها آنفا ، نجد في (تشانغ ــ آن) عاصمة الصين القديمة عدة الاف من المسلمين ايضا . وبهذا الصدد يذكر تاريخ الصين القديم انه في سنة ٧٥٥ ــ ٧٥٧ م حينما قام (آنلوشان) الثائر بالحركة العصيانية على أسرة (تانغ) ، بعث الامبراطور (تانغ سوتشونج) الذي خلف اباه في سنة ٧٥٦ م على الحكم ، برسول الى الولاة العرب الذين كانوا يتولون الامور نيابة عن الخليفة في آسيا الوسطى التي كانت ضمن ولاية خراسان ، ليستنجد بهم بالمعونة العسكرية . فأرسلوا الى امبراطور الصين في تشانغ ــ آن وحدة عسكرية مكونة من اربعة الاف جندي من جيوش المسلمين المختلطين من الاتراك والايرانيين لقمع الثورة في الصين . فلما انتهوا من مهمتهم وردوا الامن الى نصابه في شمال الصين (٧٥٧ م) ، اذن الامبراطور لهم بالبقاء في تشانغ ــ آن والاستيطان فيها . (١)

فكان هؤلاء الرجال من جيوش المسلمين قد تزوجوا النساء الصينيات وخلفوا منهم . فمن ذرياتهم كونت نواة قوية للسكان المسلمين في شمال الصين الغربي وانتشروا فيما بعد في انحاء هذه المنطقة من البلاد .

في عاصمة الصين القديمة يوجد مسجد قديم بني في وقت قريب من التاريخ الذي انشيء فيه مسجد الذكرى للنبي (ص) بكانتون . لقد تحدثت تذكرة مدينة (تشانغ ــ آن) عن انشاء هذا المسجد في سنة ٦٨٤ م اثناء الحكم الوجيز لامبراطور (تونج تشونج) على الصين .

غير ان كتابة اللوحة الصينية التي وجدت محفورة في اقدم شاهد حجري منصوب في المسجد تقول ان تأسيس هذا المسجد قد وقع في السنة الاولى من (تيان ــ باو) اي في ٧٤٢ م . وهذا التاريخ لا يزال من الامر المتنازع فيه بين المستشرقين كأمثال مارشال بروم خال وغيره (٢) ومهما يكن

---

(١) راجع برتشانيدر : ص ٩

(٢) مارشال بروم هال خصص في كتابه « الاسلام في الصين » بحثا طويلا فيما يتعلق بأصل هذه الكتابة الصينية الاسلامية : ص ٨٣ ــ ٩٠.

من الامر فان الناس لا يستطيعون ان ينكروا وجود الجالية الاسلامية في هذه العاصمة القديمة في القرن الثامن الميلادي . بيد ان حياة المسلمين ونشاطهم فيها ظلت اقل معرفة عند الناس حتى في عصر سونغ وذلك لانها مدينة بداخل البلاد بعيدة عن الموانيء الساحلية واتصالها مع الخارج لم يكن ميسورا في ذلك الوقت .

نشاط المسلمين التجاري في الموانيء الصينية في عصري تانغ وسونغ

كان التجارُ المسلمون ومعظمهم من العرب والايرانيين في الصين في عصري تانغ وسونغ قد سيطروا على جانب عظيم من التجارة البحرية بين الموانيء الصينية والخليج العربي ــ الفارسي قديما ــ فكسبوا اموالا طائلة عن طريق التجارة . وكان من اشهر العرب الذين اقاموا مدة طويلة في الصين ايام حكم اسرة سونغ تاجر يسمى ابو علي ابراهيم المشهور (بالصيني) الذي ذكره ياقوت في كتابه معجم البلدان وابو السوقين . وقد لقب بهذا اللقب لانه كان يشغل على اغلب الظن منصب الرئيس او الشيخ للسوقين اللذين سيطر عليهما المسلمون . وكان احد هذين السوقين في مدينة (كانتون) والاخر في مدينة (تشنوان تشو) . فاصبح ابو السوقين هذا فيما بعد مديرا عاما لادارة جديدة احدثت لمقتضى الحال ولم تكن موجودة من قبل في الصين . فسميت هذه الادارة الجديدة « بادارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية » (زى به شيه ــ) التي كانت تتضمن المسؤولية عن الشؤون الجمركية والمراقبة على الواردات الى الصين .

واما السلع التجارية التي كان التجار العرب والايرانيون يشتغلون فيها بين الصين وبلاد العرب فقد كانت تشمل ٨٠ نوعا من التوابل و ٣٧ نوعا من العقاقير والنباتات الطبية والصمغ العربي والايراني والكافير والكندر وانواع من الاحجار الكريمة ومن اللاليء والعاج وعين الهرة والاصداف والمطرزات الحريرية والاقمشة وغيرها . لقد رتب الاستاذ باي شواي ، قائمة طويلة من البضائع التي كان التجار العرب يشتغلون فيها ويبيعونها في اسواق الصين .

واما فيما يتعلق بتجارة العرب في الصين فقد ذكر (جويوكوا) في كتابه (جوفانجي) اي تذكرة عن البلاد الاجنبية وهو كتاب قد تم تاليفه في القرن الثالث عشر الميلادي : ٣٣ نوعا من السلع التى استوردها العرب من الموانيء الواقعة على سواحل البحر الاحمر والخليج العربى ومن

الاسكندرية والبصرة وبغداد وزنجبار ــ الى الصين . وكان من بين البضائع المشهورة الكافور والكندر وماء الورد والقرنفل والمرة والصندلان والاصطرك السائلة . فظهرت من هذه التجارة البحرية بين الصين والعرب نتائج ذات اهمية كبرى واثر بعيد المدى . وذلك لانها قد اثرت في احداث ادارة الجمارك التي لم تكن موجودة في الصين . فأسست هذه الادارة اولا في مدينة كانتون ثم في المدن الاخرى مثل تشوان تشو ويانغ نشو وهانغ تشو بغية الرقابة على الملاحة والتجارة البحرية التي استمرت فيما بعد قرونا ونتيجة لذلك قد احدث نظام جديد يسمى (زى به شيه) اي ادارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية في الموانيء الصينية وكانت وظيفتها هي التفتيش على السفن القادمة والذاهبة وجباية الرسوم على البضائع الواردة على اختلاف انواعها بمقدار يتراوح بين ١٠ و ٢٥٪ حسب اصناف البضائع ودرجاتها من قيمة البضاعة . وكانت العادة ان يتولى هذه الوظيفة الهامة رجل مسلم من العرب او الايرانيين له معرفة تامة بأوضاع التجارة البحرية وخفاياها وله صلة وثيقة بالتجار العرب والايرانيين . وكان اشهر مدير لهذه الوظيفة الحساسة هو الرجل المشهور بأبي السوقين الذي تكلم عنه صاحب تذكرة البلاد الاجنبية بالاحترام والتقدير . كما قام بدراسة خاصة عالم ياباني يدعى جيتو زوكواهارا عن هذا المسلم الكبير الذي شغل منصب المدير لادارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية في السنوات الاخيرة من عصر اسرة سونغ . وكان من نتائج دراسته الدقيقة نشر كتاب قيم بعنوان « ابو السوقين » باللغة اليابانية .

واما النتيجة الثانية الناجمة عن تجارة العرب والايرانيين في الصين فكانت زيادة مضطردة في الايرادات الجمركية لخزانة الدولة الصينية. وبناء على ما ورد في تاريخ اسرة سونغ نعرف ان امبراطور سونغ تاي تونغ (٩٧٦ ــ ٩٩٧ م) قد امر بتأسيس مكتب « التحويل » لاغراض بيع البضائع التي جمعت كرسوم جمركية من التجار المسلمين الى الجماهير بالنقد . فكان الايراد النقدي الذي حصل من هذا الاجراء قد بلغ ثلاثين سلكا من الفلوس (١) . واما في السنة التالية فقد بلغ خمسين الف سلكا . ثم ازداد سنة بعد اخرى حتى وصل هذا الايراد بعد مرور السنة التاسعة من انشاء المكتب ، الى مائة الف سلك . ثم بلغ الى مائتي الف سلك في ١١٦٢ م

---

(١) الفلوس الصيني المستعمل في عصر سونغ كان مثقوب الوسط ويربط بخيط حريري وما اشبه ذلك في الاسلاك . وسلك واحد عبارة عن الف فلس كامل .

اذ كان مجموع الايراد لخزانة الدولة الصينية في نفس السنة لم يتجاوز ٦٢ر٧٠٠ر٠٠٠ سلكا .

فكانت النتيجة الثالثة هي استخدام بعض مشتقات النباتات العربية والايرانية في الطب الصيني الذي كان يعتمد عموما على الادوية النباتية والعصير المستخلص منها . ومن المعلوم ان ما اخذه الاطباء الصينيون من العرب من انواع الادوية في الطبابة والمعالجة كان شاملا على ٨ انواع من حبات الكندر و ٣ انواع من سفوف الكندر ونوع واحد من حبات الصمغ و ٥ انواع من حبات الصندلان ونوع واحد من شربة الصندلان و ٥ انواع من حبات المرة و ٢ نوعين من سفوفها ونوعين من حبات مصنوعة من عصارة اللبان ونوع واحد من حبات (حيهان) .

ان صيدلية (تايبينغ) الخيرية في عصر سونغ التي كانت تحت اشراف الحكومة ، كانت تستخدم النباتات والاعشاب الطبية التي استوردها العرب وغيرهم من التجار في تحضير الادوية لمعالجة الامراض المختلفة . واما الوصف التفصيلي للتشخيصات العلاجية التي تستخدم فيها النباتات الطبية العربية وعصاراتها فيوجد في كتاب الاستاذ باي شو ـ اي تحت عنوان « جامع المراجع لتاريخ المسلمين في الصين » في الصفحات بين ١٩٠ و ١٩٤ .

الفصل الثاني

المسلمون في عصر (يوان) المغول (١٢٧٧ — ١٣٦٧ م)

في الفصل الاول من هذا الكتاب تكلمنا بالاختصار عن دخول الاسلام الى الصين وعن مستوطنات المسلمين واحوالهم المزدهرة في الموانيء الصينية حيث انهم قد وجدوا مقامات طيبة لاقامتهم الدائمة وكان ذلك للاستمرار في الاتجار بين الصين والخليج العربي (الفارسي سابقا) . فكسبوا اموالا طائلة وقويت مراكزهم فيها حتى اصبحوا من ذوي النفوذ في بعض الامور وعلى الاخص في الامور التي تتعلق بادارات الجمارك بالموانيء الصينية من كانتون الى هانغ تشو .

واما الان فننظر الى احوال المسلمين في عصر المغول (اسرة يوان) كما سماه المؤرخون الصينيون .

مع فتوحات المغول وتأسيس اسرة (يوان) في الصين في سنة ١٢٧٧ م اخذ المسلمون ينهضون بسرعة كبيرة وينشرون نفوذهم في امور الصين الداخلية ويؤثرون فيها تأثيرا مباشرا وكان ذلك عن طريق اضافة عناصر جديدة الى جاليات العرب والايرانيين الذين استوطنوا في الصين من قبل حتى نهض المسلمون بمراكزهم في الصين الى درجة ممتازة ايام حكم المغول . فقوي تأثيرهم فيها وخصوصا فيما يتعلق بسرعة زيادة السكان المسلمين ونفوذهم في انحاء البلاد . كانت هناك عوامل عديدة تساعد على سرعة تصاعد نفوذ المسلمين واثرهم في الصين في عصر المغول .

وكان اهم هذه العوامل هو ان كثيرا من ابناء المسلمين من اصل عربي ومن الايرانيين قد هاجروا الى آسيا الوسطى وبلاد التركستان واتخذوها اوطانا منذ القرون الماضية فدخل بعضهم في خدمة الجيش المغولي واشتغلوا في المناصب المختلفة من وظيفة جندي بسيط الى كبار الضباط والقواد تحت اوامر جنكيز خان وخلفائه . لقد حارب هؤلاء المسلمون مع الجيش المغولي ، امراء الخبطان وحكام اسرة سونغ في شمال الصين وغربها . ثم نقلوا في الصين كالموظفين في الحكومة المغولية فاظهروا كفاءتهم في ادارة

الامور ثم ارتقوا الى مناصب رؤساء الدواوين في العاصمة او في الولايات التابعة للامبراطورية المغولية الواسعة التي اعلن تأسيسها في سنة ١٢٧٧ م وكان ذلك بمناداة قبلاي خان اول امبراطور للمغول على الصين ملقبا ب (يوان سي تسو) .

ولاعطاء صورة واضحة لنفوذ المسلمين في الصين في هذا العصر نذكر مثلا شخصية السيد الاجل شمس الدين عمر .

السيد الاجل شمس الدين عمـر :

جاء في تاريخ (يوان) المغول (ج ١٢٥) ان السيد الاجل شمس الدين عمر كان مسلما سيدا من قربات النبي (ص) وكان مسقط راسه مدينة بخاري في آسيا الوسطى . وقد دخل في خدمة (تاي تسونغ) اولا يعني اوفتاي خان (١٢٢٩ ــ ١٢٥٠ م) . فامتاز بالخدمة كضابط في الجيش . فرفع الى منصب الحاكم العسكري في مدينتي (تاي يوان) و (بنيانغ) . ثم نقل الى منصب القاضي في مدينة (ينينغ) وهي مدينة بكين اليوم . ثم عين حاكما عليها . ولما بعث بجيش الى ولاية (سيتشوان) بجنوب الصـين لقمع الثورة فيها عين رئيسا لفرقة التموين العسكري فقام بخدمـة ممتازة خلال تلك المـدة .

ولما نودي بقبلاي خان امبراطورا على الصين (١٢٧١ ــ ١٢٩٤ م) واختار بكين عاصمة لامبراطوريته الواسعة ، عين السيد الاجل مديرا سياسيا في البلاط . ففي سنة ١٢٧٢ م ارسل الى ولاية سيتشوان كحاكم عام عليها . ثم اصبح في سنة ١٢٧٤ م حاكما عاما على ولاية يوننان .

كان السكان في تلك الولاية النائية كما ذكر في تاريخ (يوان) في حالة بربرية لا يعرفون الاداب والاخلاق ولم يكن عندهم نظام للتعليم والتهذيب . فكان رجال الولاية ونساؤها يختلطون اختلاطا حرا اباحيا ويحرقون موتاهم . وكانت القراءة والكتابة معدومتين عندهم . فالسيد الاجل هو الـذي ادخل الاصلاحـــات في الحياة الاجتماعية وعاداتها وعلم الاهالي الاداب والاخلاق والسلوك ووضع الترتيبات للزواج بواسطة الوسيط بين الطرفـين ثم وضع نظاما يقضي باستعمال التابوت في دفن الموتى . وبعد هذا وذاك لقد وضع مشروعا للري وعلم الاهالي على الحرث والزراعة . (لقد كتب المستشرق الفرنسي الشهير « ويسير » فصلا خاصا في كتابه « دراسة عن المسلمين في الصين » عن السيد الاجل وعمله في نظام الري في يوننان) .

ثم شيد معبدا لاتباع الكانفوشيوس وبنى المدارس وشجع نشر الثقافة وعمل على تهذيب الاخلاق وتحسين السلوك في الحياة الاجتماعية في يونان . وبعبارة اخرى فقد هذب السكان واصلح المجتمعات في ولاية يونان .

وبقي السيد الاجل في الحكم على ولاية يونان ست سنوات وتوفي عن ٦٩ سنة من العمر . وكانت وفاته قد احدثت حزنا عاما بين السكان وأسفا عميقا في انحاء الولاية وفي اوساط البلاط المغولي .

لقد ترك السيد الاجل خمسة ابناء وهم ناصر الدين وحسن الذي كان يتولى منصب المفتش في ولاية كانتويغ وحسين وشمس الدين عمر (الثاني) وكان رئيسا للشرطة في ولاية فوكين ومسعود وكان مستشارا في المجلس التنفيذي لحكومة ولاية يونان .

وعلاوة على السيد الاجل وابنائه الخمسة الذين تولوا مناصب عالية في الامبراطورية المغولية في الصين ، كان هناك عدد كبير من المسلمين قد تولوا المناصب الحساسة في الحكومة المغولية وفيما يلي قائمة للمناصب التي تولاها المسلمون في الامبراطورية المغولية :

وهنا لا بد ان نذكر ان حكومة الامبراطورية المغولية في الصين كانت مكونة من ست وزارات هي : وزارة الامور المدنية ووزارة المالية والسكان ووزارة التعليم ووزارة الحرب ووزارة القضاء ووزارة الصناعة والتجارة . وفي كل وزارة ست ادارات او اقل حسب متطلبات الوزارة المختصة واحتياجاتها . وكان من العادة ان يشغل المسلمون مناصب الكتاب في كل ادارة من ادارات الوزارات .

واما في الخدمات العسكرية فكان المسلمون يشغلون منصب داروغة خوجة يعني قائد لعشرة الاف بحرية وقائد لعشرة الاف مشاة ونائب قائد لوحدة عسكرية مؤلفة من عشرة الاف جندي ومستشار عسكري ومدعي عام عسكري ومفتش عام عسكري .

كما كان في سكرتيرية البلاط المركزية ١٤ مديرا عاماً و ١٤ رئيسا للشعبات و ٩ موظفين في الجناح الايمن من القصر وخمسة موظفين في الجناح الايسر من المسلمين .

كان في ادارة التفتيش العامة لولايتي كيانسو وجيكيانغ مفتشان مسلمان ومفتش مسلم اخر في ولاية شنسي .

في مركز الشرطة بتادو (العاصمة الكبيرة) مسلم واحد يشغل منصب المدير وفي مركز الشرطة بشاندو (العاصمة العليا) ثلاثة مسلمين في مناصب المدراء .

ووفقا لقائمة المناصب الرسمية في الامبراطورية المغولية (اسرة يوان) نجد الاسماء الاتية من المسلمين في المناصب العالية :

الاســـم	المنصب الرسمي	وظيفة قــام بها
حسن	يوجينغ	المساعد الاول لرئيس الوزراء
دولت شاه	تسوجينغ	المساعد الثاني لرئيس الوزراء
بدر الدين	تسوجينغ	المساعد الثاني لرئيس الوزراء
ظهير الدين	تسوجينغ	المساعد الثاني لرئيس الوزراء
السيد الاجـل	بينغ جانج	مستشار سياسي
احمد	بينغ جانج	مستشار سياسي
عــلي	بينغ جانج	مستشار سياسي
سيف الدين	بينغ جانج	مستشار سياسي
بيــان	بينغ جانج	مستشار سياسي
علاء الدين	بينغ جانج	مستشار سياسي
فخر الدين	بينغ جانج	مستشار سياسي
عبيد الله	بينغ جانج	مستشار سياسي
بيان جبر	بينغ جانج	مستشار سياسي
قطب الدين	بينغ جانج	معاون مستشار سياسي
شمس الدين	....	مستشار الدولة

وبناء على القائمة التي اعدها الاستاذ ووتينغ هسيوه (**Prof. Wu Ting-Hsiueh**) كان عدد المسلمين الذين تولوا المناصب العالية في الامبراطورية المغولية قد وصل الى ثلاثين شخصا ، كما ذكرت ادارات المنطقة التي كانت تحت اختصاصهم واشرافهم وكانت منها ولاية قانصو ويونـــان وسيتشوان وشنسي وجيكيانغ وهانان وكياني وليويانغ وغيرها . هذه هي المقاطعات التي يوجد فيها اكبر عدد من المسلمين حتى اليوم (قبل استيــلاء الشيوعيين على الصين) .

وعلى ضوء ما قاله رشيد الدين فضل الله المؤرخ الايراني الشهير المتوفي في سنة ١٣١٨ م في كتابه « جامع التواريخ » ان الامبراطورية المغولية

تحت قبلاي خان كانت منقسمة الى ١٢ ولاية وكان على ثمانية منها حكام مسلمون في السنوات المختلفة يساعدهم في اغلب الاحيان وكلاء من المسلمين وهذه الولايات هي :

١ ــ الولاية الثانية التي كانت عاصمتها مدينة (تشوان تشو ــ) الواقعة على طريق تانينغ اي ليويانغ الحالية في مانشوريا وكان الحاكم عليها هو علاء الدين بينغ جانج بن حسام الدين المالفي وكان وكيل الحاكم هو حسن توجينغ .

٢ ــ الولاية السادسة التي كانت عاصمتها هي (خنساي) وهي مدينة (هانغ تشو) الحالية في مقاطعة جيكيانغ وكان الحاكم عليها هو علاء الدين بينغ جانج بن سيف الدين ويعاونه وكيل اسمه عمر بينغ جانج وله مساعد يسمى خواجة طوسى بينغ جانج .

٣ ــ الولاية السابعة التي كانت عاصمتها (فوتشو) الواقعة في مقاطعة فوكين اليوم . وكان حاكمها الاول هو من اخوان داشمن . ثم عين امير عمر اخوييان بينغ جانج حاكما عليها . واما ميناء تشوان تشو على ساحل فوكين فقد كان تحت اشراف بهاء الدين القندوزي .

٤ ــ الولاية الثامنة التي تسمى تانكوت . كان عليها حاكم مسلم يسمى حسن اخوييان بينغ جانج بعاونه وكيل يسمى حسن ايضا وهو من اخوان لاشين .

٥ ــ الولاية التاسعة التي سماها العرب صين الصين او صين كلان اي الصين الكبرى . وكان الحاكم عليها هو ركن الدين التتري بينغ جانج .

٦ ــ الولاية العاشرة هي كاراجانغ التي كان اكثر سكانها مسلمين . وكان الحاكم عليها هو ياغان بيك من ابناء علي بيك من عائلة يلواج .

٧ ــ الولاية الحادية عشر هو تانكوت (شنسى) التي كان الامير آنند تم تايتميس اخو داشمن حاكما عليها ويعاونه عمر الخطائي ويورت آنند .

٨ ــ الولاية الثانية عشر هى كانتسو (قانصو) الحالية وكانت جزءا من تانكوت وكان الامير خوجة حاكما عليها .

لقد ذكر رشيد الدين فضل الله عدة اشخاص باسم حسن وعدة اخرين باسم علاء الدين . غير انه لم يذكر السيد الاجل بصفته حاكما عاما على ولاية يونان مع انه قد ذكره في سياق المنصب الاخر . وكان السبب في ذلك كما يبدو لي ان مؤلف جامع التواريخ قد ذكر فقط حكام الولايات والوكلاء الذين كانوا على قيد الحياة وقت تأليف كتابه . فترك الذين توفوا من قبل وقد كان السيد الاجل من المتوفين قبل المؤلف بزمان .

نفوذ المسلمين في الصين في عصر المغول :

مع ان مدة حكم المغول في الصين كانت قصيرة لم تتجاوز مائة عام كانت سرعة تصاعد نفوذ المسلمين في انحاء الامبراطورية المغولية ملموسة . وقد ظهرت في صورة بارزة بالنسبة للمناصب العالية التي شغلوها في مختلف الدوائر الحكومية في البلاد . وهذه ناحية . وعلاوة على النفوذ السياسي لقد كسبوا نفوذا ممتازا في الميادين الاخرى . ونقول مثلا في العلوم – في علوم الطب والفلكية والمدفعية وهندسة العمارة وفي الامور الدينية .

اثناء الحكم المغولي في الصين كانت مؤسسات الهيئة الفلكيـــــة والمستشفيات والمدفعيات تحت اشراف الاخصائيين المسلمين واداراتهم وبالاضافة الى ان القصر المغولي في بكين وحدائق « بحيرة الشمال » (باي هاي بارك) كانت من مجهودات مهندس مسلم يسمى مختار (١) .

كما كان رئيس ادارة الهيئة الفلكية مسلما يسمى جلال الدين وكان يعاونه ثلاثة مراقبين مسلمين ووكيلان للمراقبين ومسلمان مساعدان ومسلم واحد في منصب الاخصائي الفني وكاتبان واستاذ للتدريب ومدير لشعبة الهيئة ومدير اخر لشعبة التقويم ومدير ثالث لشعبة الساعات المائية وثمانية عشر موظفا ، مسلما يشتغلون في مراقبة سير الافلاك – الشمس والقمر والنجوم – وتسجيل حركاتها مع الملاحظة على تغييرات الاوقات في الليل والنهار (٢) .

واما مؤسسة المستشفيات التي كانت معروفة باسم « ادارة الطب الخيري » فقد اسست في عصر المغول لاغراض عسكرية اولا . وكان ذلك لتقديم التسهيلات الطبية والمعالجة لرجال الجيش ثم للمحتاجين الاخرين .

---

(١) باي شواي : ص ٢٣٦ – ٢٣٧

(٢) باي شواي : ص ٢٤٣

كان فيها مديران مسلمان : احدهما كان مسؤولا عن ادارة الطبابة والمعالجة بما فيها الاشراف على امور ادارية للمستشفيات (بيمارستان) وعمل الترتيب لقبول المرضى للعلاج الداخلي والتشخيصات العلاجية . والاخر مسؤولا عن تحضير الادوية واعدادها لمعالجة الامراض المختلفة وكان يعاونه اربعة نواب المدير ومساعدان ومأموران اداريان ومستشار فني في تحضير الادوية ومستشار فني اخر في شؤون التمريض .

وعلاوة على « ادارة الطب الخيري » قد اسست حكومة الامبراطورية المغولية في الصين كليتين اسلاميتين للطب والمعالجة : احداهما في تادو (العاصمة الكبيرة) وهي بكين اليوم والاخرى في شاندو (العاصمة العليا) وهي مدينة (كاي بينغ) في ولاية جاهار اليوم . وكان ذلك لدراسة الطب الاسلامي والابحاث فيه.

واما ادارة المدفعية فقد اسست في السنة الحادية عشرة من جلوس الامبراطور (جي ـ يوان) الموافقة ١٢٧٤ م. ثم غير اسمها الى قيادة المدفعيين ومركز التدريب للفن المدفعي تحت اشراف داروغة خواجة يساعده قائد لعشرة الاف من المدفعيين ووكيل القائد من نفس الرتبة وجماعة من الاخصائيين الفنيين والمستشارين والموظفين الاداريين ومترجم ومراقبان .

من هذه الشواهد التاريخية وخصوصا من وجود المسلمين في المراكز العليا في حكومة الامبراطورية المغولية في الصين يسهل على الانسان ان يفهم كيف وصل المسلمون الى تلك الرتبة العالية وكيف انتشر نفوذهم في انحاء بلاد الصين في العصر المغولي . ويكفي ان نشير اخيرا الى وجود اكثرية المسلمين في الغابر والحاضر في شمال الصين الغربي مثل قانصو وتسنغاي ونينج هشيا وفي الموانيء الساحلية مثل تشوان تشو ويانغ تشو وهانغ تشو وكانتون وحول العواصم القديمة والحديثة من بكين وتانكين وسي ـ آن ولو يانغ وفي يونان والولايات الاخرى التي كان فيها حكام مسلمون في عصر (يوان) المغول .

الفصل الثالث

مركز المسلمين في عصر منغ (١٣٦٨ – ١٦٤٢ م)

من الصفحات السابقة يصل القاريء بسهولة الى النتائج التالية :

١ – ان اكثر المسلمين من العرب والايرانيين الذين قدموا الى الصين في عصر تانغ للكسب والاتجار قد عقدوا النية في اغلب الاحيان على البقاء في الصين ونظموا حياتهم الاجتماعية والدينية في محيط خاص بأنفسهم . فلذا كانوا يقيمون في محلات خاصة في المدن والموانيء التي وضعوا اقدامهم فيها ووجدوا فيها مجالا واسعا للقيام بالاعمال التجارية .

٢ – واما في عصر سونغ (٩٢٠ – ١٢٧٦ م) فقد امتاز المسلمون المستوطنون في الصين بنشاط عظيم في الاعمال التجارية بامتداد نفوذهم عن طريق مباشر او غير مباشر ، الى بعض الدوائر الحكومية وبالاخص في ادارات الجمارك ومراقبة الملاحة والتجارة البحرية في الموانيء التي تمتد على طول سواحل الصين .

٣ – واما في عصر (يوان) المغول (١٢٧٧ – ١٣٦٨ م) فقد اكتسبوا نفوذا اوسع في الامور الداخلية وسياسة البلاد نتيجة للمراكز الممتازة التي شغلوها في شتى الادارات بالعاصمة والولايات .

كانت سيطرة المسلمين على المراكز العالية في الامبراطورية المغولية في الصين قد احدثت نوعا من الضغينة والحسد والشكوك في بعض جماعات من الصينيين ولو انهم لم يظهروا كراهيتهم للمسلمين في البلاد . بيد انه من المفهوم انهم قد طووا في قلوبهم نوعا ما من الضغينة والنفور نحو المسلمين . فنظروا اليهم بأنهم اجانب وردوا الى الصين فوثوب التجار ورجال الجيش للاستثمار ومساعدة الحكم المغولي – غير الصيني – على استغلال البلاد لمنافعهم الخاصة . وبطبيعة الحال فان حياة المسلمين الاجتماعية وعاداتهم الخاصة التي لا تمت الى طبيعة الصينيين اصبحت مع مرور الزمن موضع القدح والسخرية من قبل جيرانهم الصينيين الذين كانوا ينظرون الى الحياة بعين مختلفة . فلذا نرى ان الاحاديث الساخرة عن

عقائد المسلمين وشعائرهم الدينية وحياتهم الخاصة قد ظهرت في مؤلفات ادبية روائية كتبت في اواخر ايام حكم المغول (١). ومعنى هذا ان المجتمعات الصينية حينذاك لم تنظر الى دين الاسلام الذي ينتشر بالسرعة في الصين بعين الاحترام والتقدير . كان هذا الموقف او مثله من الصينيين يشكل تحذيرا نفسيا للمسلمين بأنه يجب عليهم ان يغيروا بعض مظاهر الحياة واساليبها ان كانوا يأملون في البقاء في الصين بصفة دائمة كما يجب عليهم ان يقلدوا الصينيين في العادات والاداب السائدة في البلاد حتى يستطيعوا ان يعيشوا في وسطهم ومجتمعاتهم .

اختيار المسلمين الاسماء العائلية الصينية :

ان تغيير الاسرة الحاكمة في الصين من اسرة (يوان) المغول الى اسرة (منغ) في سنة ١٣٦٨ م قد اوجب على المسلمين ان يغيروا مظاهرهم وعاداتهم الاجتماعية الى حد حتى يستطيعوا ان يتقربوا الى الحياة الصينية وثقافتها تقربا نفسيا وفكريا وان يظهروا في المجتمعات العامة كالصينيين بدون اي تمييز . وكان ذلك عن طريق اختيار بعض العادات الصينية والتقيد بها في معيشتهم الخاصة والعامة من الان فصاعدا .

ومن المعلوم ان المسلمين منهم العرب والايرانيون قد سكنوا في محلات خاصة بالصين قبل عصر منغ وليس من البعيد انهم قد احتفظوا بلغتهم الخاصة وتكلموا بها فيما بينهم وفي المعاملات مع الصينيين وتخاطبوا بأسماء اسلامية واستعملوها على طريقتهم سواء اكانوا في الوظائف الرسمية او في مباشرة اعمالهم الخاصة ولعلهم حتى ذلك الوقت لم ينعودوا على لبس الملابس الصينية . ومع بعض التحفظ في الاختلاط مع الصينيين المحليين . بيد انه مع تأسيس الاسرة الحاكمة الجديدة ـ اسرة منغ وهي صينية اصيلة ، كان المسلمون في الصين من المهاجرين العرب والايرانيين ومن ابنائهم المولودين في الصين والذين اخذوا يكثرون ويزداداون يوما فيوما حتى انتشروا في كثير من المدن الكبيرة في شمال الصين وغربها ووسطها وجنوبها وفي وادي نهر اليانتسي وازدهروا فيها ، يشعرون بلزوم احداث بعض التغيير في مظاهر حياتهم اليومية . فرأوا من اللائم ان يعيشوا عيشة اقرب الى حياة الصين الاجتماعية التي تنبثق من صميم ثقافتها وحضارتها الموروثة كما كان الوضع السياسي في البلاد يوحي بالالتزام بخطوة مثل

---

(١) باي شو ـ اي : ص ٢٥١

هذه . فلذا بداوا باختيار اسماء العائلات الصينية وسموا عائلاتهم بأسماء (ما) اختصارا من مسعود او محمد و (حا) اختصارا من حسن وغيره و (نا) اختصارا من ناصر الدين او نصير وغيرهما و (باي) من بدر الدين او بهاء الدين الخ هذا من جهة .

واما من الجهة الاخرى فان المسلمين قد اتخذوا خطوات عملية لتوثيق العرى بينهم وبين العائلات الصينية الاصيلة بصلات الزواج مثل (انغ) و (تاي) و (لي) و (تشانغ) وغيرها . لقد كسبوا بهذه الطريقة عددا كبيرا من اتباع جدد للاسلام وبالتالي اخذ المسلمون يلبسون الملابس الصينية ويتزينون بأزيائهم حتى تعودوا على عادات الصينيين ومالوا الى دراسة اللغة الصينية وفهم الثقافة الصينية بالروية والدقة . فتصينوا مع مرور الزمان في الاداب الصينية والمعيشة اليومية واصبحوا صينيين تماما في مظاهر الحياة وعاداتها بالاستثناء في العقيدة والعبادات الدينية .

بالرغم من حدوث هذا التغيير الكبير في حياة المسلمين في الصين كانوا بدون شك قد دأبوا على الاحتفاظ بكل جد وثبات بميزتين بهما يتميزون من سائر الافراد الصينيين في البلاد : احداهما هي تمسكهم الشديد بالعقائد الدينية الاسلامية والاخرى هي الامتناع التام عن استعمال لحوم الخنزير او شحومها في الاطعمة اليومية . وبالتالي كان المسلمون في الصين اليوم لا يتميزون في العادات والاداب الاجتماعية عن سائر الصينيين بغير العقيدة الدينية وعدم اكل لحوم الخنازير وشرب الخمور . واما في الامور الاخرى فأصبحوا صينيين تماما مع الملاحظة ان بعض الافراد منهم على الاخص المسلمين شمال الصين الغربي ما زالوا يحتفظون ببعض الملامح الخاصة التي تشهد بأصولهم الاجنبية التي حدثت في الماضي البعيد .

كبار شخصيات المسلمين في عصر منغ :

وكما ان المسلمين في الصين كانت لهم مكانة ممتازة منذ عصر سونغ الى اخر عصر (يوان) المغول استطاعوا ان يحتفظوا بمركز عال في الامبراطورية الصينية حتى منغ . كانت صلاتهم مع الاسرة الحاكمة مبنية على الاحترام المتبادل الذي عاد بفوائد كثيرة على الطرفين على السواء . كما ان صلاتهم مع مختلف الطبقات في الصين قد بنيت على اسس صداقة متينة وتفاهم شامل . فلذا لا نجد في تاريخ الصين الرسمي لعصر منغ اي ذكر عن وقوع حادث او اصطدام بينهم وبين الصينيين بسبب الاختلاف في العقيدة وشعائر الدين . وكان الفضل في ذلك يرجع جزئيا الى السمعة

الحسنة التي كسبها المسلمون منذ عصر سونغ وجزئيا الى اصطباغهم بصبغة صينية في المعيشة والعادات وتقربهم الى الحياة الصينية اجتماعيا وثقافيا . وكان هناك عامل ثالث ساعد في تعزيز هذا التفاهم الطيب بين المسلمين وغير المسلمين وهو وجود عدد لا بأس به من كبار المسلمين المعتمد عليهم من قبل البلاط . ثم الصلات الطيبة التي قامت بين اسرة منغ وبين البلاد الاسلامية بآسيا الوسطى قد ساعدت على تقوية مراكز المسلمين في الصين من وجه عام . ونذكر هنا مثلا آل تيمور في سمرقند وشاهرخ في عرات ـ الملوك المسلمين الذين بعثوا بعثات رسمية عديدة الى ملوك منغ لتعزيز العلاقات وبالاضافة الى العلاقات الحسنة التي كانت قد وجدت بين ملوك منغ وبين الامراء المسلمين الذين كان لهم امارات مستقلة بسواحل الهند الممتدة الى الخليج العربي (الفارسي سابقا) .

ومن بين كبار الشخصيات من المسلمين الذين ارتفعوا الى رتبة عالية في عصر منغ يجب علينا ان نذكر اسم القائد تشانغ يو تشونج **Chang Yu-Chung** والحاج جهان (جنهو **Jen-Ho**) وكانا ركنين عظيمين في بناء عظمة اسرة منغ في الصين. لقد ساعد الاول الامبراطور منغ تاي تو **Ming Tai-Tau** على الاستيلاء على الحكم وتأسيس اسرة منغ في الصين . واما الثاني فقد ساعد على بناء عظمة الامبراطور منغ جينتو **Ming Chen-Tau** بتوسيع نفوذه الى ما وراء البحار . وقد كان هذان الامبراطوران من اعظم اباطرة الصين في عصر منغ .

القائد تشانج يو ـ تشونج :

ان هذا القائد المسلم العظيم كان الساعد الايمن لـ « جو يوان ـ تشانغ » مؤسس اسرة منغ في الصين ، منذ قيامه بالثورة في منطقة نهر الخوي والخروج على الحكم المغولي المحتضر . كان ضابطا بسيطا فارتقى الى رتبة رئيس طليعة الجيش مأمورا بانقاذ المارشال « هيوتا » المحصور في مدينة (ليوتانغ) من العدو . ثم ارتقى الى رتبة القائد بعد فك الحصار عن المارشال المشار اليه. وعندما كان جويو ـ تشانغ اختار لقب (وو ـ وانغ) اي امير الحرب في سنة ١٣٦٤ م رفع الى رتبة (بينجانغ) اي المستشار السياسي ، مكلفا بمهام العمليات العسكرية نحو الشمال . فاستولى اولا على جميع الولايات بشمال النهر الاصفر . ثم على مدينة (تاي يوان) عاصمة ولاية شنسى . وبعد ذلك تلقى الاوامر لتعقب تو خو تيمور اخر اباطرة المغول في الصين الذي ما زال متحصنا في كاي بينج . ومع سقوط هذه

المدينة في يد القائد تشانغ يو ــ تشونغ في سنة ١٣٦٩ م والقاء القبض على عشرة الاف رجل من الجيش المغولي مع توخو تيمور ، اصبحت اسرة منغ التي اعلن تأسيسها في ١٣٦٨ م ، مأمونة من الخطر الداخلي ايا كان نوعه . بيد ان القائد تشانغ يو تشونج ، لم يمض زمن طويل على بقائه حيا ليتمتع بأنعام واف كان يستحقه من اول امبراطور اسرة منغ اذ وافته المنية في (ليو هو تشو) متأثرا من ضغط الدم العالي وكان لم يتجاوز ٤٠ عاما من العمر . وكانت وفاته قد احدثت اسفا عميقا من منغ تاي تسو الذي تم اعتلاؤه على عرش الصين بفضل هذا القائد المسلم الوفي الكبير وتفانيه المخلص في خدمته . فتولى الامبراطور منغ تاي تسو نفسه بوضع الترتيبات لتشييع جنازته ودفنه تقديرا لخدمته الجليلة . فدفن في مدينة لو تكانج .

الحاج جهان ، اكبر بحار يفتخر به الصينيون :

واما الشخصية الثانية الممتازة من المسلمين في عصر منغ فكان الحاج جهان (جنهو) بدون شك . وقد لقب ب (سان باو ــ تاي جيان) الحصن الكبير في بلاط منغ . انه قد ادى لاباطرة منغ بمن فيهم منغ جنتسو ومن جاء بعده من الملوك خدمة فريدة عظيمة لها اكبر التأثير وابعده في رفع شهرة الصين في ما وراء البحار حتى ان سواحل جزيرة العرب وشرقي افريقيا . وهو الشخص الذي كسب للصين احتراما وتقديرا بين الحكام المعاصرين في هذه البلدان .

كان الحاج جهان من مواليد يوننان ومن احفاد السيد بيان الذي كان حاكما على تلك الولاية ايام حكم المغول . فالصينيون يعتبرونه اكبر بحار ظهر في الصين واثبت تأثيره في تاريخها المديد . كان رجلا ذا مواهب فذة وهو الذي جعل جميع البلدان التي زارها في اسفاره البحرية العديدة تشعر بوطأة نفوذ الصين السياسي عليها . انه قد ركب البحر سبع مرات الى ما وراء البحار لتنسيق العلاقات بين الصين والبلدان التي تمتد من جزيرة جاوا الى شرقي افريقيا بما فيها مالايا وسوماطرة وسيلان وملابار وجزيرة هرمز وظفار وعدن ومكة المكرمة وبعض الموانيء بسواحل شرقي افريقيا .

ان اول الرحلة البحرية التي قام بها كان في سنة ١٤٠٥ م بأمر الامبراطور جنتسو . وكان في اختياره رئيسا لهذه المهمة الخطيرة هو ان

جده وكذلك اباه قد زارا مكة المكرمة لاداء مناسك الحج وبالتالي كانا من اعرف الناس علما بأوضاع البلدان الممتدة من جنوب بحر الصين الى الخليج العربي كما انهما قد عرفا اللغات والعادات واحوال الشعوب في تلـــك البلدان . هذا من ناحية .

واما من الناحية الثانية فان الحاج جهان كان هو نفسه موظفا كبيرا ذا كفاءة عظيمة وكان يعمل تحت امرته عدد من الموظفين الاكفياء وحوله جماعة من الاصدقاء الاوفياء الذين لهم معرفة بأحوال البلدان بجنوب البحر وما وراء جنوب البحر الصيني .

اخذ الحاج جهان معه في رحلته هذه فرقة بحرية مكونة من ٢٧ر٤٠٠ جندي وقافلة كبيرة متضمنة ٦٢ سفينة بحرية وكانت كل واحدة منها تقارب ٤٤٠ قدما طولا و ١٨٠ قدما عرضا . وقد زار الحاج جهان اثنـــاء هذا السفر البحري الذي استغرق اكثر من سنتين جميع الجزائر حـول جاوا وشبه جزيرة مالايا . فأظهر امام اهالي هذه الجزر ، القوة العسكرية الهائلة التي يملكها اباطرة منغ في الصين. ثم عاد الى الصين بهدايا لا تحصى مهداة من قبل حكام تلك الجزر الى الامبراطور منغ جنتسو في سبتمبر ١٤١٧ م .

واما في الرحلة الثانية من سلسلة رحلاته السبع فقد زار جزيرة سيلان وسواحل الهند . ثم زار بعد ذلك شرقي افريقيا وجزيرة هرمز . وفي المرة الاخيرة زار عدن ومكة المكرمة . فأدى فريضة الحج ولذلك لقب بالحـــاج جهـــان .

وعلاوة على هديه المسلمين في بلاط ملوك منغ كان هناك عدد غير قليل من المسلمين المتازين في الصين في هذا العصر يعملون لدى ملوك منغ. وكان من بينهم العلماء وبالاخص علماء الفلك والنجوم ـ العلم الذي اخـذ يزدهر في بكين منذ عهد قبلاي خـــان .

كان اول اباطرة منغ مولعا بالعلوم والمعارف مثل قبلاي خان في عصر يوان . وبما ان علم الفلك كان لازما للملوك والاباطرة لاسباب شتى بما فيها التنبوء بتغيير حالة الجو الطبيعي والسياسي واعداد التقويم الزراعي والتقدير لتقلبات المواسم والفصول الى تأثير مباشر في استنبات البـذور وشتلة النباتات وبدء العمل في اصلاح المزارع وفوق كل هذا ، يستكشف

به الاسرار الكونية والسماوية التي تنذر ــ كان معتقدا لدى الصينيين في تلك الايام الغابرة وفقا لتفسير المنجمين ــ بوقوع كارثة طبيعية او بشرى لقدوم سنة سعيدة مليئة بضروب من الهناء والرخاء . كل هذا من خصائص هـذا العلم . ولهذه الاسباب كان ملوك منغ قد استمروا في العمل بالسياسة التي اتبعها اباطرة المغول في تشجيع نشر علم الفلك في انحاء البلاد والاهتمـام بدراسته . فلذا امر بابقاء ادارة علم الفلك والنجوم وتعيين العلماء المسلمين في الاشراف على امورها ونذكر هنا مثلا الشيخ خضر وعبد الله وكانا من العلماء المسلمين الذين خدموا في نفس الادارة ايام حكم المغول في الصين . فعينا فيها من جديد بمرسوم امبراطوري من منغ تاي تـو .

في سنة ١٣٧٠ م قسمت هذه الادارة الى اربع شعبات وهي :

١ ــ شعبة الفلـك .

٢ ــ الساعة المائيـه .

٣ ــ شعبة التقويـم العـام .

٤ ــ شعبة التقويـم الاسـلامي .

وكان على كل شعبة رئيس مسلم مسؤول عن شؤونها . ففي سنة ١٣٨٢ م صدر امر امبراطوري الى مشاهير العلماء في علم الفلك والنجوم من امثال الاستاذ (لي جونغ) و (وو به جونغ) والشيخ الاكبر للمسلمين وغيرهم للقيام بترجمة « كتب المسلمين » في علم الفلك والنجوم والعلـوم الاخرى الى اللغة الصينية . وكان عدد الكتب التي شملها الامر الامبراطوري لترجمتها يتجاوز مائة كتاب . وكانت هذه الكتب موجودة في بكين عاصمة المغول الزائلة . فوصلت الى ايدي ملوك منغ بعد الاستيلاء عليها .

كان للدين الاسلامي احترام عظيم عند منغ تاي تسو اول اباطرة منـغ لاسباب عديدة وقد ذكر بعضها في السطور السابقة . ومن شواهد هـذا الاحترام البليغة الصامتة وجود القصيدة الصينية التي نظمها جلالـة الامبراطور منغ تاي تسو بيده الكريمة مدح فيها دين الاسلام مدحا بالغا وهذه القصيدة تعرف الان بقصيدة « المدح بمائة كلمة » وهي منقوشة في لوح حجري نصب في الجامع الكبير الذي بني في سنة ١٤٦٧ م بمرسوم امبراطوري في مدينة نانكين . وكان ذلك تحقيقا لطلب القائد المسلم تشانغ يو تشونغ الذي ذكرناه آنفا .

الفنــون الاسلامية الصينية :

كان الجو ملائما للمسلمين لكي يقوموا بنشاط علمي في الصين ايام حكم منغ . فنجم من هذا النشاط نوع خاص من الفنون في عصر منغ يمكن ان نسميه فنا اسلاميا صينيا . وقد ظهر هذا النوع من الفنون في شتى الاشياء وامتاز في اللون والاسلوب . فوجد في الاواني الصينية والسيلادون لون ازرق معروفا بلون الفن (الاسلامي) كان سائـــدا في السيـــلادون والفغفوريات الصينية . وهو من التطوير الفني لهذا العصر . فنقل فيما بعد هذا اللون (الازرق الاسلامي) الى صنائع ايران في القرن السابع عشـر الميلادي ايام حكم شاه عباس الكبير وتجلى اثر الفن الصيني فيها . ففي ميوزة باستان (اي المتحف القديم) بطهران توجد مجموعة كبيرة من هـــذه الاواني الصينية والفغفوريات تنطق بالصمت الفصيح بوجود هذا النوع من الفن الصيني الاسلامي وتطوره العظيم في عصر منغ بالصين .

في البرنز الصيني : ــ وقد ذكر الاستاذ برتولد لوفر مؤلـــــف « يينو ــ ايرانيكا » في مقال شائق نشر في مجلة الفنون الاسلامية باللغــة الفرنسية(1) تحت عنوان (البرنز الصيني الاسلامي) كيف جمع هو نفسه تلك المجموعة من قطع البرنز في مدينة (سيآنفو) بين ١٩٠١ و ١٩٠٤ م ثم في السنوات بين ١٩٠٦ و ١٩١٠ م وما هي الخصائص الاسلامية التي توجد في تلك القطع الفنية التي وصلت الى يده وتحفظ الان في مكتبة (نيو بري) بشيكاغو بالاضافة الى بعض القطع الاخرى ذات الاهمية الكبرى في تحليل وتحديد عنصر التأثير الاسلامي في الفنون الصينية . فكانت مجموعة الاستاذ بوتولد لوفر تحتوي على المباخر والصحون والزهريات البرونزية التي صنعت في دار الصنائع الامبراطورية ببكين ويرجع تاريخ صناعتها الـــى ١٤٣٠ و ١٤٣١ م اذ كانت عائلة منغ في اوج قوتها . ولقد ظهرت في هــذه القطع الفنية البرونزية عقائد اسلامية مكتوبة بالحروف العربية الجميلـة وهي ابلغ الشواهد على التأثير الاسلامي في هذه القطع الفنية مـــن المصنوعات الصينية .

وفي الزخـــارف :

وبالاخص فيما يسمى الصينيون برسم الحروف الخطية في الزخارف المنزلية . ان هذا النوع من الفن الصيني الاسلامي قد تطور من ناحيتين :

---

(1) مجلة الفنون الاسلامية بالفرنسية : (ص ١٣٣ من القسم الاول في الجزء الاول)

احداهما في كتابة كلمات صينية كبيرة الحجم بخطوط رفيعة مكونة من العبارات العربية او الادعية الاسلامية او الايات الكريمة حتى يتم تشكيل كلمات صينية معينة . والاخرى في كتابة الكلمات العربية في شكل الكلمات الصينية وذلك لاغراض الزينة في بيوت الاشراف والعظماء . وامثال هذا النوع من الفن الصيني الاسلامي توجد كثرة في كتاب « دراسات عـــن المسلمين بالصين » باللغة الفرنسية الذي وضعته بعثة دو لون الفرنسية التي زارت انحاء الصين وجالت خلال ديار المسلمين فيها بين ١٩٠٦ و ١٩٠٩ ويمكن للقاريء ان يرجع الى هذا الكتاب اذا اراد المزيد من المعلومات حول هـــذا المـوضـــوع .



طاس ففغوري عليه ادعية بالعربيـــة من صنائع عصر منج MING
بين ١٣٦٨ و ١٦٤٢ م

البـاب الثـاني

المسلمون في عصر تسنغ (المانشو)

١٦٤٤ ـ ١٩١١ م

الفصل الاول :

جهل الموظفين المانشوريين واثر ذلك في سياستهم التعسفية نحو المسلمين

ان المسلمين في بداية عهد المانشو (تسنغ) في جميع انحاء الصين كانوا منقسمين الى جماعتين كبيرتين . كانت الجماعة الاولى تتضمن جميع المسلمين في الصين الداخلية ، والثانية تشمل المسلمين في ولاية سنكيانغ المعروفة (بتركستان الصينية) في العالم الاسلامي . وفي السطور التالية اود ان اعطي صورة موجزة عن حالة المسلمين في الصين الداخلية اولا . ثم القي نظرة على حالة المسلمين القاطنين في ولاية سنكيانغ في عصر تسنغ .

حالة المسلمين في داخل الصين :

ان المسلمين في داخل الصين بما فيها من الولايات الساحلية والولايات الداخلية ، كانوا اما من ابناء العرب او الايرانيين الذين استوطنوا في مختلف المدن والموانيء الصينية واما من الصينيين الذين دخلوا حظيرة الاسلام على مرور الزمن . فتناسلوا وتكاثروا حتى انتشروا في جميع المدن الكبيرة تقريبا .. مع اختلاف عددهم في كل منها كما انتشروا في الولايات الساحلية ومقاطعات الشمال الغربي وجنوب غربي الصين وشمالها فتصينوا مع مرور الزمن من الناحية الاجتماعية والمعاشرة والعادات كما ذكرت ذلك من قبل . واصبحوا غير متميزين عن الصينيين العاديين في المظاهر والتقاليد والعادات الاجتماعية . لانهم اخذوا يلبسون ملابس الصينيين ويعيشون عيشة الصينيين وياكلون الاطعمة الصينية مع تجنب اكل لحوم الخنزير وشرب الكحول . كما تعودوا على التكلم بنفس اللغة او اللهجات التي يتكلم بها الصينيون المسلمون مع وجود اختلاف في اللفظ المحلي ، وعلى الاختلاط بجيرانهم الصينيين بأكبر حرية .

مع كل هذا فانهم قد احتفظوا بعقيدة اسلامية ثابتة وراسخة في قلوبهم تختلف مع عقائد الصينيين . وتمسكا بهذه العقيدة الراسخة كانوا يضطرون الى ابقاء بعض الميزات في حياتهم الاجتماعية والدينية . انهم يعيشون في حالة صحية احسن من جيرانهم الذين على نفس مستواهم من الحالة

الاقتصادية . وكان السبب في ذلك هو اجتناب اكل لحوم الخنزير وشرب المسكرات والتعود على تكرار الوضوء والطهارة في حياتهم اليومية والامتناع عن الاطعمة التي اعدت بطبيعة غير اسلامية . فكانت طقوس الزواج عندهم وكذلك طقوس تشييع الجنازة تجري وفقا للاحكام التي وضعها لهم دينهم الحنيف . ان التقويم الهجري الذي كان له بعض الرواج في عصر منغ قد بقي مستعملا عند المسلمين في عهد تسنغ للاغراض الدينية بالرغم من انه قد اصبح ملغيا رسميا من قبل الحكومة المانشورية . فاذا حل شهر رمضان — الشهر التاسع للتقويم الهجري ، اخذ المسلمون يصومون ويحرمون على انفسهم الاكل والشرب من قبل طلوع الفجر الى غروب الشمس كل يوم لشهر كامل ، فضلا عن احيائهم ليالي رمضان بالحفلات والاجتماع في الجوامع والمساجد بعد تناول طعام الافطار . فيصلون التراويح ويقرأون ما تيسر من آيات القرآن الحكيم بالعربية ويستمعون الى وعظ الائمة الرؤساء الدينيين وفي ايام عيد الاضحى يذبحون الذبائح من الابقار والاغنام ويوزعون لحومها على الفقراء والمساكين من افراد المسلمين المحتاجين

وعلاوة على كل هذا فانهم يوجهون اهتمامهم الى تعلم اللغة العربية والفارسية للاغراض الدينية ويتمسكون بالشعائر الاسلامية لانفسهم فقط . لانهم لا يشجعون غيرهم من الصينيين الى حضور الاجتماعات الدينية في المساجد

جهل الموظفين المانشوريين بعادات المسلمين :

اثارت تلك العادات والتقاليد الدينية التي لا تضم شيئا مضرا او امرا سيئا للناس والمجتمع ، في نفوس كثيرة من الموظفين في الحكومة شكوكا وظنونا بالنسبة للمسلمين وسلوكهم في البلاد . لان المانشوريين كانوا دخلاء في نظر الصينيين الاصلاء . كان ينقصهم ادراك وفهم عام للعقائد الدينية وثقافات الشعوب الاخرى مما كان يمتاز به اباطرة اسرة منغ الذين امتدحوا الاسلام واصدروا المراسيم المختلفة لضمانة حرية المسلمين في مزاولة الدين الحنيف والقيام بشعائره السمحاء . بيد ان المانشوريين كان لهم عقلية غير العقلية الصينية المهذبة . انهم عرفوا نوعا من العبادة وهي عبادة الارواح والاسلاف او عقيدة شبيهة من عبادة الاسلاف لا غير .

كان هذا النوع من الجهل عاما بين المانشوريين تضاف اليه عوامل اخرى سياسية واقتصادية ودينية مما كان سببا في نشوب احتكاكات

مسلحة عنيفة بين رجال الحكومة والمسلمين في انحاء الصين الداخلية وفي سنكيانغ ، دامت مدة طويلة كان المسلمون فيها دائما من الخاسرين .

وفوق كل هذا كان الموظفون الصينيون الذين وصلوا الى المراكز الحساسة في الحكومة المانشورية انتهزوا الفرصة بحكم وظائفهم وبعثوا بتقارير الى الحكام لتحريضهم ضد المسلمين . وكانت تقاريرهم تكشف عن سوء نياتهم نحو المسلمين بوجه عام بغية حرمان المسلمين الاكفياء من الحصول على الوظائف المحترمة كما كانت حالتهم في عصر المغول وعصر منغ .
والوقائع التي سأسردها في السطور الاتية تعطي القراء فكرة واضحة عن المتاعب والمشقات التي عاناها المسلمون في عصر تسنغ ، نتيجة للتقارير المشحونة بالاكاذيب والافتراءات على المسلمين :

أ ـ في السنة الثانية لجلوس الامبراطور (يونغ تسنغ) ١٧٢٤ م بعث (جن شيه كوانغ) المفتش العام لولاية (شانتونغ) بتقرير الى القصر الامبراطوري قائلا :

... « يجب ان تمنع بتاتا بحكم القانون مزاولة الاعمال المعوجة التي تشوه اذهان الناس وعقائدهم . ومن هذا النوع من الاعمال المعوجة ما تزاوله جماعة (هوى هوى) اي المسلمون . ان هؤلاء لا يعبدون السماء والارض ويأبون ان يقدموا النذور الى ارواح الاسلاف الصالحين . لقد اسسوا فرقة دينية خاصة بهم ويستخدمون تقويما غير التقويم الصيني . فكثر عدد هذه الجماعة بزيادة الاعضاء فيها وقاموا بدعوة الناس الى اعمال الشر افسادا لنفوسهم وعقولهم . وعليه التمس من مقام القصر العالي اصدار امر امبراطوري بشأن اخراج هؤلاء المسلمين من عقائدهم وتخريب معابدهم ومساجدهم من الاساس ...» (1)

ب ـ مثال آخر : في الشهر الخامس من السنة الثامنة لجلوس امبراطور يونغ تسنغ (١٧٣٠ م) قدم (لوكوه هوا) رئيس الشرطة لولاية (آنهوى) تقريرا الى القصر قال فيه :

« .. ان المسلمين المقيمين داخل البلاد يسكنون في كل مكان وحيث يشاؤون ويمارسون جميع انواع الاعمال الحرة ويعيشون بين الناس بدون اي فرق وتمييز وعليهم طبعا ان يتبعوا الناس في الحياة اليومية بمراعاة

---

(1) تاريخ المسلمين في الصين للاستاذ فوتهونغ هسيانغ : ص ١١٥ ـ ١١٦

التقويم الذي تتبعه الاسرة الحاكمة في البلاد . لكن المسلمين لا يتبعون نظام تقويمنا الذي فيه اشهر كبيرة واشهر صغيرة ولا يبالون بالسنة الكبيسة . فانهم يستعملون تقويما خاصا ويحتفلون راس السنة الجديدة حسب تقويمهم الخاص فيقيمون فيه حفلات ويتبادلون التهاني والتبريكات فيما بينهم .. »

« ثم انهم يلبسون فوق رؤوسهم كوفيات بيضاء صباحا ومساء اذ كانوا يجتمعون في المعابد التي يسمونها (تسنغ جنغ تزي) اي المساجد . فلا احد يعرف ما هي الأرواح التي هم يعبدونها وكذلك قد اقاموا نظاما للصوم في شهر خاص ..»

.. « وبالنظر الى انهم من رعايا جلالة الامبراطور العاقل الحكيم فانه يجب عليهم ان يراعوا نظاما موحدا صحيحا ويلبسون الالبسة المألوفة في البلاد ولا ينبغي ان يشذوا في عمل الحساب او السجل باتباعهم نظام تقويمهم الخاص او يلبسون الكوفيات البيضاء او يسلكون طرائق غريبة في شؤون الحياة اليومية مخالفين لوحدة الشعار في البلاد ...»

« .. وبناء على ما ذكرته آنفا اتوسل الى جلالتكم باصدار مرسوم يفرض عليهم مراعاة النظام الموحد الصحيح في تدوين الوقائع وتسجيل المعاملات وفي الزي واللباس . واما مساجدهم فينبغي ان تغلق واما انفسهم فاذا اصروا على عدم الطاعة لحكم قانون البلاد يعاقبون وفق القانون الموضوع لمنع الاعمال المريبة ودفع الفتن . فاما الاشخاص من اهالي البلاد فاذا اظهروا عطفهم على المسلمين او يعطون الملجأ لهم في البيوت، يحاكمون ايضا وفقا للقانون .. » (١)

كانت هناك حالات اخرى تشهد بالمواقف غير المنطقية التي اختارها المانشوريون ضد المسلمين المقيمين في الصين . فكرروا التماسهم لدى الامبراطور باصدار مرسوم لاخراج المسلمين من دينهم وتعطيل مساجدهم اغلاقا او تخريبا . (٢)

بيد انه من حسن الحظ ان الامبراطور جيان لونغ كان عاهلا مثقفا متنور الذهن، اذ درس الثقافة الصينية وتعمق فيها الى حد استطاع ان يكوّن فكرة سليمة على اساس العدالة والتسامح فيما يتعلق بالامور

---

(١) فوتهونغ هسيان : ص ١١٨ (٢) ايضا ص ١٢٠.

الدينية . ولذا لم يتخذ اي قرار نحو المسلمين رغم الطلبات والالتماسات التي انهالت على القصر الامبراطوري من الحكام العاملين في الولايات . بل ردهم ردا وجيزا وقال : « ان المسلمين اخذوا يقيمون في الصين منذ قرون وانتشروا في كل مكان. انكم لا تستطيعون ان تقتلوهم كلهم . انهم ليسوا مجرمين بسبب عقيدتهم او تقاليدهم الدينية . وهم من رعايا هذه الامبراطورية ولا ينبغي ان يعاقبوا الا اذا عملوا شيئا مخلا بالقانون او اصبحوا عصاة في البلاد .. » (١)

فأصبح المسلمون في داخل الصين في أمن في كثير من الحالات بفضل التسامح والتفاهم الذين امتلأ بهما قلب هذا العاهل الكبير .

العوامل السياسية وغيرها :

لم يكن الجهل هو العامل الوحيد الذي دفع الموظفين المانشوريين الى ان يشكوا في سلوك المسلمين ونياتهم اذ كانت هناك عوامل اخرى لعبت بأقدار المسلمين في الصين ومزقت صفوفهم . ولعل الاهم منها كان العامل السياسي الذي اثر في موقف الموظفين الحكوميين ضد المسلمين تأثيرا مباشرا .

لقد بدات المأساة بالقائدين المسلمين الذين وقفا بجنب امير (ينجان وانج) آخر الامراء من اسرة منغ الزائلة وساعداه في ثورة فاعلة لاستعادة العرش المفقود من ايدي المانشوريين . كان احدهما يسمى (تنغ كو تونغ) والاخر (ميرا اين) . فقد رفعا لواء العصيان في قانصو في السنة الخامسة من جلوس الامبراطور هسيون جي (١٦٤٨ م) واستوليا على مدينة (كونجانج) . فانتبهت الاسرة الحاكمة الجديدة وهي تسنغ الى هذا الحادث الخطير وبعثت على الفور بالمارشال (مونغ جيو فانغ) لقمع الثورة. ففي معركة وقعت بقرب لانشتو قتل ميرا اين والامير ينجان وانج . غير ان القائد تنغ كو تونج استطاع الهرب الى كانتشو . وفي ١٦٤٩ م اتصل هذا القائد بالامير تورتاي بن بابر خان ــ امير هامي بشرقي تركستان الصينية وحالفه سرا . فدخل الامير تورتاي بجيشه مضيق (جيا كو كوانغ) وهاجم سو تشو . وقد كان القائد تنغ يساعده في ذلك . غير انهما قتلا في نهاية الامر على ايدي الجيش المانشوري الذي كان يتفوق عليهما كثيرا في السلاح والعتاد . فهلك معهما خمسة الاف من المسلمين في هذه المعركة الوحيدة (٢).

---

(١) فوتهونغ هسيان ص ١٢٢ .

(٢) هسيو ايشان : التاريخ العام لاسرة تسنغ ــ ج ٢ ص ٢٧٣ ــ٣٠٢ .

وبالنظر الى حدوث هذه الوقائع كان الموظفون المانشوريون لا يثقـون كثيرا بالمسلمين ولذا قدموا التوصيات بتنفيذ بعض الاجراءات الصارمـة ضـدهم .

ومع هذه العوامل السياسية كانت هناك عوامل دينية ايضا ، قـد ساعدت على زيادة الشكوك في نفوس المسؤولين بالنسبة لوفاء المسلمين واخلاصهم للامبراطورية المانشورية . لقد تكونت هذه العوامل من عناصـر ترتبط بالحركات الدينية او النشاطات التي ظهرت باسم الدين في عصـر تسنغ وعلى الاخص خلال حكم الامبراطورين : جيان لونغ وجيا تسنغ (١٧٣٦ ــ ١٨١٩ م) .

كما ظهرت خلال هذه الايام حركة (باي ليان جيو) ــ طائفة النيلوفر البيضاء وهي حركة قام بتنشيطها بعض العملاء الذين كانوا يعملون في الجمعيات السرية بالصين . فاستخدموا اسم « طائفة النيلوفر البيضاء » وهي متفرعة من البوذية ، كستار على حركة سياسية تهدف الى اعـادة السلطة الى ايدي الصينيين الاصلاء . لقد انتشرت هذه الحركة في انحاء البلاد وسببت مع مرور الايام ومجري الحوادث كثيرا من الاضطرابات وعدم الاستقرار في البلاد كلها تقريبا والتي شملت ولايات هو نان وهو بـه وسزيتشـوان يو نان وكـوي تشو وكيـانسي وكوانتونـغ وقانصو وشنسى في النهاية (١) .

كما كانت هناك حركة طائفية اخرى ارتبطت بحركة طائفة النيلوفر البيضاء ارتباطا وثيقا . وكانت تسمى « طائفة تيان لي جيو » اي دين المنطق السماوي وكانت فرعا من فروع حركة النيلوفر البيضاء وقد كسبت نفوذا واسعا في اوائل سنوات (جيا تسنغ) فانتشرت سريعا الى ولايات تشيلي وهاونان وشانتونغ وشاني وشنسى لكنها كبحت عنوة على ايدي العسكريين المانشوريين في النهاية (٢) .

موقف المانشوريين نحو المبشرين المسيحيين :

ما دمنا في صدد الحركات الدينية في هذا العهد ، يجدر بنا ان نذكر موقف الموظفين الحكوميين نحو المبشرين المسيحيين في عصر تسنغ . فقد

---

(١) هسيو ايشان : التاريخ العام لاسرة تسنغ ــ ج ٢ ص ٣٢٠ ــ ٣٢٦

(٢) هسيو ايشان : التاريخ العام لاسرة تسنغ ــ ج ١ ص ٥٩٤

وجدت المسيحية الصين ارضا خصبة للدعوة والتبشير منذ اواسط عصر منغ ويظهر ان المبشرين كانوا يتمتعون بحرية في اعمالهم التبشيرية في الفترة الاولى من حكم اسرة تسنغ ولاقوا معاملة حسنة من الموظفين المانشوريين . بيد انه حدثت في اوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، امور اثارت اعصاب الموظفين الحكوميين ، نتيجة لخطوتين اجراهما المبشرون نحو المعتنقين الجدد للمسيحية من الصينيين . وكانت احداهما هي ان مرسوما بابويا قد صدر في ١٧١٨ م الى القائمين بامور التبشير في الصين لمنع الصينيين الداخلين في المسيحية حديثا من عبادة ارواح اسلافهم . وهذا التقيد الذي فرضه المبشرون على رعايا الصين داخل البلاد كان في نظر اولي الامور في الدوائر الحكومية مخالفا لتقاليد الصين وجرحا لكرامتها . وبالتالي احدث في نفوسهم غضبـا شديدا (١).

واما الثانية فكانت تدخل المبشرين في امور الصين الداخلية في اغلب الاحيان . ومثال ذلك ان المبشرين ورجال الكنائس عمدوا الى اعطاء الحصانة للصينيين المعتنقين للدين المسيحي في وجه القانون وتحمسوا لحمايتهم وبالاخص في النزاع الناجم من الوراثة او القضايا التي كان المعتنقون الجدد طرفا فيها . وهذا النوع من التدخل ولو كان عاديا او جائزا في نظر المبشرين انفسهم ، كان يسبب انواعا من المرارة في نفوس الموظفين الحكوميين وبالتالي رفعوا الالتماسات الى الجهة العليا باتخاذ التدابير الصارمة ضدهم . فلذا نرى في سنة ١٧١٦ م ان رئيس الشرطة لمدينة (كوانتشو) طالب الحكومة بمنع المبشرين ان يزاولوا نشاطهم في المدينة وفي السنة التالية طلب الحاكم العام لولايتي كوانسي وكوانتونغ بتحويل الكنائس الى المرافق العامة وبعد سنتين كان الحاكم العام كونغ يو هسيونج قد اوصى بابعاد المبشرين الاجانب من الولاية واثناء حكم الامبراطور جيان لونغ (١٧٣٦ ــ ١٧٨٤ م) عوقب بعض المبشرين الذين لم يكفوا عن النشاط التبشيري واستمروا في اعمال الدعوة سرا ، بالحبس لمدة مختلفة (٢) .

ومن المفهوم اذن ان رد الفعل السيء في نفوس الموظفين الحكوميين في عصر تسنغ بشأن اعمال المبشرين في الصين وعقائدهم الدينية كان ناشئا من حقيقة ان الموظفين انفسهم لم يكن لهم ايمان عميق بأي دين . ما عدا العقيدة التي ورثوها من آبائهم والتي تتمثل في احترام ارواح الاسلاف

---

(١) هسيوايشان : التاريخ العام لاسرة تسنغ ج ١ ص ٥٩٤

(٢) هسيوايشان : ج ١ ص ٥٩٤ و ٥٩٥

الصالحين من امثال (كوانكونغ) و (يسو فاي) و (جوكو ليانغ) وفي تتبع الدروس الاخلاقية التي تركها لهم فلاسفتهم الاولون من امثال (كانفوشيوس) و (مانشيوس) و (لوتز) والتي تتضمن التعاليم في الاداب وطرائق السلوك والمعاشرة وانواع العلاقات مع بني البشر واصول المجاملة الاجتماعية . فالشعب الذي لم يكن له عقيدة اساسية في الدين او فلسفة دينية معروفة لا يستطيع ان يفهم او يستحسن المفاهيم الاساسية للحياة التي تسعى المسيحية او الاسلام الى ترويجها بين ابناء البشر .

وبناء على هذه الوقائع التاريخية المذكورة آنفا تعتبر اسرة تسنغ في الصين على وجه عام اسرة مضطهدة للمسلمين وكانت تعمل بالاستمرار على تطبيق سياسة جائرة عليهم ، غير عادلة في حقهم في جميع انحاء الصين . ولقد لاقى المسلمون في سنكيانغ وشمال الصين الغربي ويو ننان بصورة اخص اسوأ معاملة في تاريخ الصين على ايدي حكام اسرة تسنغ . واليكم بعض التفاصيل في الفصل التالي .

الفصل الثاني

ثورات المسلمين في سنكيانغ والصين الداخلية

١ ـ وضع شمال سنكيانغ وجنوبها زمن ثورة الخوجوات :

استولت الصين خلال الفترة الاولى من حكم الامبراطور جيانلونغ (١٧٣٦ ـ ١٧٨٤ م) من اسرة تسنغ على تركستان الشرقية (اسم وضع مقابل تركستان الغربية الواقعة داخل الروسيا) ، التي كانت مساحتها تبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ ميلا مربعا وكان عدد السكان فيها يبلغ ثلاثة ملايين نسمة على وجه التقريب(١)، وكانت من الناحية الجغرافية تقع بين روسيا وافغانستان غربا وكشمير والهند جنوبا وقانصو بداخل الصين شرقا ومنغوليا وسيبيريا شمالا . وسميت بسنكيانغ يعنى الأيالة الجديدة بعد استيلاء الحكام المانشوريين عليها .

انقسمت هذه الولاية الجديدة الى قسمين رئيسيين يتوسطهما (تيان ـ شان) اي جبل السماء . فكان القسم الشمالي وقت ثورة الخوجوات معروفا بزونغاريا وهي المناطق الاصلية التي كانت قبائل (تونغان) تسكنها في شمال تيان ـ شان والتي تمتد من ارومجي الى بحيرة البلخ وكانت مدينة خولجا هي المركز السياسي والتجاري لحياة افراد هذه القبائل .

واما القسم الجنوبي فكان يعرف باسم (هوي كيانغ) في الكتب الصينية ، اي ارض المسلمين وفي كتب الغربيين بالكاشغرية وكان اسم « الكاشغرية » يتضمن معنى شبه الاستقلال الذاتي لها وكانت امارة او مملكة ابيست على ايدي امراء المغول في القرون الغابرة في المنطقة الواقعة جنوب (تيان ـ شان) الغربي وكانت مدينة كاشغر عاصمتها .

لقد وقعت هذه المملكة في اوائل القرن الثامن عشر الميلادي تحت

---

(١) هسيوايشان : ص ٨٤

سيطرة قرطان رئيس قبائل الدونغاريين فقام باكراه رؤساء المغول وابنائهم على المهاجرة الى وادي ايلي بالقسم الشمالي من سنكيانغ وان يعيش هناك ،كالفلاحين في الاراضي الزراعية او كالرعاة للاغنام والابقار في المناطق الجبلية . وعلاوة على هذا فقد فرض جباية ثقيلة على املاكهم ومنتوجاتهم وقيودا على عاداتهم وتقاليدهم . فلما فقد قرطان رئيس الدنغاريين سلطته في السنة الثالثة لحكم الامبراطور كانسي (١٦٩٦ م) نتيجة لفتوحات المانشو وتدخلها العسكري في امور الدونغازيا ، قام بتسليم عبد الرشيد احد زعماء المسلمين الذي كان مكرها على الهجرة الى ايلى في الشمال ، الى السلطات المانشورية. فطلب السيد عبد الرشيد العودة الى جنوب تيان ـ شان واجيز له بالعودة الى يارقند عن طريق هامي . وكان لعبد الرشيد ولد يسمى محمود . وكان هذا الفتى يبطن الحقد والضغينة للدونغاريين الذين اغتصبوا مملكة اسلافه بالكاشغرية . فقام بمحاولة لاقامة مملكة مستقلة في يارقند . غير ان السلطة القت القبض عليه وابعدته الى ايلى حيث كان يعيش تحت مراقبة شديدة .

٢ ـ الخوجة الكبير والخوجة الصغير :

كان لمحمود الملقب بالخوجة ولدان احدهما يسمى ببرنيت الملقب بالخوجة الكبير وعلي الملقب بالخوجة الصغير وفيمايلي احكي قصتهما المحزنة:

كان هذان الاخوان الخوجتان من المستبقيين من قبل السلطة المانشورية في الدونغاريا للاشراف على المزارعين المسلمين وجمع الجبايات من الاراضي والرسوم من المنتوجات للحكومة المحلية وعاشا في تلك الحياة مدة حتى طلب منهما ان يعودا الى الجنوب في مهمة عسكرية لاستئصال الاضطرابات التي اثارها الجبليون السود (١) الذين تلقوا المساعدات من اخوانهم في الدين في اواسط آسيا ورفعوا لواء العصيان على الحراس الدونغاريين في مدنهم واخرجوهم منها (٢) .

ففي السنة العشرين من حكم الامبراطور جيانلونغ (١٧٥٥ م) تم استيلاء القوات المانشورية على مدينة ايلى . فاغتنم ألور سالار ، القائد العام للقوات المانشورية هذه الفرصة بجمع رؤساء الجبليين البيض لتنفيذ سياسة توسعية مانشورية . فلذا قرر الاستفادة من هذين الاخوين

---

(١) كان الجبليون السود والجبليون البيض فئتين من المسلمين ظهرتا في جنوب سنكيانغ في القرن السادس عشر الميلادي . فالاولى كانت من اصل ايراني والثانية من اصل عربي فأصبحتا معاديتين احداهما الاخرى في مستهل القرن السابع عشر الميلادي .

(٢) هسيوايشان : ص ٨٥

الخوجتين الخوجة الكبير برنيت والخوجة الصغير علي جان ، وهما رئيسان لقبائل الجبليين البيض المقيمين بمدينة ايلى ، لقمع ثورة قبائل الجبليين السود التي ظهرت في جنوب سنكيانغ (١) . فأعد للخوجة الكبير برنيت جيشا مسلحا وامره ان يسير به الى الجنوب حينما كان اخوه الخوجة الصغير مأمورا بقيادة فرقة من الجيش المكون من المسلمين في منطقة ايلى التي كانت تحت سلطة آلور سالار .

سار الخوجة الكبير بجيشه الى الجنوب وطرد الجبليين السود الى اواسط الجبال. فوقعت اغلبية الاماكن في الجنوب تحت سيطرته بدون مقاومة شديدة . وبعد ذلك جاء اخوه الخوجة الصغير الى الجنوب وقابل اخاه الكبير في آقسو حيث استشارا سرا في امر يتعلق بحركة استقلالية في جنوب سنكيانغ . كان الاخ الكبير يفضل ان يبقى مواليا للسلطة المانشورية ويستعد تنفيذ جميع الاوامر الصادرة اليه من البلاط المانشوري ، غير ان الخوجة الصغير اصر على اخذ الاسلحة للتحرر من حالة العبودية التي كان رجال الخوجات يعيشون فيها . فنزل الخوجة الكبير عند رغبة اخيه الصغير وقررا ما يلي :

على الخوجة الصغير ان يجمع رجاله من جهة . ومن جهة اخرى ارسل نداء الى جميع المناطق في الجنوب يحث الناس في كل مدينة وقرية على الوقوف على قدم الاستعداد وانتظار الاوامر . لقد قيل ان الافا من الناس قد لبوا ندائه واظهروا تأييدهم له فعلا باستثناء حاكم كوشار الذي غلب عليه الخوف من وصول القوات الحكومية التأديبية . ففر الى ايلى واخبر الحاكم العام (توهسوي) وكان مقيما بالخولجا بما كان يجري في الجنوب. وبعد الفشل في تسوية الخلاف بالطرق السلمية ، إستعد الحاكم العام مقاتلة الثوار . فوقعت المعركة وحوصر رجال الخوجات في مدينة كوشار عدة شهور . فلما وجدوا ان الاغذية داخل المدينة قد اوشكت على النفاد وانهم لا يستطيعون ان يتغلبوا على القوات المانشورية ، عمدوا الى الفرار من المأزق ونجوا في ليلة من الليالي الداجية تاركين المدينة وراءهم للقوات المانشورية .

وكان الحصن الحصين الثاني الذي لجأ اليه رجال الخوجات هو مدينة يارقند حيث وقعت معارك شديدة بين الطرفين كسب المسلمون

---

(١) هسيوايشان : ص ٨٥

خلالها انتصارا عظيما في قاراسو ـ النهر الاسود ـ على القوات المانشورية واجبروا الحاكم تو هوي على الانسحاب بسرعة الى آقسو حيث جمع قواته مرة اخرى لمقاتلة رجال الخوجات الى النهاية . كان القائد المانشوري قد سار هذه المرة الى كاشغر بثلاثين الف من الخيول والجمال وقسمها الى فرقتين وكانت كل فرقة تتضمن ١٥٫٠٠٠ فارسا وراكبا . فقاد توهوي نفسه فرقة نحو كاشغر وقاد (فوته) فرقة اخرى نحو يارقند .

واما الخوجات فلم يستطيعوا اعداد العدة للمقاومة نتيجة للافلاس المالي في المدن التي كانت تحت سيطرتهم . ففضلوا ان يتركوا الميدان بدون قتال . وعندئذ عبروا الجدود مع عائلاتهم متوجهين الى خوقند ثم لجأوا الى بدخشان بشمال افغانستان اليوم .

لقد سجل تاريخ اسرة تسنغ ان القواد المانشوريين قد ساروا عقب الخوجان الى بدخشان وهددوا اميرها بالغزو ان لم يسلم راسي الخوجة الكبير والخوجة الصغير . فاضطر شاه بدخشان الى الاستجابة لتهديدهم بعد مدة من التردد والتفكير لكي يرفع شر الغزو عن مملكته .

هكذا انتهت قصة ثورة الخوجة الكبير والخوجة الصغير في سنكيانغ واصبحت نسيا منسيا عند العالم الاسلامي حتى لا يجد في تاريخ الاسلام شيئا مذكورا (١).

٣ ـ التنظيم السياسي بعد ثورة الخوجات :

مع انتهاء ثورة الخوجات وتكميل اخضاع الكاشغرية لحكم الامبراطورية المانشورية ، أخذ الحكام يفكرون تفكيرا جديا في كيف يحكمون هذه الولاية الجديدة على احسن الوجوه . فبعد دراسة طويلة ونقاش متزايد وصل المجلس السياسي الامبراطوري في بكين الى وجوب وضع نظام جديد للحكم في الولاية المذكورة وهذا النظام الجديد كان ينص على ما يلي:

أ ـ تأسيس ادارة المندوب السامي في كاشغر مع سلطة كاملة تمكنه المراقبة والاشراف على جميع الامور في المدن التي تقع بجنوب سنكيانغ . وبالتالي عليه ان يعين في كل مدينة وكيلا سياسيا وعلى كل قصبة او قرية

---

(١) هناك ثلاثة مراسلات بعثت من قبل الامبراطور جيانلونغ الى شاه بدخشان ذكرها الاستاذ الفرنسي ويسبير في كتبه : دراسة الاسلام في الصين : ص ١٣٦ـ ١٤٤ .

مديرا للشرطة لينظر في جميع الامور السياسة والادارية والعسكرية . ولا يجوز ان بشغل هذه المراكز الحساسة الا المانشوريين انفسهم .

ب ـ كانت هناك احدى عشرة مدينة للمسلمين بالاضافة الى عدد كبير من القصبات في هذه المنطقة منها اربعة في غرب الكاشغرية وهي كاشغر ويارقند وختن ويانيحصار . واربعة في وسط المنطقة وهي آقسو واوج وكوشار وبيشان وثلاثة في شرقها وهي هامي وطرفان وكاراشهر .

فنصب من قبل الحكومة المانشوربة على كل من هذه المدن مأمور سياسي يسمى (اعظم بيك) يعني كبير البكوات يختار من بين المسلمين لينظر في امور المسلمين الدينية والمدنية فقط . وكان لهم رغبة خاصة وفقا لنظام الخدمة المدنية في امبراطورية تسنغ .

كان (اعظم بيك) هذا هو المسؤول امام الوكيل السياسي لامور المسلمين الداخلين في نطاق دائرته .

وكان النظام يتطلب من كل اعظم بيك ان يؤدي يمين الولاء للامبراطور وكانت مراتب التشريفات للبكوات في مقابلة الامبراطور على حسب الاقدمية في السن . وبينما كان هذا النظام نافذ المفعول في جنوب سنكيانغ يجري تبادل الحامية والحراس من حين لاخر بين مدينة واخرى من المدن التي كان عليها بكوات بجنوب سنكيانغ وداخل قانصو .

كانت السلطة المانشورية في بكين قد اجازت لولاية الكاشغرية ان يكون لها نقد خاص يساوي الفلس المانشوري وزنا وقيمة اعتبارية . ولهذا الغرض فقد اسس في مدينة آقسو دار الضرب للنقود المسماة البول ـ المضروبة من النحاس الذي استخرج من يارقند . كان شكل ـ البول ـ وحجمه يماثل الفلس المانشوري ولكن مع فرق واحد . وهو انه ليس في البول تقب كما كان الحال في الفلس المانشوري . فكانوا يسمون كل خمسين بولا ـ تنكا واحدا ـ وكان هذا الاصطلاح معروفا في الهند ايام الامبراطورية المغولية .

وعلاوة على هذه الاجراءات فقد خفضت الضرائب بقدر خمسة في المائة من جميع الانواع من البضائع المعروضة للبيع في الاسواق وكانت هذه الخطوة مهمة جدا بالنسبة لاصلاح الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية

وتخفيض تكاليف المعيشة للسكان الذين كان الخوجات قد ارهقوهم بشتى الانواع من الرسوم والضرائب خلال ثورتهم للحصول على الأستقلال .

ثم حرم الحكام الجدد بالزواج المختلط بين المسلمين وغير المسلمين وعزلوهم عن غير المسلمين المدنيين الذين خصص لهم محلات السكنى الجديدة . وبالتالي ظهرت مدن جديدة الى جانب المدن القديمة في انحاء ولاية سنكيانغ . فكانت المدن القديمة تخص المسلمين واما المدن الجديدة فيقيم فيها الوكيل السياسي واتباعه .

ومع وضع نظام البكوات اخذ المسلمون في الاقتناع كما يبدو بحظهم من الحياة المستقرة والامن المضمون ومنذ ذلك الوقت عاش المسلمون في سنكيانغ في امن وسلام اكثر من ستين سنة حيث اطمئنوا في حياتهم اليومية وازدهرت احوالهم الاقتصادية والاجتماعية خلال هذه المدة .

الفصل الثالث

ثـورة جهانكير (١٨٢٠ م)

١ ــ العيوب في النظام السياسي الجديد :

ان النظام السـياسي الجديد الذي وضع من قبل المجلس السياسي الامبراطوري المانشوري في ولاية الكاشغرية كانت له اوجه حسنة منها فرض رقابة شديدة على حركات المسلمين مع اعطائهم نوعا من الحكم الشبه الذاتي الممثل في شخص الاعظم بيك . لان شخص اعظم بيك بالنسبة لاهالي المسلمين كان حاكما عليهم منهم ، لا وكيلا سياسيا . وقد كان الاخير مشغولا دائما من غير المسلمين ويعيش بعيدا عنهم وكانت مهمته الرسميـة منحصرة في مراقبة سلوك الاعظم بيك والاشراف على سير اعماله .

غير ان هذا النظام لم يكن خاليا من العيوب . وذلك طالما كان انتخاب الموظفين للمناصب الحساسة في المدن الاسلامية بسنكيانغ يجري على اساس الكفائة واللياقة كانت الامور تسير بدون توتر في الولاية . بيد ان انتخـاب الموظفين مع مرور الزمن لم تراع فيه هذه الشروط والاصول فدخلت المحسوبية في الاجراءات ففي اكثر الاحيان نصب اشخاص غير اكفياء في مراكز المسؤولية وقد تم ذلك احيانا من توصية مسؤول سابق متقاعد كان يأمل ان يعين رئيس جديد للادارة من اتباعه لكي يحمل اليه الهدايا من نقود وغيرها . وكانت هذه الحالة تخلق بدورها عصابة من بين الموظفين تحمي مصالحهم المشتركة في الادارات بكل وسيلة وتستنزف الاهالي باسـم الضرائب او الرسوم الجديدة وتتقاسم الموارد والمنافع فيما بينهم . فأصبح اعظم بيك في بعض المدن الاسلامية في سنكيانغ العوبة في يد الوكيل السياسي ومركزه يشابه الى حد ما مركز النواب او المهراجات في امبراطورية الهنـد البريطانية سابقا ، حيث يقوم مقام الوسيط في تنفيذ سياسة المستغلين ورغباتهم فقـط .

كان الوكلاء السياسيون في سنكيانغ ايضا قد شكلوا جماعة خاصة من انفسهم واتخذوا احيانا قرارا مشتركا لتحقيق مصالحهم المشتركة . كان

اعظم بيك قد يرفض امرا جاء من وكيل سياسي معين . ولكن الاوامر التي تصدر اليه من جماعة من الوكلاء السياسيين لها وزن اثقل لا يستطيع ان يرفضها او يهمل في تنفيذها . ثم ان اشخاص البكوات ايضا يتغيرون وينقلون من جهة الى اخرى. وفي اكثر الاحيان والحالة هذه لم يكونوا منتخبين محليا بل افراد من العقول الضعيفة اوتوا من مدن اخرى ونصبوا من قبل الوكلاء السياسيين على السكان المسلمين في منصب اعظم بيك . وطبعا ان المسلمين المحليين لا يتلقون العناية والرحمة من اشخاص غرباء .

والحقيقة ان الاعظم بيك في كل مدينة والحالة هذه ، لا يستطيع ان ينظر في شيء غير ما فيه مصالحه الشخصية . فاذا كان مستعدا في اغلب الاحيان لقبول طلبات جماعة الوكلاء السياسيين والخضوع لرغباتهم وعلى الاخص فيما يتعلق بتنفيذ امر جديد من الاوامر الهادفة الى زيادة الضرائب او فرض نسبة اضافية على الايرادات نقدا او عينا . فالمبالغ التي جمعها هؤلاء البكوات بهذه الطريقة يتقاسمها كبار الموظفين في ادارات البلديات. فكان كبير الوكلاء يأخذ ٢٠٪ ويترك الباقي لمن تحته من الموظفين فلم يكن في امكان احد ان يتدخل في هذه التصرفات او يرفع تقريرا الى القصر الامبراطوري في بكين . لان هذا النوع من التصرف الشاذ كان من اعمال جماعة او عصابة اشترك افرادها جميعا في اعمال النهب والابتزاز . فلذا كان السكان يتعرضون للاستنزاف في كل مناسبة واصبحوا ضحايا بريئة لمظالم هذه العصابة الادارية . غير ان المظلومين لا يستطيعون ان يبقوا ساكتين الى الابد .

ان هذا النوع من الاعمال الدنيئة والاجراءات الجائرة المفروضة من قبل المسؤولين على سكان الكاشغرية قد سبب ثورة معروفة بثورة جهانكير في كاشغر في السنة الخامسة والعشرين من جلوس الامبراطور جيانلونغ الموافق ١٨٢٠ م .

٢ ـ جهانكير زعيم الثورة :

كان جهانكير هذا حفيدا للخوجة الكبير الذي اوردناه في السطور السابقة لقد ترك الخوجة الكبير ابنا اسمه شاموك الذي التجأ الى خوقند . فخلف فيها ثلاثة اولاد ذكور وكان ثانيهم جهانكير . كان فتى قوي الجسم شديد الشكيمة ذا نشاط عظيم ومحبا للعلم والمعرفة . فلذا اشتهر اسمه بين القبائل بأطراف خوقند . فقد اضطر عدد كبير من المسلمين الذين لم يستطيعوا ان يتحملوا مظالم الاداريين المانشوريين الذين كان في ايديهم مقاليد

الامور بجنوب سنكيانغ ، على الحوادث المؤلمة السابقة الذكر الى الفرار الى خوقند . وفي نفس الوقت كان اهالي مدينة بوروت ينظرون الى الاداريين المانشوريين نظرة بغض وكراهية ويرغبون في اتباع زعيم يقدر على قيادتهم للانتقام من المانشوريين . وكان السبب في ذلك هو سوء المعاملة التي تلقوها على ايدي المسؤولين في الكاشغرية . فتقبل جهانكير عندئذ منصب الزعامة للبروتيين في السنة الخامسة والعشرين من جلوس جيانلونغ . وبعد ذلك جمع عددا كبيرا من الاتباع فسار بهم نحو كاشغر . لكنه قد سد طريقه على نقطة ضيقة بالحدود . وبالرغم من ذلك كان يقوم بغارات بين حين واخر على الحدود الكاشغرية .

في سنة ١٨٢٥ م كان حامي الحدود للامبراطورية المانشورية قد خرج بجيش كامل السلاح وقطع في مسيرته ٤٠٠ ميلا بعيدا عن مقر مركزه على امل الالتقاء بجهانكير زعيم الثوار والقاء القبض عليه . ولكنه لم يصادفه في الطريق . وعوضا عن ذلك اطلق سراح الجيوش على القبائل في ضواحي المدينة فنهبوا الاهالي وقتلوا مئات من رجال القبائل ونسائهم . فقام شيخ القبائل المسمى بتلاعق بجمع الفين من رجال الخيل واطلقهم وراء الجيوش المانشورية حتى اجبروهم الى التحصن في الجبال . واثناء هذه الايام بعث هويرسل الى المدن المجاورة يطلب المدد من رؤساء القبائل فطار اليه جماعة كبيرة من رجال القبائل تلبية لندائه .

ظهر جهانكير امام مدينة كاشغر في سنة ١٨٢٦ م فذهب اولا الى مقبرة جده الخوجة الكبير وقرأ الفاتحة على روحه ، ثم جمع حوله حشدا من المسلمين الذين اتوا من المدن المجاورة فاستطاع ان ينظم جيشا كبيرا خلال ايام قلائل . وقد بلغ عددهم عشرة الاف جندي ما بين راجل وراكب وبهذه القوة البشرية الهائلة استطاع ان يتغلب على حامية كاشغر بكل سهولة . وفي نفس الوقت وصلت قوة مكونة من ٣٠٠٠ جندي من خوقند لمساعدته فاستولى على كاشغر يوم ٢٠ اغسطس ١٨٢٦ م وعقب هذا النصر المبين سار بجيوشه نحو يانغحصار ويارقند وختن . فسقطت هذه المدن في يده واحدة بعد الاخرى . واصبح بذلك مالكا لهذه المدن الاربع بكل معنى الكلمة.

بيد ان البلاط المانشوري في بكين كان يرى من اللازم ان يتخذ الاجراءات الكفيلة لإعادة هذه المدن الى سلطة الحكومة . فاذا الاوامر قد اصدرت الى (يانغ يو تشونغ) الحاكم العام لولايتي قانصو وشاني لان يسير برجاله وكانوا خمسة الاف جندي نحو مدينة (هامي) لقمع الثورة بجنوب

سنكيانغ . وفي نفس الوقت كانت الاوامر قد اصدرت الى الجنرال « وو لونغ او » القائد العسكري بولاية شانتونغ بأن يتجرك بجماعة من الفرسان مكونة من ٣٠٠٠ فارس لتعزيز مركز الحاكم العام (يانغ يو تشونغ) في آقسو . ولقد تحولت هذه المدينة الان مركزا مهما بالدرجة الاولى للعمليات العسكرية حيث اجتمع عشرة الاف من الجيش بين المشاة والخيالة فهاجموا قوات جهانكير من ثلاث طرق رئيسية ، تلتقي في نقطة استراتيجية مسماة باوربين وهي واقعة ٣٠٠ ميلا بعيدا عن جنوب آقسو .

٣ ـ معركة نهر الخـون :

واما جهانكير فلم يستطع ان يدافع عن تلك المدينة وانسحب منها الى حيث تركز قواته البالغة مائة الف جندي على ساحل نهر الخون الواقع ٨٠ ميلا بعيدا عن مدينة كاشغر مع عزم اكيد على محاربة الاعداء الى اخر رجل في جيشـه .

فوضع جنوده على طول سواحل النهر المذكور التي تمتد عشرين ميلا وحفر الخنادق وانشأ التحصينات وعزز معنوية الجيش بقوة الايمان والعقيدة واخذ يترصد حركات الاعداء في نقظة وحذر .

ومن المسلم به انه لم يكن هناك تكافؤ بين قوى الجيشين من ناحية عدد الرجال لان قوة الحكومة المانشورية التي كانت تحت قيادة الجنرال يانغ لم تبلغ الا ثلث جيش المسلمين الذين كان يقودهم جهانكير . غير ان تفوق الاستراتيجية العسكرية التي وضعها القواد المانشوريون في مجابهة الحالة قد ابطل تدبير جهانكير وجعله غير عملي بالمرة . لان القوات المانشورية لم تبدأ بالهجوم على الجيش الرئيسي من قوات جهانكير وكانت منيعة وصعبة الانكسار . انما الذي فعلته القوات الحكومية في اول الامر هو ارسـال الف فارس الى مهاجمة الجانب الادنى من خط دفاع جهانكير . ثم بعثوا ببضعة الاف من الجند لمهاجمة الجانب الاعلى . فكانت هذه الاستراتيجية التي وضعتها قيادة القوات المانشورية قد سببت اضطرابا عظيما في صفوف جيش جهانكير الذين لم يكن لهم اي علم بحقيقة عدد جيش الاعداء في الميدان . وعلى الاخص اذ كانوا يواجهون هجوما شديدا من مدفعية الاعداء على الخط الرئيسي . مما يسبب الاختلال بين صفوف جيش جهانكير وانقطاع الاتصال بين جناحه الايمن والجناح الايسر . وبهذه الخطـة الاستراتيجية المحكمة التي ادت الى عدم استطاعة جهانكير صد الهجـوم من كل جانب وبالتالي خسر المعركة في الميدان في ايام قلائل .

بعد هذا الانتصار صارت جيوش الحكومة المانشورية بسرعة نحو كانفر التي فتحوها في شهر مارس ١٨٢٧ م ثم سقطت مدن يارقند ويانغحصار وختن في ايديهم في الشهور المتوالية . وبهذه الطريقة تمكنت الحكومة المانشورية من اعادة منطقة الكاشغرية كلها بما فيها المدن الأربع الكبرى الى سيطرتها وعينت الجنرال يانغ فانغ احد قواد الجيش الصيني رئيسا للحامية المكونة من ٨٠٠٠ جندي للدفاع عن منطقة الكاشغرية كلها .

واما جهانكير فقد عبر الحدود الى خوقند . بيد ان السلطة المانشورية وضعت عشرة الاف مثقال من الذهب مكافأة لمن يأتي برأسه . وبالرغم من هذا الاغراء المالي الهائل لم يستجب احد لطلب السلطة المانشورية . ولكنه قبض عليه اخيرا عن طريق الغدر اذ كان المانشوريون يعرفون ان جهانكير من فرقة الجبليين البيض وكان الجبليون السود خصومهم . فبعثوا السود الى ما وراء الحدود ليخدعوا جهانكير ويستدرجونه الى قرب الحدود . فجاء ليقابل الجبليين السود . فلما وصل الى نقطة مسماة (آموكيل) ، طوقه المانشوريون فجأة والقوا القبض عليه في ممر جبلي . فقيدوه بالحديد ثم ارسلوه الى بكين .

كان الامبراطور (تو كوانغ) قد رغب في رؤية هذا الزعيم الثائر لكي يسأله شخصيا عما يتمناه في هذه الحالة . بيد ان الموظفين الذين كان لهم علم تام بالعوامل التي ادت الى هذه الثورة الدموية ، كانوا يخشون من أن جهانكير سيكشف عند الامبراطور النقاب من اعمال الارتشاء والفساد التي كان المسؤولون عن جهاز الادارة والحكم قد تعودوا عليها في الكاشغرية . فسمموه قبل ان يصل الى قاعة العرش . وبهذه الطريقة حكموا عليه بالصمت الدائم المطبق قبل ان يفوه بشيء من فضائحهم ومخازيهم المالية والادارية .

هكذا اسدل الستار على حقائق ثورات المسلمين في جنوب سنكيانغ خلال حكم الامبراطورية المانشورية حتى لا يعرفها احد من العالم الاسلامي من ذاك الوقت الى الان .

الفصل الرابع

ثورات المسلمين في شمال الصين الغربي

ظهرت خلال حكم اسرة تسنغ اي (الامبراطورية المانشورية) في الصين ثورات عديدة قام بها المسلمون في شمال الصين الغربي لاسباب شتى . فالاولى قد وقعت في (لانتشو) في السنة السادسة من حكم الامبراطور (جيانلونغ) المصادف ١٧٨١ م . والثانية في منطقة (شيفانباو) وهي امتداد للثورة التي ظهرت في (لانتشو) . واما الثالثة فقد حدثت في ولاية شانسى في اول سنة من حكم الامبراطور (تونجي) المصادف ١٨٦٢ وانتشرت مؤخرا الى ولاية قانصو .

وفي السطور الاتية اود ان اقص على القراء قصة هذه الثورات على سبيل الاختصار .

١ ـ ثورة لانتشو وشيفانباو (١٧٨١ م)

لقد ذكرت اثناء الحديث عن ثورة الخوجات ، فرقتين رئيسيتين دينيتين وجدتا في سنكيانغ . وهما فرقة الجبليين البيض وفرقة الجبليين السود . وكانت احداهما منافسة للاخرى متخاصمتان في كسب النفوذ السياسي والسلطة الدينية . وكانت من الفرقة الاولى عائلة الخوجات . واما الفرقة الثانية فكان لزعماء الدين من بين عشيرة السالار المنحدرة من اصل ايراني والتي انتشر افرادها في سنكيانغ وقانصو على مرور الايام .

في شمال الصين الغربي يعني ولايات قانصو ونينشيا وتنسغاي كان لفرقة الجبليين السود مقر في سينينغ وهي عاصمة ولاية نينشيا الحالية . وكان لهذه الفرقة بعض ارشادات خاصة منها قراءة القرآن الكريم صامتا . انهم قد اتبعوا هذا التقليد منذ ظهور الفرقة بدون اية معارضة . فحدث خلاف مذهبي بين المسلمين خلال حكم الامبراطور (جيانلونغ) عندما عاد عالم كبير معروف باسم محمد امين (مامن شين) من زيارته للمدن

الشهيرة الزاهرة بالعلوم والمعارف في اسيا الوسطى . كان هذا العالم قد لاحظ في جميع المراكز الاسلامية في سمرقند وبخارا وفرغانة بأن الناس هناك لا يقرأون القرآن في صمت بل بصوت جهوري . فلما عاد الى ولاية قانصو ، اخذ يدعو الناس الى تلاوة القرآن الكريم بصوت جهوري . فنجم من هذا الاختلاف شقاق بين زعماء المسلمين الدينيين في مدينة (سينينغ) ومن ذلك الحين ظهر في شمال الصين الغربي فرقتان . احداهما التي كانت تتمسك بمبدأ تلاوة القرآن صمتا كانت تعرف بالفرقة القديمة او (الخفية) . واما اخراهما التي اتبعت الطريقة الجديدة في قراءة القرآن فكانت تعرف بالفرقة الحديثة او (الجهرية) (١). ومن الطبيعي ان يؤدي هذا الشقاق الى الجدال وهو بدوره يؤدي الى اضطراب خطير في المناطق التي بها المسلمون . فاشتد هذا الخصام المذهبي فيما بينهم حتى حدث اصطدام دموي في سنة ١٧٨١ م اذ كان رجل يدعى السيد (سوه) المعروف بالثالث والاربعين وكان من تلامذة محمد امين الذي اشرت اليه آنفا ، قد جمع اتباعه وشنوا هجوما عنيفا على رجال الفرقة القديمة . فأسفر عن عدد من الجرحى والقتلى بين الطرفين .

ولقد رفع امر الحادث الى قاضي مدينة لانتشو . فاغتيل هو واعوانه اذ كان يقود رجاله لاعتقال المجرمين . واثر ذلك اضطر الحاكم العام في ولاية قانصو الى اتخاذ تدابير حاسمة . فاعتقل محمد امين زعيم الفرقة الحديثة والقي به في السجن . فحينئذ قام اتباعه بتطويق المدينة طالبين اطلاق سراح زعيمهم فورا . فدعاه الوكيل السياسي الى الصعود الى سور المدينة والتحدث الى اتباعه الواقفين تحت السور قائلا : انه سوف يطلق سراحه ان توقفوا عن الهجوم . غير ن الوكيل السياسي لم يوف بوعده . وانما خادع المسلمين باعدام محمد امين في السجن قبيل الفجر . فكان هذا الاعدام قد اوقد نار الثورة في نفوس المسلمين . فقاموا بهجوم على مدينة لانتشو . فبعثت الحكومة المانشورية بفرق من المدفعيين لمواجهة الحالة . ثم جاءت بتعزيزات عسكرية من مدينة سيان وساقوا الثوار المسلمين الى جبل (لين هوا) الواقع على جنوب مدينة لانتشو حيث إنشأوا حصنا حصينا . فطوق جيش الحكومة المسلمين من ثلاثة جوانب مدة شهور . واخيرا لما وصلت التعزيزات الجديدة تمكنت قوات الحكومة المانشورية من التوغل الى داخل الحصن . واما المسلمون المتحصنون داخل المساجد فالقوا انفسهم في النار وماتو فيها احياء ولم يرض احد منهم من تسليم نفسه

---

(١) فوتهونغ هسيان : ص ١٤٠ – ١٤١

الى يد قوات الحكومة . وبطبيعة الحال فان هذه الثورة قد انتهت بسقوط جبل لين هوا في ايدي جيش الحكومة .

٢ ـ حادث (شيفانباو)

بعد انتهاء الاضطرابات في لانتشو استمر المسؤولون المانشوريون في اجراء التحقيقات بصدد الاشخاص الذين لا يزالون يتبعون تعاليم الفرقة الحديثة . فنظروا اليهم بعين الريب والشك ورأوهم يسلكون مسلكا مريبا مثل اولئك الذين سلكوا في فرقة (النيلوفر الابيض) وهي فرقة بوذية قامت بحركة العصيان ضد الحكومة (سيأتي ذكرها) . واثناء التحقيقات عومل اتباع الفرقة الحديثة معاملة قاسية حتى احدثت في نفوس المسلمين بغضا وتذمرا .

كان زعيم الفرقة الحديثة (تيان او آخون) الذي ورث من استاذه محمد امين مقام الزعامة قد استمر في دعوة الناس الى اتباع ارشادات الفرقة الحديثة في محلة تسمى (شيفانباو) وقد كان يستخدم المسجد بالمحلة كمركز روحي لدعوته . فشعر يوما ان اتباعه قد اصبحوا مضطهدين في ايدي رجال الحكومة ولا حول لهم . فأوحاه هذا الشعور الغيور الى تشجيع المسلمين في دائرته على ممارسة الاعمال الرياضية والكشفية والاقامة في المخيمات والتدرب على استعمال الاسلحة النارية . ويظهر انه قد ابقي هذا النوع من النشاط في سرية كاملة ولم يكشف عنه حتى الشهر الرابع من السنة الثامنة والاربعين من جلوس الامبراطور (جيانلونغ)١٧٨٣ م وكان ذلك بالصدفة اذ كان يبعث ببعض اشخاص من تلامذته ليطلعوا على الامور في مدينة مجاورة . فالتفت حاكم ولاية قانصو الى وجود اشخاص مرتابين في مكان ما . فأرسل جنوده يتبعون اثرهم حتى احاطوا بهم في محلهم . فحصلت المعركة الحامية الوطيس خارج بلدة (فوكان) التي عادت على الطرفين بخسائر فادحة . بيد ان (تيان او آخون) زعيم الفرقة الحديثة قد استشهد في الميدان .

وبعد هذا اصدر الجنرال (لي تزي يسو) وكان قائدا مانشوريا قد اشترك في محاربة اتباع محمد امين في لانتشو قبل سنتين ، امرا قاسيا ذهب على اثره بالالاف من الارواح البريئة من النساء المسلمات والاطفال . كان هذا القائد يكره المسلمين اكراها شديدا وعقد النية على ابادة المسلمين في نطاق دائرته الى آخر شخص . فقام في هذه الحالة العصيبة بعض

الزعماء المسلمين وكان منهم «ماتزي كوي وجانوان تشنغ» بتكتيل الجماهير المسلمين الى الوقوف صفا واحدا في وجه الخطر المحدق بهم . فجمعوا قوة كافية وعبروا النهر الاصفر في الشهر الخامس من السنة المذكورة في نقطة (تسثيوان) . فساروا نحو مدينة (تهوي نوي) وسيطروا عليها . غير انهم لم يلبثوا طويلا حتى طردوا منها عقب وصول التعزيزات للقوات المانشورية التي كانت مكونة من الفي رجل من رجال المدفعية تحت قيادة الجنرال (آكوي) . فتقهقروا الى (شيفانبساو) مع عزم على ان يدافعوا عن انفسهم الى آخر رجل . بيد ان قطع الماء من قبل القوات المانشورية عن المسلمين المتحصنين لم يترك لهم مجالا للبقاء داخل الحصن طويلا . فحاولوا ان يحدثوا فجوة بالقوة بين صفوف الاعداء ليخرجوا من المأزق الذي وقعوا فيه . فسقط اعظمهم ضحايا اثناء هذه المحاولة . فدخلت القوات المانشورية المدينة وضربت يمينا وشمالا وقطعت الاعناق تاركة نحو خمسة الاف من النساء والاطفال بلا عائل تحت رحمة الاقدار .

بعد سقوط (شيفانباو) وافناء الاغلبية من اتباع الفرقة الحديثة ، انتهت الاضطرابات واستقر الوضع . وعندئذ صدر مرسوم امبراطوري ينص على منع المسلمين من ان يتجادلوا في امور الفرق المذهبية الدينية من الان فصاعدا .

٣ ـ ثورات المسلمين في شانسي وقانصو (١٨٦٢ ـ ١٨٧٠ م)

في السنوات الاخيرة من حكم الامبراطور (شيان فونغ) ١٨٥١ ـ ١٨٦١ اخذ (نيان شو سن) رئيس الشرطة لولاية هاو ـ نان ، من المديريات المجاورة ستمائة من الشبان المسلمين عن طريق التجنيد ليستخدموا في الحراسة والمحافظة على النظام وامن الولاية . فلما نقل فيما بعد من ولايته الى اخرى تسمى (هاو به) اطلق سراح هؤلاء الحراس المسلمين وأمرهم بالعودة الى بيوت ابائهم . لقد قطع هؤلاء اذ كانوا في طريقهم الى قراهم ، عددا من شجيرات القصب في مكان يسمى (قرية الجان الصغيرة) ليعملوا منها ارماحا وكانوا في حاجة اليها للدفاع عن انفسهم في الطريق . وكان عملهم قد سبب اصطداما عنيفا بينهم وبين المتطوعين الذين شكلوا محليا للحراسة والدفاع عن مصالح القرويين في المنطقة .

وفي تلك الايام كانت هناك ثورة هائلة معروفة بثورة (البوكسر) التي قادها زعيم الثوار المعروف بـ (هونشيسو تشوان) في الصين الوسطى . ثم هناك عصابات خرجت عن القانون في كل مكان وتعرف

باسم (نيانفاي) واخذت تنهب الناس بكل طريقة مما اضطر القرويين في المنطقة الى تشكيل جماعة من المتطوعين للدفاع عن انفسهم من شـــرور الخارجين على القانون . فلذا حصل الاصطدام بين المتطوعين المحليين وبين جماعة المسلمين الذين كانوا في الطريق الى اوطانهم . ونتيجة لذلك توفي اثنان من الاخوان المسلمين . فانتشر الخبر بسرعة الى (دالي) وهي بلدة مجاورة يسود جوها التوتر بين المسلمين وغيرهم منذ ايام . فالذين كانــوا يطوون في قلوبهم الكراهية نحو المسلمين اغتنموا الفرصة وحرضوا السكان المحليين على المسلمين من جهة ومن جهة اخرى ارسلوا رجالهم الى عاصمة الولاية يتهمون المسلمين امام الحاكم العام بأنهم قد قاموا بنشاط ســـري ضد سلطة الولاية وطالبوه ان يتخذ الاجراءات الصارمة لوقف الاضطرابات فـــورا .

وعلاوة على هذا ، كانت هناك شائعات روجها المغرضون بين النـــاس قائلة : ان القوات الامبراطورية المانشورية ستصل لاستئصال المسلمين عن آخرهم فوضع المسلمون والحالة هذه في اضطراب وذهول ولم يعرفوا مـــاذا يفعلون . وفي نفس الوقت اشتد سوء الظن من وقت لاخر بين المسلمين وغير المسلمين حتى اعتقد جانب ان جانبا اخر يسعى الى القضاء عليهم .

ثم ظهر في هذا الحين من بين المسلمين بمدينة (واينان) رجل يـدعى (شنوو) وقيل انه من المحاربين الذين اشتركوا في الثورة التي ظهرت في ولاية يوننان في السنة الخامسة والسادسة خلال حكم الامبراطور (شيان فونغ) ١٨٥٥ ــ ١٨٥٦ م وكان رجلا شجاعا وقد جمع حوله اولئك الذيـــن كانوا يستخدمون كالحراس من ولاية (هاونان) استعدادا لمقاومة الجيش الحكومي اذا جاء ليهاجم المسلمين المعتصمين في مدينتهم .

وكان هؤلاء الناس قد احكموا مركزهم في مدينة (واينان) في السنة الاولى من حكم الامبراطور تونجي ــ ١٨٦٣ م ــ واما البلاط المانشوري فقد بعث بشخص يسمى (جانزي) بصفته مندوبا لتأمـــين الولاية . فوصل في الشهر الخامس الى مدينة (لين تهونغ) فزاره جماعة من المسلمين صباح اليوم الثاني لمعرفة خططه في تأمين الولاية . فقال لهم ، انكم مسلمـــون طيبون غير مثيرين للفتن والاضطرابات في البلاد . فالهجوم الوحيد هـــو (شنوو) لانه هو الذي يحرض الناس على الخروج على القانون . فهـــو الرجل الوحيد الذي يكون مسؤولا عن جريمة اراقة الدمـــاء .

وكان (شنوو) حينذاك موجودا بين الحاضرين عند مندوب الامن .

فخرج سريعا وجمع عدة الاف من رجاله حتى اعتقل المندوب المشار اليـه وضرب عنقه . وبعد ذلك سار بهم الى تطويق مدينة (سي ــ آن) . فلمـا وصل هذا الخبر الى بكين قرر البلاط المانشوري ارسال القائدين المعروفين بالصلابة والدهاء ، احدهما (تولونغ او) والاخر (شن ــ باو) الى منطقة الاضطراب التي انتشرت فيها الفتن والفوضى . فسيطروا اولا عـلى بلدة (وانكو) وبلدة (كانبه ــ جنغ) . وفي الربيع القادم اخرجا المسلمين من (سي ــ آن) ، عاصمة ولاية شنسي . فهلك في هذه المعركة جماعة كبيرة من المسلمين . واما الباقون منهم فقد فروا الى ولاية قانصو التي تورطت مباشرة في الاضطرابات الممتدة من سي ــ آن .

وقد ارسل المسلمون من اهالي شنسي اثناء عملياتهم ضد القوات الحكومية ، رسلهم الى قانصو طالبين النجدة من اخوانهم في الدين هناك . فاستجابوا فورا لطلباتهم . فكان زعماء المسلمين في قانصو مثل (ما هوا لونغ) قد رفع لواء النجدة في بلدة "جنجي باو» و «مابتيوان» قد حصن مركزه في سينينغ و « باي نيان فو » قد جمع رجاله في «واينان » . وكانت حالتهم المعنوية عالية جدا . فأنزلوا بالجيوش المانشورية مكلمة عدة مرات .

كان (ما هوا لونغ) تلميذا للسيد محمد امين الذي ذكرته من قبـل . فأصبح اماما للمسلمين في المنطقة وزعيمهم خلفا للشيخ مطاع الامـــام المتوفي . فكان المسلمون في سينيغ يرحبون بقدومه لانه زعيم محبوب ومحترم الكلمة عند جميع فئات المسلمين هناك .

وفي نفس الوقت كان الزعماء الاخرون مثل (ما نيانلونغ) و (ما تسان غاو) وغيرهما قد جمعوا رجالهم في مدينة هوتشو وقاموا بمهاجمة بلدة تيتاو واشعلوا نار الثورة بين المسلمين في كل مكـان .

٤ ــ الجنرال تسو تسونغ تانغ واعماله العسكرية ضد المسلمين :

ان التفاصيل عن هذه الثورات وعن العمليات العسكرية التي قامت بها الحكومة المانشورية لقمعها قد ذكرت في كتاب (للمؤلف الانكليزي بالس) عن الجنرال تسو تسونغ تانغ ، القائد الذي تم على يده قمع هذه الثورات الدموية . وفيما يلي مقتطفات مما جاء في هذا الكتاب عن العمليـات العسكرية التي قام بها الجنرال تسو تسونغ تانغ ضد الثوار المسلمـين في شمال الصين الغربـي :

« كان الموقف خطيرا . وكان البلاط الامبراطوري المانشوري قد عين الجنرال تسوتسونغ تانغ ليكون القائد الاعلى لاقرار الامن في الولايـــات الشمالية . وكان قائدا قديرا ومن مواليد (هونان) وقد إشتغل منـذ سنوات عديدة في قمع ثورات البوكسر وفتن (نيانفاي) في الصين الوسطى . فوصل في السنة السادسة من حكم الامبراطور تونجي ـ ١٨٦٧ م ـ الى مدينة (سي ـ آن) وجعلها مقرا لقيادته . فقسم جيوشه الى ثلاثة فـرق تتقدم من ثلاثة طرق . فوضع فرقة شمالية تحت قيادة الجنرال «ليو سون شان» مأمورا بالسير من صوبيه نحو بلدة (جنجي باو) والهجوم عليها . ووضع فرقة جنوبية تحت قيادة الجنرال (تشو كاي شيه) على ان تنقدم من مدينة (تاي تشو) الى (هوتي). واما الفرقة الوسطى فيقودها نفسه وسار بها من ولاية شنسي نحو قانصو وسيق امامه جميع السكان المسلمين لكي يطمئن من الجبهة الخلفية وينحصر القتال في الميادين الامامية وبداخـل ولايـة قانصـو .

وصل الجنرال (ليو سون شان) الى بلدة (سوي تسه) في الثاني عشر من السنة السابعة من حكم الامبراطور ثونجي متوجها الى (تاليتشوان) و (شوليتشوان) . فاستولى على حصون المسلمين تاركا في الميدان ٨٠٠٠ قتيلا . ففي الشهر الثامن من السنة الثامنة للامبراطور تونجي ـ ١٨٦٩ م ـ دخلت قوات الجنرال ليسو ، مدينة لين تشو حيث كانت تجابهها القـوة الرئيسية التابعة للقائد العام (ما هوا لونغ) والتي تلقت سلسلة من الهزائم على ايدي قوات الجنرال ليسو .

وقام في ذلك الوقت القائدان المسلمان (تسوي سان) و (ماتشنيغ نيان) بمحاولة تنسيق نشاطهما مع المسلمين في (هاوتشو) لكي يساندوا (ماهوالونغ) الذي كان يقاوم تقدم الجنرال ليو بمدينة لين تشو . غير ان محاولتهما قد اكتشفت من قبل الضباط المانشوريين . فأرسلوا رجالهـم ليقابلوهما في نصف الطريق وفي كمين نصب لهما قتلوا من رجالهما نحو ٥٠٠٠ جندي مسلم فسقطت اخيرا مدينة لين تشو التي كان ما هوا لونغ قد احتفظ بها لمدة طويلة في ايدي قوات الجنرال ليو . واما ما هوا لونغ فقد فر الى جنجي باو ـ الحصن الحصين للمسلمين .

وفي الشهر الاول من السنة التاسعة للامبراطور تونجي ـ ١٨٧٠ م ـ قتل الجنرال ليو سونغ شان ، من رصاص طائر حينما كان يقود الحملة

العسكرية ضد قلعة (ماوو) . فنصب ابنه لسيوتشنغ تانغ مكانه (١) وهو الذي كان قد استولى على جنجي باو وحصون المسلمين واحدا بعد اخر .

وفي الشهر الحادي عشر من نفس العام سلم ما هوا لونغ نفسه للجنرال ليو تشنغ تانغ واعترف بخطأه امامه . لكنه ذافع عن المسلمين الاخرين قائلا : انهم بريئون . وكان يأمل بذلك من انقاذ اكبر عدد من المسلمين من الوقوع في عقوبة الاعدام . كما حث المسلمين على الهجرة الى بينغ ليانغ وقد هاجر اليها نحو عشرة الاف من المسلمين على اشارته (٢) . واخيرا اعدم ما هوا لونغ . وباعدامه انتهت مقاومة المسلمين للقوات المانشورية . كما سلم (ما تسلن فاو) القائد المسلم في ها وتشو للقوات المانشورية ايضا وعندئذ ساد النظام والاستقرار في ولايتي شنسى وقانصو . وقد تم ذلك على يد الجنرال العبقري تسو تسونغ تانغ . بيد ان باي نيان فو القائد المسلم الثالث قد هرب الى سنكيانغ حيث اشترك مع يعقوب بيك في مغامرته المعروفة التي سنذكر بعض التفاصيل عنها في السطور التالية .

---

(١) اصبح ليو تشنغ تانغ فيما بعد اليد اليمنى للجنرال تسو تسونغ تانغ في قمع ثورة يعقوب بيك .

(٢) باي شواي : ص ٤١٥ ــ ٤١٩ وايضا فهوتهونغ هسيان : ص ١٤٣ ــ ١٤٤

الفصل الخامس

يعقوب بيك والحركة الاستقلالية التي قام بها بين ١٨٦٥ و ١٨٧٧ م

١ ـ الاوضاع في سنكيانغ وقت مغامرة يعقوب بيك :

في الوقت الذي قام يعقوب بيك بمغامرته الانقلابية كانت سنكيانغ كما جرت العادة تحت سيطرة نائب الامبراطور المانشوري الذي عين من قبل البلاط المانشوري ببكين . وكان لهذا النائب مقر العمل في مدينة خولجا قريبة من حدود الروسيا . ولكن الحقيقة ان هذه الولاية الجديدة كانت قد قسمت الى امارات يحكم عليها الامراء المحليون تحت لقب بيكوات او شاهان . وعليه كانت مدينة الهامي تعتبر امارة او دويلة مستقلة يحكم عليها حاكم الهامي او امير الهامي وكذلك الكاشغرية التي لها عاصمة في كاشغر يحكم عليها صادق بيك . واما ارومجي فقد كانت تحت حاكم اخر ملقبا بهوي هوي وانغ اي السلطان المسلم وكان يعتبر اقوى الحكام في ولاية سنكيانغ .

وكان السبب المباشر لهذا التفكك في الوضع السياسي في سنكيانغ هو اضطراب طويل وعدم الاستقرار الذي انتشر في داخل الصين على نطاق واسع . فساعد على هذا التفكك ضعف قوات الحراسة الصينية المرابطة داخل ولاية سنكيانغ وطموح فئات مختلفة من الناس في الحصول على النفوذ السياسي او على الحكم الذاتي في سنكيانغ كلها او في جزء من ارجائها الواسعة .

ونأخذ اولا مثلا تومين خان . لقد كان زعيما من زعماء المسلمين من قبيلة التونغان بقانصو ومن قادة الثورة التي ظهرت في (جنجي باو) وفر الى اورمجي حيث وجد ترحيبا حارا من قبل الوكيل السياسي سو خوان جان فيها . واما سو خوان جان فقد كان مسلما غيورا وكان والده (سو وين) قائد الجيش بقانصو ، قد حضر الدروس الدينية عند تومين خان . ومن ثم نشأت الصلة الودية المتينة بين تومين خان وسو خوان خان الوكيل السياسي بأرومجي . حيث يوجد له نفوذ قوي بين افراد قبيلة التونغان ،

واما الحاكم العام المانشوري في اورومجي في ذاك الوقت فقد كان رجلا يسمى (بينصوي) الذي اضطر الى السفر الى الجنوب لقمع الثورة التي ظهرت في مدينة كوشار حيث تجمع الرجال تحت لواء زعيم مسلم معروف باسم (ما لونغ) الذي عين بخش دين زعيما دينيا على قبيلة الجبليين السود هادفا بذلك الى الحصول على بعض النفوذ السياسي في المنطقة . فأرسلت الحكومة المانشورية قوة بقيادة بينصوي إلى تلك المدينة ولكنها عجزت في اخماد الفتنة . فعاد من قاراشهر بخفي حنين . لقد كان فشله في مهمته العسكرية هذه قد هيأ فرصة للسيد سو خوان جان الوكيل السياسي بأرومجي للاستيلاء على الحكم . فاعتقل الحاكم العام وضرب عنقه . ثم سيطر على المدينة التي سكن فيها الصينيون فنصب تومين خان اميرا عليها وتقلد نفسه لقب القائد العام . ثم اتسع نفوذه بسبب تأييد المسلمين له في المنطقة ، وبالتالي استطاع الاستيلاء على مدن مجاورة كثيرة منها جيتا وصوي لاي وجانجي وغيرها من المدن في اشهر قلائل . ومع هذه الزيادة السريعة في التوسع النفوذي انتخب تومين خان في سنة ١٨٦٥ م سلطانا على شمال سنكيانغ فاتخذ ارومجي مقرا للحكم وكان له كلمة مسموعة في جميع المديريات بشمال سنكيانغ وشمال غربها .

واما في شرقي سنكيانغ فقد كان هاميشاه مسيطرا على مدن كوتشينغ وهامي وطرفان حينما كان المسلمون في كوشار تحت قيادة بخش دين قد تحركوا نحو الجنوب واستولوا على قاراشهر وآقسو واوش ويارقند بعد ان قاموا بسلسلة من الحملات الناجحة . وأما الان فلم يبق في ايدي قوات الحراسة الصينية الا مدينتان اثنتان بالجنوب وهما يانغحصار وكاشغر ومدينة اخرى في الشمال وهي خولجا فقط .

كانت هذه هي الحالة السائدة في سنكيانغ حين ظهر يعقوب بيك في المسرح السياسي في تلك الولاية الشاسعة .

٢ ــ مغامرة يعقوب بيك في سنكيانغ :

ولد يعقوب بيك الذي سيكون واليا على مملكة واسعة مستقلة الى جنب سنكيانغ ، في سنة ١٨٢٥ م ببلدة بيشقند من ضواحي خوقند . ونسب نفسه الى آل تيمور من جانب الام . فتزوج من اخت امير تاشقند التي كانت في قضائية امير خوقند حينذاك وقبيل سيطرة الروسيين عليها . ومن هذه الناحية فانه قد اولج في امور السياسة الخوقندية ايام الشباب .

فقد قاتل الروسيين بجنب الخوقنديين في مدينة آقمسجد في سنة ١٨٥٣ م ومشهورا بين السياسيين الخوقنديين . فأصبح بعد ذلك المساعد الايمن لسيادة عالم قولي حاكم خوقند .

ان قصة مجيء يعقوب بيك الى كاشغر ، قد بدأت بدعوة صادق بيك الذي كان اميرا على مدينة المسلمين بكاشغر وواليا عليها . (انقسمت كاشغر الى قسمين : المدينة القديمة الخاصة للمسلمين والمدينة الجديدة الخاصة للصينيين) .

كان المسلمون في الكاشغرية في سنوات الاضطرابات العامة في سنكيانغ قد عمدوا الى القيام بحركة سياسية ورغبوا في ان فردا من افراد عائلة الخوجات يحضر الكاشغرية لمساعدتهم في تحقيق آمالهم . فبعث صادق بيك بطلبه الى سيادة عالم قولي امير خوقند والذي كان موجودا في ذاك الوقت في تاشقند لوضع الترتيبات الدفاعية لصد الروسيين الذين هاجموا حدود مملكته من الشمال . فاعتذر من حضور الكاشغرية شخصيا . غير انه قد وافق على انتداب يعقوب بيك ليذهب مع بزرك خان ابن اخ ولي خان حاكم كاشغر سابقا ، الى الكاشغرية .

فوصل الخبر خلال هذه الايام ، نعيا بمصرع عالم قولي في الميدان وسقوط تاشقند في ايدي الروسيين . ثم حدث التغيير في حاكم خوقند . واما يعقوب بيك الذي لم يرض بالبقاء في خدمة خدايار خان الحاكم الجديد لخوقند ، فقد قرر على السفر الى الكاشغرية مع بزرك خان لكي يجرب حظه هناك .

فغادر الرجلان تاشقند في صيف ١٨٦٤ م وانضم اليهما ٦٢ شخصا من المغامرين . فساروا وعبروا ممر التيرك . فدخلوا الكاشغرية بدون وقوع اي حادث .

واما صادق بيك فقد ندم الآن من دعوة الخوجات اليه . فحاول ان يقنع بزرك خان بالرجوع الى خوقند . غير ان بزرك خان لم يسمع كلامه . فنادى بنفسه اميرا على الكاشغرية واصدر امرا الى يعقوب بيك ومنحه حرية كاملة في اتخاذ التدابير لمواجهة اي موقف قد يحدث من جراء استيلائه على الحكم . فأعقب صادق بيك كرة عليهم غير انه قد خسر في المعركة فطرد اثر ذلك من المسرح السياسي في منطقة الكاشغرية .

وبعد استقرار الامور في كاشغر ، قصد يعقوب بيك الى يارقند وكان يمر بيانغحصار حيث انضم اليه بعض البدخشانيين المتعصبين . فحاصروا تلك المدينة وبعد مرور اربعين يوما من المحاصرة وضع الحراس الصينيون اوزارهم وسلموا انفسهم الى يد يعقوب بيك وعندئذ طار اليه اناس كثيرون ليخدموا تحت لوائه .

في نهاية سنة ١٨٦٥ م اصبح يعقوب بيك مالكا مطلقا على الكاشغرية وفي مدة اقل من سنة واحدة وضع اساسا لمملكة واسعة حكمها ١٣ سنة فيما بعد (من ١٨٦٥ الى ١٨٧٧ م) وكان اخر المعارك التي خاض فيها في هذه المنطقة هو ضد الحراس الصينيين في يانغحصار . ففني فيها نحو ٢٠٠٠ صينيا واخذ منهم ٣٠٠٠ الى كاشغر اسيرا (١) .

واما الان فقام يعقوب بيك قابضا على مقاليد الامور في هذه البقعة من الارض وأخذ يفكر في استحكام سلطته . فأبعد سيده بزرك خان عن مسرح السياسة وكان ذلك ببعثه الى مكة المكرمة حاجا . ثم تقلد هو نفسه بلقب (اتاليك غازي) اللقب الذي انعم به عليه امير بخارا . وكان الاخير في حاجة الى مساعدة الثاني في مواجهة الخطر الروسي الذي اخذ يتقدم نحو بخارا بسرعة فائقة . ثم اخضع ختن لحكمه بعد اغتيال اميرها حبيب الله.
واما ارومجي فلا تزال في يد سلطان تومين خان الذي استحكم مركزه فيها وليس ليعقوب بيك سبيل الى مهاجمته بدون الوقوع في خطر ما . فلذا اختار طريقا دبلوماسيا في المعاملة مع تومين خان . فأبرم معه اولا اتفاقية حدد بها حدود اراضيها على ١٢ ميلا بشمال قاراشهر . ثانيا قام بكسب المودة مع القائد الصيني المدعو (هو هيسو كونغ) الذي ما زال يتولى ٥٠٠٠ جندي بقرب ارومجي . وكان من الظاهر انه قد استبقى نوعا من الصداقة مع سلطان تومين خان .

ففي السنة التاسعة من حكم الامبراطور (تونجي — ١٨٤٩ م) دخل يعقوب بيك في الحرب مع سلطان تومين خان وقاتله في موقع يبعد عن ارومجي بأربعين ميلا فقط فهزمه واضطره الى الفرار الى (وو لاي) حيث قضى نحبه بعد اشهر قليلة . وعندئذ كانت المدن المجاورة لارومجي تأخذ تسقط في يد يعقوب بيك واحدة بعد اخرى . وبعد هذا الفتح المبين عاد يعقوب بيك الى كاشغر تارك شخص يسمى (ما به جي) وهو من قبيلة التونغان وكيلا له بشمال سنكيانغ وملقبا بأعظم بيك .

---

(١) حياة يعقوب بيك للمؤلف بولفر : ص ٣٠٦

وصل يعقوب بيك الان الى اوج قوته وشهرته وكانت الاراضي التى تحت سلطته تمتد من خنن الى ارومجي . ومن طرفان الى جدود خوفند . فجاء الروسيون والبريطانيون الى كاشغر ليكسبوا صداقته . علما بان الروس والبريطانيا كانتا تتنافسان في امور آسيا الوسطى وكان تنافسهما قد بلغ حدا خطيرا حينـــذاك .

٣ ـ يعقوب بيك والروس :

في بداية الامر كان يعقوب بيك له مشاكل مع الروسيين . لقد دخل في الحرب ضدهم في سنة ١٨٥٣ م اذ كان يدافع عن آقمسجد دفاعا فاشلا ضد القائد الروسي بروفيسكي ومن حينئذ كان يعقوب بيـــك يخسر دائما في الحروب المتتالية مع الروسيين . واما الان فمع انه قد اصبح سيدا على المناطق الكاشغرية ، استمر في مقاومة نفوذ الروسيين . كان يعقوب بيك يشعر في البداية بأن الروسيين لا يتركونه ولو بامكـــان الصينيين ان يفعـلوا ذلك .

وكان العامل في ذلك ان الروسيين لم يستطيعوا في حال من الاحوال ان يصرفوا عن المصالح التي يمكنهم ان يكسبوها من سنكيانغ . فحرصوا بابقاء حكم موال لهم فيها . وكان اهتمامهم بشمال سنكيانغ اكبر وارجح على جنوبها . وعلى الخصوص فيما يتعلق بتنفيذ برامجهم السياسية الخاصة بوادي ايـلي .

لقد تحرك الروسيون من سيبالاتينسك واشغلوا اشغالا عسكريـــا المناطق التي بما وراء ايلي حتى وصلوا (ويراي) ولم تكن للصينيين حينذاك الا سلطة اسمية على وادي ايلد الاسفل وعلى بحيرة بلخاش نتيجـــة للفتوحات التي احرزها الصين في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي خلال حكم الامبراطور (جيانلونغ) . فاضطرت الى المصادقة على المعاقدة التي ابرمت بينها وبين الروسيا في سنة ١٨٦٠ م لتسوية الحدود الروسية الصينية في صالح الروسيا ، على امل ان تساعد الروسيا الصين على اخراج الفرنسيين والبريطانيين من بكين ووفقا لهذه المعاهدة كان خط الحدود بين البلدين في الشرق الاقصى محددا بنهر آمو راي آمو دريـا ونهر (اوسوري) يعني باعطاء الروسيا الحق القضائي على الولاية بين النهرين وعلى المناطق التي كانت الصين تدعيها حتى مصب نهر آمور . واما في آسيا الوسطى فأعطيت للروسيا الحق على جميع الاراضي التي تكون

منها ولاية سيمرتش.ووداي ايلي بغربي كوليبن (١) .

ففي سنة ١٨٦٧ م بينما كان التونفانيون والترانجيون يحاربون بعضهم بعضا لاجل السيطرة السياسية في منطقة الخولجا ، كان الجنرال كوفمن الحاكم العام على التركستان الروسية ، بعد انتهاء تسوية الامور في سمرقند ، وجه باهتمامه نحو خوقند والمديريات الشرقية . فسيطر على المدخل الشرقي لمر (موزارت) وكان يهدف بذلك الى مجابهة يعقوب بيك ومنعه من ارسال جيوشه الى وادي ايلي عن ذلك المر . واثناء هذه الايام كانت الاضطرابات تستمر حول منطقة الخولجا وكانت الحدود معرضة دائما للنهب من قطاع الطرق . وكانت هذه الحالة تزيد انتباه الجنرال كوفمن في الموقف . فعقد العزيمة على انهاء هذه الحالة المضطربة . فلذا ارسل في صيف ١٨٧١ م قوة بقيادة الجنرال كولبافسكي لتأمين منطقة الخولجا . لقد لاقى مقاومة من امير ابيل اوغلا الذي كان معروفا باسم علاء الدين خان ايضا . غير انه قد سلم نفسه اخيرا للقوات الروسية التي استولت على الخولجا في سنة ١٨٧١ م .

بيد ان يعقوب بيك لم يرض عن استيلاء الروس على وادي ايلي . فاتخذ خطوة انتقامية فرفض ان يسمح للروسيين دخول مملكته للتجارة . ولما وصل بعض التجار الروسيين الى الكاشغرية في معية قوة رسمية كبيرة ، قرر يعقوب بيك بشراء جميع البضائع في ايديهم دفعة واحدة واعادهم الى الروسيا حالا . ومن المعلوم ان الروسيين في هذا الوقت قد اخذوا يستحكمون في مراكزهم في الجبال التي تمتد من ايسيك كول الى الكاشغرية وكان ذلك بتشييد حصون على قلعة (نارين) في سنة ١٨٦٨ م وطبعا ان يعقوب بيك لا يرى ذلك بالرضا فوضع خطا معاكسا باستحكام مدينة آقسو استحكاما قويا .

كان الجنرال كوفمن يرغب في ايجاد العلاقة مع يعقوب بيك على ما فعله مع امير خوقند من قبل . غير ان يعقوب بيك اراد ان يتعامل مع بيترس بورج مباشرة . فلما فشل كوفمن في احداث اي تأثير في يعقوب بيك ، لجأ الى طريقة اخرى . فعندئذ حاول ان يحمل خدايار خان امير خوقند على ادعاء حقه المزعوم على الكاشغرية ووعده بالمعونة اذا اراد ان يتحرك بجيشه نحو كاشغر بغية طرد يعقوب بيك منها . غير ان خدايار خان لم يقبل ذلك وبعدئذ بعث كوفمن رسالة الى يعقوب بيك يهدده بالغزو على

(١) بالس : ص ٣١٦

اراضيه ان رفض الدخول في تنسيق العلاقة الودية معه على نفس الاساس الذي كانت ترتبط عليه علاقته مع امير خوقند وبخارا ، وسوف ينال عواقب وخيمة نتيجة لسوء معاملته مع التجار الروسيين . فرد يعقوب بيك بالرسالة التالية :

« ان المندوب الاخير الذي جاء برسالتك لم يكن روسيا لا لسبب انه لا يوجد هناك روسي بل لانك تعتقد بأن خوقند وبخارا تستحقان هذا النوع من الاكرام فقط . واذا كان الروسيون يضمرون نوايا طيبة نحوي فعليهم ان يبعثوا بشخص منهم الي لاثبات هذه النوايا الطيبة حتى استطيع قبولها كشاهد على حسن نياتهم نحوي . واذا كان كلامك يشكل تعبيرا حقا لحسن نيتك نحوي فأرسل الي شخصا ذا وزن اكثر من التجار . ارسل الي روسيا او فردا من افراد (السارت) من اهالي تاشقند ولو هو من طبقة الرعاة فيها . وعلى هذا الاساس سأردك بارسال مندوبي اليك » (١)

نتيجة لهذه المراسلات اوفد الجنرال كوفمن (البارون كوليارس) الى كاشغر مكلفا بمهمة عقد اتفاقية تجارية مع يعقوب بيك ، مع ان الروسيين في نفس الوقت قد بدأوا بالتحرك بالجنود والمؤن بكمية كبيرة نحو نقطة نارين.

لقد تم توقيع الاتفاقية يوم ١٠ حزيران ١٨٧٢ م . فسر يعقوب بيك من اعتراف الروس بسيادته على الكاشغرية ضمن هذه الاتفاقية . وعليه طلب من بيترس بورج الموافقة على قبول مندوب منه . فوافقت على ذلك واستقبل مندوب يعقوب بيك من قبل التزار في قصره بكل الحفاوة والاكرام (٢) .

غير ان هذه الاتفاقية لم تأت على كل حال بنتيجة مرضية في تحسين العلاقة التجارية بين الروسيا ويعقوب بيك . لان التجار الروسيين ما زالوا غير مختارين في المعاملة مع اهالي الكاشغرية بكل الحرية . فلذا استمرت الروسيا في تحضير الاستعدادات العسكرية وكان بامكان الروسيا ان تهاجم الكاشغرية في سنة ١٨٧٣ م لو لم تصل بعثة فورسانت المبعوثة من قبل الهند البريطانية الى كاشغر . وطبعا ان يعقوب بيك قد وجد في هذه البعثة سندا قويا يشجعه على الوقوف في موقف حازم ضد الروسيين .

واما الروسيون فبعد ان حسبوا حساب التدابير التي يمكن ليعقوب بيك اتخاذها والقوة التي يمكنه ان يستخدمها في مقاومة الروسيين ، جمعوا

---

(١) بالس : ص ٣١٦ (٢) بالس : ص ٣١٦

جيشا كبيرا مكونا من عشرين الف جندي تحت قيادة الجنرال سيكوبليف الكبير ، مستعدين لاستئصال يعقوب بيك في ١٨٧٥ م . بيد ان الثورة التي ظهرت في هذه الاونة في مدينة خوقند وكانت تهدد اعظم قسم من تركستان الروسية ، اضطرتهم الى الانسحاب الى الوراء ليستخدموا في ناحية خوقند . فعندئذ اصبح يعقوب بيك في مأمن من الخطر الروسي الى حين.

بالرغم من ان يعقوب بيك قد لبس رداء الزعامة للمسلمين في آسيا الوسطى وان العصيان الذي قام به المسلمون فيها سنة ١٨٧٥ م هيأ له فرصة مناسبة لاثبات مكانته في قيادة المسلمين ضد الروسيين غير انه لم يغتنم هذه الفرصة كما لم يرفع يده على الروسيين ، نجدة لاخوانه المسلمين في خوقند . ولعل سلوكه هذا في هذه الازمة كان له مبرر اذ كان قد سمع انباء اعظم خطورة وردت من شمال الصين التى قد انشأ الجنرال تسو تسونغ تانغ في ولاية قانصو ، منها مركزا للقيادة ، وان جيشه قد سار في الطريق الى سنكيانغ لاعادة هذه الولاية الواسعة التي سيطر عليها يعقوب بيك الان الى حظيرة الامبراطورية المانشورية مباشرة (١) .

٤ ـ يعقوب بيك والهند البريطانية :

ان يعقوب بيك في طليعته الى القوة في الكاشغرية قد بعث بمندوب الى لورد لورنس نائب الملك البريطاني في الهند (١٨٦٤ ـ ١٨٦٦ م) للتفاوض معه بشأن عقد اتفاقية عسكرية ودفاعية مشتركة ضد الروسيين وضد المانشوريين على السواء (٢) . غير ان نائب الملك البريطاني في الهند قد رفض الدخول في المفاوضة مع مندوبه . وبعد عدة سنوات حينما تمكن يعقوب بيك من تأسيس مملكة مستقلة شاملة على مساحة واسعة تقع بين الروسيا التزارية والهند البريطانية ، اشارت لندن على لورد مايو خلف لورد لورنس في منصب نائب الملك في الهند (١٨٦٦ م) باتخاذ الخطوات اللازمة لتحسين العلاقات الودية مع يعقوب بيك وللدخول في المفاوضات معه لعقد معاهدة الصداقة لمصلحة الهند البريطانية . فلذا اخذ السير فورسانت طريقه نحو كاشغر على رأس وفد رسمي (١٨٧٣ م) ونتيجة لذلك تم ابرام معاهدة ودية بين يعقوب بيك ومندوب نائب الملك البريطاني بالهند ووفقا لهذه المعاهدة اعترفت البريطانية العظمى بسيادة يعقوب بيك على الكاشغرية وفي نفس الوقت وصل اعتراف تركيا العثمانية بسيادته عليها وبهذه المناسبة انعمت عليه الخلافة العثمانية بلقب (امير الكاشغرية) .

---

(١) بالس : ص ٣١٧ (٢) باي شو ـ اي : ص ٤٢٨

بناء على ما جاء في كتاب « حياة يعقوب بيك » للمؤلف بولاغر : ان البعثة البريطانية التي وصلت الى كاشغر برئاسة السيد فورسانت كـان غرضها الاصلي هو تقدير الوضع السياسي في تلك البقعة من العالم . فوجد يعقوب بيك وجود السير فورسانت في كاشغر عاملا مشجعا كبيرا له . لانه كان مهددا في ذلك الوقت من قبل الروسيا بهجوم عسكري عليه ان لم يتفق على ما تشاء منه . غير ان هذا المندوب البريطاني لم يتعهد ليعقوب بيـك بشيء عملي . وكان السبب في ذلك واضحا . انه يرى انه لا دولة تسيطر على الكاشغرية ولا دولة تسيطر على الهند تستطيع ان تتغلب على العوائق الطبيعية القائمة بين سنكيانغ من جهة والهند من جهة اخرى . فلذا اقتنع بالتوقيع على معاهدة الصداقة مع يعقوب بيك بدون التعهد بالدفاع العسكري المشترك لان ذلك يكون محض حبر على الورق بدون اية نتيجـة عملية مفيدة وكما ان الهند غير معرضة للخطر من الجانب الروسي في حال من الاحوال الا اذا رفعت هذه الموانع الطبيعية المتمثلة في وجود جبـال الهمالايا العسيرة العبور من ناحية الى اخرى وبالعكس .

ووفقا لهذه المعاهدة الودية صدر امر من لندن الى السير ادوارد الوزير المفوض البريطاني ببكين بأن يتصل بالبلاط المانشوري لحمله عـلى تخلية ثمانية مدن جنوب سنكيانغ : وهي كاشغر ويانغيحصار ويارقند وختن وآقسو وكوشار وكوزلا وطرفان لحق يعقوب بيك كمديريـات لمملكته المستقلة (١). في نفس الوقت كان كوسونغ شو الوزير المفـوض المانشوري لدى سانت جيمس قد رفع اقتراحا مماثلا الى القصـر المانشوري ببكين . لذا ولاسباب اخرى منها سرعة تدهور الحالة بداخـل الصين والتكاليف الباهظة التي تحتاج اليها العمليات العسكرية في سنكيانغ وقد بلغت ٠٠٠ر٠٨٠ر١ مثقالا من الذهب سنويا — كان اغلبية المستشارين في بلاط بكين يميلون الى منح الحكم الذاتي ليعقوب بيك في الكاشغرية . بيد ان الاحتجاج الشديد الذي رفع من قبل الجنرال تسو تسونغ تانغ الى البلاط المانشوري قد حال دون ذلك فامتنعوا عن البحث في الموضـوع المشـار اليـه .

لقد قال الجنرال تسو تسونغ تانغ الذي كان قائدا عاما لتأمـين سنكيانغ وانشأ مركزا للقيادة العلية في مدينة سونشو بولاية قانصو في عريضته المرفوعة الى البلاط بهذا الصدد ما يلي :

---

(١) باي شو — اي : ص ٤٢٨

.. « انني رجل بسيط وكتابي (يبنى بحب قرائة الكتب بدون التعمق في فهمها) وقد تلقيت من جلالتكم الاكرام والتقدير وانعمتم علي برتبة وزير الدولة . لقد وصلت الان الى ٦٥ عاما من العمر واصبحت عجوزا يعجز عن القيام بأية خدمة مفيدة للامبراطورية . ومع ذلك فان الحقيقة تبقى حقيقة . ان منطقة ايلي قد صارت الى ايدي الروسيين ويقبض يعقوب بيك على مقاليد الكاشغرية بيد حديدية . ومن المنطقي اذن ان الاضطرابات والثورات ستتعاقب الى ما لا نهاية له . ان رفعنا ايدينا عن الامور في سنكيانغ من الان».

كان الجنرال تسو تسونغ تانغ يصر على اتخاذ العمل العسكري السريع ضد الحالة المضطربة في سنكيانغ . وعلق على اقتراح الوزير المفوض البريطاني المقيم في بكين قائلا : .. اذا كانت بريطانيا مخلصة في اقتراحها وتريد كسب صداقة يعقوب بيك حقا ، فلتتنازل اولا له جزئا من الهند .. واضاف قائلا : اليوم لدينا ٣٢ فرقة من الجيش موجودة بجنوب جبل السماء تحت قيادة الجنرال(ليو جنتانغ) . فلذا لا ارى اية مشكلة في اعادة النظام الامبراطوري الى نصابه في سنكيانغ . واذا جاء الوزير المفوض البريطاني مرة اخرى ليتحدث في هذا الموضوع فأرجو ان تخبروه بالحضور عندي في مقر قيادتي في سوتشو ..

كان الموقف الحاسم الذي وقفه الجنرال تسو تسونغ تانغ قد احبط المحاولة البريطانية الدبلوماسية فيما يتعلق بالاعتراف باستقلال يعقوب بيك في الكاشغرية .

٥ ـ العمليات العسكرية التي قام بها الجنرال تسو تسونغ تانغ في سنكيانغ :

ان الجنرال تسو تسونغ تانغ كان احد القواد العسكريين القديرين واكبر رجال السياسة في عهد الامبراطورية المانشورية . فقد عين في الشهر الثالث من اخر السنة لحكم الامبراطور (كوانغ شيو) الموافق ١٨٧٥ م قائدا عاما للقوات التأمينية في ولاية سنكيانغ وقد ساعده وكيلان قديران : احدهما الجنرال (جن هون) الذي تركز بأربعين فرقة من الجيش في مدينة (كوتشينغ) والاخر هو الجنرال (ليو جنتانغ) ابن الجنرال (ليو سون شان) الذي ذكرناه في ثورة المسلمين في قانصو .

وقد وصل الجنرال تسو تسونغ تانغ الى (لانتشو) في الشهر الثاني من سنة ١٨٧٦ م ثم نقل الى مدينة سو تشو حيث انشأ مركز القيادة للعمليات العسكرية . فأمر الجنرال (ليو جنتانغ) ان سار بـ ٣٢ فرقة

من جيوشه من بين الفرسان والمدفعيين والمشاة نحو ولاية سنكيانغ . فوصل الجنرال ليو بجيوشه الى بركول في شهر ايار ١٨٧٦ م واتخذ فيها له مقرا . فالتقى جن هسن الذي استقر بمدينة كوتشينغ واجتمعا للبحث عن الامور الاستراتيجية . فاتفقا على انشاء قيادة مشتركة في بلدة فو كانغ حيث يستطيعان ان يقوما بهجوم على نقطة (وانتيان) وبذلك يعرقل وصول التعزيزات الى يعقوب بيك في شمال سنكيانغ . كان هذا هو الهدف الرئيسي في المرحلة الاولى من عملياتهم العسكرية .

واما يعقوب بيك فكان في هذا الوقت قد انشأ نقاط دفاعية على الخطط الاتية :

١ ــ ما زين ته يقوم بالدفاع عن اورومجي .

٢ ــ باي تيان فو وهو زعيم قد اشترك في ثورة المسلمين بقانصو ، يقوم بالدفاع عن هونغ ميوتزي .

٣ ــ ما امين يقوم بالدفاع عن قومل .

٤ ــ ويعقوب بيك نفسه يتولى الدفاع عن توكسون .

ان قوات الامبراطورية المانشورية وفقا للخطط المرسومة كانت تسير اولا الى الهجوم على اورومجي . وقد كان رجال الحراسة في تلك المدينة عندما سمعوا عن وصول القوات المانشورية ، اخذوا يتركون مو قعهم الدفاعية وفروا الى مكان بعيد بالشمال الغربي ؛ فلذا سقطت اورومجي في ايدي القوات المانشورية بدون مقاومة شديدة. وعلى اثر ذلك سقطت المدن الاخرى مثل (جانغ كيه) و (فو تو بي) و (مناس) في ايام قلائل. فاضطر خمسة الاف جندي بعث بها يعقوب بيك لتعزيز المراكز الدفاعية الى التوقف في الطريق بمكان بعيد عن اورومجي ب ٢٠٠ ميلا . وفي الشتاء من سنة ١٨٧٦ م انسحب يعقوب بيك الى كاراشهر فترك مدينة توكون في ذمة ابنه خير الله وطرفان في حماية مازين ته وباي نيان فو ، وتابان في مسؤولية احد القواد المعروفين .

ولاجل القيام بالهجوم على المواقع المذكورة كان الجنرال ليو يزحف من اورومجي نحو تابان والجنرال سانغ يو من مدينة هامي نحو طرفان وهو مفتاح الى جنوب سنكيانغ . وكانت هذه المدينة قد سقطت في يد الجيش الزاحف بعد حرب وطيس . ففر القائد المسلم باي نيان فو من

الميدان وعندئذ سقطت المدن الكبرى الاخرى وكان منها نوكون وتابان في ايدي الاعـــداء .

وفي الحين الذي وقع فيه جيش الجنرال تسو تسونغ تانغ اقدامهم في ارض سنكيانغ ، ادرك يعقوب بيك بأنه لا يستطيع ان يوقف تقدم هـــذا العدد الهائل من الجيش الصيني المسلح فلذا طلب المساعدة من الهنـــد البريطانية . ولاجل شراء الاسلحة اللازمة قد فرض ضرائب ثقيلة على الرعايا بالرغم من انهم قد وقعوا في حالة سيئة لانهم قد حرموا من فرص تجارية مع الخارج وكان ذلك بسبب الحرب المتواصلة في جنوب سنكيانغ .

٦ ــ نهاية يعقوب بيك وعائلته :

كان لهذه العوامل تأثير سيء في نفوس رعاياه وبدأوا يتذمرون وظنوا ان عمله لم يكن في صالحهم . فقد فقدوا الثقة به وبالتالي لم يستطع ان ينال تأييدهم في النزاع القائم مع الحكام المانشوريين . فلذا خسر مدينة بعد اخرى وانكمشت رقعة مملكته فأصبحت اصغر ثم اصغر .

واخيرا حينما وجد نفسه في حالة يائسة ، ضعفت فيه روح المقاومة . فترك الميدان في نيسان ــ ابريل ١٨٧٧ م متوجها الى كورلا حيث انتحـر بأخذ السم . واما ولده خير الله فقد وقع في الكمين قتيلا اذ كان يرافـق نعش ابيه في الطريق الى كاشغر . وكان ذلك على يد تولي بيك اخيه الاكبر بقرب مدينة كوشار . وعلى كل حال فقد حمل تولي بيك نعش ابيه الـى كاشغر حيث دفن بصورة مناسبة . وبعد ذلك نادى نفسه ملكا على الكاشغرية وارسل باي نيان فو للدفاع عن كورلا .

وفي الشهر العاشر من نفس السنة (اكتوبر ١٨٧٧ م) سقطت كاراشهر وكوشار ومعمورة في يد الجنرال ليو جنتانغ . وحتى هذا الوقت العصيب ظهر نزاع بين رؤساء المسلمين في ختن ويارقند حول المصالح الشخصية . فكان محمد نياز بيك وهو بيك لمدينة ختن قد زحف باسم الامبراطور ، بجيشه نحو يارقند بغية توسيع حدود سيطرته الارضية . غير انه لـــم ينجح في محاولته بل هزم على يد تولي بيك الذي سيطر على مدينة ختن فيما بعــد .

وفي نفس الوقت اندلعت نار الحرب بين مدينتي كاشغر القديمة وكاشغر الحديثة . كانت كاشغر القديمة تحت حكم المسلمين والحديثة في

ايدي الصينيين . فقام هوفو يونغ رئيس قوات الامن في كاشغر الحديثة بهجوم على السيد علي تاش صاحب كاشغر القديمة . ولما سمع تولي بيك ذلك اضطر الى ترك ختن والعودة الى كاشغر بالسرعة .

وبعد شهر واحد تقدم جيش الجنرال ليو جنتانغ زاحفا من ثلاثة طرق : من اوش طرفان الى بوروت . ومن آقسو الى كاشغر والجيش الثالث قد اخذ مركزه في مارلباشي بقصد قطع المواصلات بين ختن ويارقند وبالتالي يمنع وصول التعزيزات الى تولي بيك .

لقد تحرك الجيش المانشوري نحو كاشغر اقرب فأقرب ، حيث اصبحت قوة الدفاع ضعيفة يوما بعد يوم واندحرت القوى المعنوية بين المسلمين . ففر قائد الدفاع باي نيان فو وترك المدينة عابرا الحدود نحو الروسيا مع عدد قليل من اتباعه المسلمين . وعندئذ سقطت كاشغر في يد الجنرال ليو جنتانغ في الشهر الحادي عشر من السنة الثالثة من جلوس الامبراطور ـ كوانغ شو ـ . وبعد ايام قلائل سقطت يارقند وختن ويانغيحصار واحدة بعد أخرى .

واما زوجة يعقوب بيك فقد اعتقلت مع ثلاثة من ابنائه وثلاثة من احفاده وماتوا جميعا تحت سيف الغاشمين وقتل معهم ١٢٦٦ شخصا من المسلمين بأيدي الكفار .

وباعدام اعضاء عائلة يعقوب بيك في نهاية سنة ١٨٧٧ م ، اسدل التاريخ ستاره على حياة اتاليق غازي (يعقوب بيك) الذي تولى الحكم في الكاشغرية نحو ١٣ سنة . فختم تاريخ المسلمين في سنكيانغ في عهد الامبراطورية المانشورية بالصين بدم شهداء هذه العائلة الكريمة ومن اتبع يعقوب بيك في حركته الاستقلالية من المؤمنين .

الفصل السادس

ثورة المسلمين في ولاية يوننان

١ ـ انتشار الاسلام في يوننان

جاء المسلمون الى ولاية يوننان بجنوب الصين الاقصى في عصر اسرة يوان ـ اي الحكم المغولي (١٢٧٧ ـ ١٣٦٧ م) حينما كان السيد الاجل قد عين حاكما عاما عليها بأمر الامبراطور سزي تشو (قبلاي خان) . فذهب هناك وذهب معه عدد غير قليل من رجال الجيش المكون من المسلمين الى يوننان . وبعد اخضاع هذه الولاية واستتباب الامن والاستقرار فيها قام بانشاء عدد من المدارس والمعاهد الدينية لتدريس علوم الدين مع علوم الدنيا بين اهالي الولاية . فالمسجد الذي لا يزال موجودا في محلة (يانغ بي) . وهذا الاخير الذي يقع في باب جنوبي المدينة ـ يوننانفو ـ اصبحا من الاثار الاسلامية العائدة الى هذا العصر . ومن البديهي ان نتصور ان رجال الجيش الذين سافروا مع السيد الاجل في العمليات العسكرية قد استوطنوا هناك فيما بعد ، في بعض الاماكن من الولاية . وفي نفس الوقت كان اولاد السيد الاجل قد القوا عصاهم في بعض المناطق منها . ومنذ تلك الايام كان اولاد السيد الإجل واحفاده وكذلك اولاد رجال الجيش قد اخذوا يتكاثرون في انحاء الولاية عن طريق الزواج مع النساء الصينيات وانتشروا بمرور الزمن الى المدن الكبيرة مثل تاليفو ،ومونتزي ويوننانفو عاصمة الولاية .

وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي حينما كانت الثورة آخذة في الظهور كان للاسلام عدة ملايين من الاتباع في الولاية . وكانت العوامل التي ساعدت على اكثار عددهم فيها هي زيادة طبيعية من ناحية . ومن ناحية اخرى كان من نتائج الدعوة والإرشاد وكان العامل الثالث هو مهاجرة المسلمين اليها من الولايات المجاورة مثل شانسي وقانصو وغيرهما .

في القرون الماضية منذ ايام السيد الاجل لم يكن هناك اي اضطراب في يوننان كما لم يسجل تاريخ الصين حادثا واحدا ظهر فيها بسبب تصادم المسلمين مع غير المسلمين . ولكن الحالة في عصر تسينغ اي المانشوري قد

تغيرت . فظهر الفساد في برها وبحرها وكانت حركات العصيان او الثورات التي تتواتر لم تكن منحصرة في المسلمين في شمال الصين الغربي وسنكيانغ . بل انتشرت في جماعات كثيرة من الصينيين مثل ثورات جماعة « النيلوفر البيضاء » وجماعة مذهب « تيان ــ لي » (اي السلوك السماوي) التي ظهرت في ايام حكم الامبراطور جيان لونغ والامبراطور جيا تشينغ وكذلك ثورات نيان ــ فاي في الصين الوسطى وحركة العصيان التي قامت بهـــا القبائل الجبلية في ولايتي هونان وكوانغ تونغ . وفوق كل هذا « ثـورة البوكسر » التي قادها هونغ شيو تشوان (١٨٣٧ ــ ١٨٦٤) ضد حـكم الاسرة المانشورية في الصين . كانت هذه الجماعة تـــرى ان حكومـة المانشوريين قد قامت على القوة العسكرية وادارتها على المظالم والقسوة وعدم الانصاف وسريان الفساد والارتشاء بين طبقات المسؤولين في الولايـات البعيدة عن العاصمة . فأصبحت اكثرية السكان غير راضية عن الحــكم المانشوري ووقفت تنتهز الفرصة المناسبة للقيام بالعصيان على السلطة في البلاد . فتأثر المسلمون من الاضطرابات العامة وقاموا بحركة عصيانية في اماكن عديدة من الامبراطورية المانشورية . وكانت ثورة المسلمين في ولاية يوننان هي ايضا من نتائج المظالم السياسية والكراهية العامة التـي اضمرها كبار المسؤولين في حكومة هذه الولاية نحو المسلمين بوجه عام (١) .

٢ ــ بداية ثورة المسلمين في يوننان :

لقد ظهرت ثورة المسلمين في ولاية يوننان للمرة الاولى في سنة ١٨١٨ م نتيجة للخصومات التي كانت قائمة بين عائلتين كبيرتين في مدينة يونـغ تشانغ عقب تخريب مسجد فيها . وكان المسؤولون لم ينصفوا في الامر(٢). فحصل النزاع بين الجانبين والذي جمع المسلمين الى المعركة ضد الجيش الحكومي وهزموهم حتى حاصروا مدينة يوننانفو . غير ان الحكــومة ارسلت قوة تعزيزية جديدة وبها اخمدت الفتنة ثم قطعت اعناق الزعمـاء المسلمين وافنوا كثيرا منهم . ولكن تغلب الجيش المانشوري على المسلمين قد اوقف حركة العصيان لحين فقط .

وفي الفترة بين ١٨٢٦ و ١٨٢٨ م وقع المزيد من الاضطرابات . فنرى

---

(١) خصص الاستاذ شيو اي شان ١٠ صفحات في كتابه المسمى « تاريخ حكم الاســرة المانشورية » في بيان اعمال الفساد التي ارتكبها كبار المسؤولين في الحكومة وعلى الاخص في ولايات الصين الشمالية .

(٢) بروم هال : ص ٢٩

بعد ذلك في السنوات بين ١٨٣٤ و ١٨٤٠ م سلسلة من الاحداث المخيفة الدامية اذ اثيرت الفتكة من قبل المسؤولين في شونينغ وقتلوا بدون ذنب ستمائة عائلة من المسلمين بما فيها الرجال والنساء والاطفال في منغ تينغ(١) واثر ذلك قام المسلمون بانتقام شديد كما رفع الأمر المنازع فيه الى بكين للبت والحل . وعليه اصدر الامبراطور جيان لونغ امرا يدعو الطرفين المتنازعين الى التصالح والتسامح والتفاهم . ونتيجة لذلك اخمدت نار الاضطراب لمدة ٢٧ عاما . وفي سنة ١٨٥٥ م حدثت حركة العصيان للمرة الثالثة في مدينة يوننانفو واستمرت حتى ١٨٧٣ . كانت هذه هي اكبر حركة ثورية واشدها قام بها المسلمون ضد السلطة المانشورية في هذه الولاية .

يوجد بيان مفصل عن هذه الثورة في كتاب تاريخي تحت عنوان « ولاية يوننان الصينية » بقلم كاتب فرنسي يسمى روشر باللغة الفرنسية. وكان الكاتب المشار اليه يخدم في ادارة الجمارك البحرية بتعيين من قبل البلاط المانشوري وكان شاهد العيان لتلك الحركة الثورية المؤلمة اذ كان موجودا في يوننان وزار كبار رجال الحركة والاماكن الهامة التي وقعت هذه الاحداث الفظيعة . وكان الكتاب في جزئين . واولهما يصف احداث الحركة والثاني جاء بجدول عن تاريخ الاحداث والاماكن التي وقعت فيها خلال الثمانية عشر سنة الدامية .

وبناء على ما ذكره الاستاذ روشر الكاتب الفرنسي المذكور وكاتب آخر كان مصدر الفتنة قد نجم بين العمال المسلمين والعمال غير المسلمين وكانوا يعملون في معادن الفضة والرصاص في منطقة (شيه يانغ شانغ) بمديرية تسو يانغ ، وكانت الثروات الدفينة تحت الارض قد جلبت اليها اكثر من الفي عامل من المسلمين وغير المسلمين(٢). ومع ان المسلمين كانوا اقل عددا بين العمال ولكنهم انجح الناس وابرزهم في الاعمال المهنية . فأصبحوا هدفا لهجوم غير المسلمين عليهم من حين لاخر . وفي بداية الامر استطاع المسلمون ان يدافعوا عن انفسهم واختفظوا بما لديهم من الاعمال والمراكز . غير انهم في النهاية كانوا من المغلوبين امام قوة كبيرة هائلة من الاعداء . فاضطروا الى الالتجاء الى الغابات المجاورة بعد ان قتل عدد كبير منهم في المعركة . واما الذين وقعوا في ايدي الكفار فقد اهدر دمهم بدون رحمة .

---

(١) روشر : ج ١ ص ٢٩ ـ ٣٠ وفوتهونغ هسيان : ص ١٤٧ ـ ١٥٠

(٢) بروم هال : ص ١٣٠

لقد كان من بين القتلى زعيم مسلم يدعى « ما هو تشانغ » وهو شقيق « ما هسيان » احد ضباط المدرسة العسكرية والذي اصبح فيما بعد زعيما مرموقا بين المسلمين في ولاية يوننان . وكان والي الولاية حينذاك يميل الى حل النزاع عن طريق سلمي مع منح المسلمين بعض الامتيازات في اعمال التعدين . بيد ان نائب رئيس اركان الحرب « هوانغ تشونغ » الذي كان يضمر نيات سيئة وكراهية شديدة ضد المسلمين قد تغلب على الوالي فبقي فاقد الحركة . وعندئذ قام نائب رئيس اركان الحرب بتنفيذ مجزرة عامة بين المسلمين (١) وكان الوالي الذي لم يستطع ان يتحمل هذه الحالة الوحشية قد انتحر وانتحر معه امين الخزانة وقاضي القضاة في الولاية ، احتجاجا على هذه المجزرة .وبعد انتحار الوالي وامين الخزانة وقاضي القضاة ، قبضت جماعة هوانغ تشونغ على مقاليد السلطة في الولاية واستولت على الاختام وبذلك قاموا باصدار الاحكام والاوامر حسب هواهم (٢)

يوم مجزرة المسلمين :

لقد كان ١٩ مايو ١٨٥٦م هو اليوم المقرن لمذبحة المسلمين وكانت الاوامر قد اصدرت الى جميع طبقات المسؤولين في الولاية . وكانت الانباء عن هذه المجزرة على كل حال قد تسربت الى مسامع بعض المسلمين في اطراف الولاية . وبعد أن سمعوا الانباء عن مقتل ثلاثمائة عائلة من عائلات المسلمين في مدينة نينغ تشو كدفعة اولى من الضحايا حيث احرقت بيوتهم ومساجدهم بعد ان قتلوهم ـ بعد ان سمعوا هذا النبأ الفظيع قاموا كشخص واحد للدفاع عن انفسهم . ولاجل ذلك اختارو شيخا وقورا يسمى « ما ته هسنغ » كزعيم لهم وكان اماما في مساجد تاليفو محترما لدى جميع المسلمين في المدينة .

ولانه شيخ معمر اختار احد ابناء اخوانه الاشقاء المعروف باسم (ما هسيان) وفيما بعد ، اشتهر باسم (ماجولونغ) مساعدا له في جميع تحركاته العسكرية . لقد كان ماجولونغ هذا ضابطا متخرجا من المدرسة العسكرية ، ورجلا قديرا ونشيطا الى جد كبير . وحتى هذه الساعة كان في الامكان ان يسوي النزاع بالطرق السلمية . بيد ان المجزرة البشعة التي وقعت في يوننانفو فجأة والتي ذهب بمئات من عائلات المسلمين ضحية لها ، بالاضافة الى مقتل عدد كبير من الطلاب المسلمين الذين حضروا

---

(١) بروم هال : ص ١٣٠ (٢) بروم هال : ص ١٣٠

لاداء الامتحان النهائي في عاصمة الولاية ، اشعلت نار الثورة بين المسلمين للمرة الثـانية .

٤ ـ قامت القيامة الكبرى في الولاية :

ان المجزرة التي تتعاقب مرة بعد اخرى كانت مخيفة ومريعـة للغاية . وكان الصينيون مع انهم في عدد كبير قد اصيبوا بفزع وهياج كلما اقترب المسلمون البواسل منهم . وكانت الولاية كأنها قد قامت فيها قيامة كبرى . لقد قدر الكاتب الفرنسي وكان حاضرا في تلك الولاية حينذاك ان عددا من الناس مما لا يقل عن مليون نسمة قد قتلوا في هذه المعارك الداميـة التي دمرت الحياة الاقتصادية كلها وكان الاف الالوف من الناس قد فروا من الولاية الى المناطق المجاورة اذ كان الخراب والدمار والحرب السجال تسود ولاية يوننان كلهـا .

كانت المعارك قد اختارت اشكالا تالية :

ـ ان المسلمين تحت توجيهات امامهم الوقور « ما تسه هسنغ » الذي اعتبروه زعيمهم الاكبر في معركة الحياة والموت قد اتخذوا مدينـة « كوان ــ اي » مركزا للعمليات العسكرية ضد الكفار . وكان ما هسيان قائـدا لهـم .

ان « كوان ــ اي » كانت مدينة ذات اهمية كبيرة بجنوب عـاصمة الولاية وبشمال تاليفو تبتعد عنها بثلاثين ميلا تقريبا وبغربها استقر زعيـم مسلم اخر وكان معروفا باسم « تو وين شيوي » الذي تلقب فيما بعـد بالسلطان سليمان (١) وكان له شهرة عظيمة ونشاط كبير في اواسـط المسلمين فاستولى على مدينة تاليفو . ثم اضيف الى صفوفه اكبر عدد من المسلمين المحليين الذين استعدوا لاخذ الانتقام من الكفار الصينيين الظالمين . وكان تو وين شيوي له رغبة في تجنيد المسلمين من التبت . فأصدر نداء اشتمل آيات من القرآن الكريم يدعو به الى القيام بالدفاع عن حقوق المسلمين واسقاط الحكم المانشوري الظالم والى انشاء دولـة اسلامية في ولاية يوننان كلها مع جعل تاليفو عاصمة لها . وكانت هـذه الوثيقة التاريخية مكتوبة بالعربية الجميلة واما الخاتم الذي كان الزعيم تو وين شيوي المعروف بالسلطان سليمان فيما بعد ، يستعمله في اصدار

(١) ياتي ذكره في الصفحة التالية .

الاوامر بصفته القائد الاعلى لجيش المسلمين فقد كان منقوشا عليه باللغتين الصينية والعربية .

وينبغي ان اشير هنا الى ان الاحداث تمر في مختلف المراحل وتتعاقب واحدة بعد اخرى . ومن الضروري ان نعيد الى الاذهان ان الحكومة المانشورية في بكين كانت في نفس الوقت تواجه احداثا مستعصية تهدد سلامة الدولة مثل ثورة البوكسر وحرب الافيون مع بريطانيا العظمى والتي ادت الى اشغال بكين من قبل قوات حلفائها . وكذلك كانت قوات يعقوب بيك آخذة تتضخم في سنكيانغ . ولوجود هذه الاحداث الجسيمة التي ترهق عقول المسؤولين ، لم تستطع سلطة الحكومة المانشورية في بكين ان تفعل شيئا جديا لمعالجة الامور في هذه الولاية النائية . ففوضت الامور كليا الى ايدي الحكام المحليين في ولاية يوننان .

٥ ــ تو وين شيوي في تاليفو :

كان القائد ما هسيان تمكن من اشغال عدد من المدن الصغيرة بشرقي الولاية وتو وين شيوي على المدن الاخرى . فاختار تاليفو مركزا للعمليات والتحركات العسكرية واعلن نفسه الزعيم الاكبر لجميع المسلمين في الولاية ولقب بالسلطان سليمان امام المسلمين فيها .

وفي نفس الوقت كانت يوننانفو عاصمة الولاية تحت حصار شديد ضربه عليها القائد ما تسه هسينغ ومن جراء ذلك امتلأت الشوارع باللاجئين وكانت الحالة داخل المدينة سيئة للغاية . فقام قائد عام الجيش الامبراطوري المانشوري بالاتصال بقائد المسلمين لمعرفة شروط الاستسلام . واما هوانغ تشونغ الذي كان قد وضع الخطط لتنفيذ المجزرة العامة بين المسلمين فعند ما سمع هذا الخبر مات انتحارا .

كانت المشكلة خطيرة للغاية تدعو الى البت وان ما حدث لم يكن في حسبان الزعيم المسلم ما ته هسينغ ولا في ادراك ما هسيان . وان احدا منهما لم يتصور ان نجاحهما سيصير فشلا ذريعا في النهاية . لقد كان من رغبة القائد ما ته هسينغ ان يحقق السلم ويؤمن سلامة المؤمنين بعد هذه الحرب الطويلة بدون اي تفكير في اخذ الانتقام حتى لقد اصبح هذا القرار كارثة على المسلمين فيما بعد .

ولما وجد قائد عام القوات المانشورية ان زعماء المسلمين يقبلون

المفاوضات ، اتخذ طريقا غير عادي في التقاليد الصينية . فعرض على قواد المسلمين ورؤساء الكتائب ، المناصب العالية والاكراميات الممتازة ان جاؤوا الى جانب الجيش الامبراطوري المانشوري . لقد رفض الامام المعمر المسمى ما ته هسينغ جميع المناصب العالية . غير انه رضي بقبول مبدأ المعـاش الشهري وقدره ٢٠٠ مثقال من الفضة حينما عين ما هسيان في رتبة زعيـم للجيش الامبراطوري مع تعيين من تحته من المأمورين في المراتب الممتازة المختلفة . واكراما للزعيم ما هسيان وعلى خلاف سياسة الجيـش الامبراطوري المانشوري كان المسلمون قد تمكنوا من الاحتفاظ بوحدتهم فيما بينهم كما يبدو . فدخل الجيش المنتصر عاصمة الولاية في نوفمبر ١٨٦٠ م بدون وقوع اي حادث من العنف.

واما الزعيم ما هسيان فقد غير اسمه من الان فصاعدا الى ما يعرف فيما بعد باسم « ماجولونغ » وتحت ستار هذا الاسم قدم الى بكين بصفته منقذا للعاصمة لا زعيما للعصـاة .

٦ ـ اختلاف الزعيمين المسلمين ادى الى فشل الحركة الاسلامية في يوننان :

كانت تلك ضربة دبلوماسية ماكرة قام بها الجانب المانشوري لتفريق صفوف المسلمين الى جماعتين متحاربتين : جماعة تزعمها ماجولونغ في يوننانفو وجماعة اخرى تحت لواء الزعيم تو وين شيوي في تاليفو . وقد سبب هذا التفريق الى اخفاق جميع الزعماء المسلمين في نضالهم للحريـة والكرامة ثم فنائهم بدون استثناء. فأخذ المسلمون منذ ذلك الوقت يتناحرون فيما بينهم بدلا من محاربة الجيوش الامبراطورية المانشورية بقلب واحد وبروح واحـدة .

ان الزعيم تو وين شيوي الذي كان له القيادة في غربي ولاية يوننان، كان يعتبر الامام المعمر ما ته هسينغ والزعيم ماجولونغ خائنين لقضية المسلمين. فلم يستطع ان يتفاهم معهما الى اخر لحظة في حياته . ونتيجة لذلك حدثت تغييرات كثيرة في الحكومة الاقليمية . فأصبح ما جولونغ فعلا قائدا عاما للقوات الامبراطورية المانشورية وكان من سلطاته ان يحدث اي تغيير في مناصب الولاية . فقام بتعيين تسين يو اينغ احد العملاء الصينيين في منصب امين الخزانة مما اعتبره المسلمون امرا فظيعا وضربة مميتة لهم. كان هذا الشخص الذي قفز الى مركز الوالي في الولاية فيما بعد ، قد نصب نفسه جزارا لذبح المسلمين كالخراف في كل مكان (١) وكانت ملامح وجهه تنم بالوحشية والدناءة الى اقصى حد واقساه .

(١) بروم هال : ص ١٣٧

في سنة ١٨٦٧ م توفي والي الولاية فرفع تسين يو اينغ الى منصب الوالي بالوكالة وعندئذ اصبح الزعيم ما جولونغ تحت امره فعلا . وفي فترة بين عام ١٨٦٨ و ١٨٦٩ كانت مدينة يوننانفو تحت حصار المسلمين . وكان في الامكان ان يفتح يو وين شيوي هذه المدينة بجيشه اذ كان يقود هو نفسه العمليات العسكرية هناك . غير انه قد ترك هذا الامر المهم في ايدي رجل ضعيف القلب والايمان يدعى تا سي جونغ فتقهقر من مكان لاخر وهوجم من اربع جهات بجيوش كان يقوذها الضباط الاربعة القديرون وهم يانغ يو كو ولي سين كو ، وما جولونغ وتسين يواينغ اي والي الولاية نفسه . وعندئذ سقطت المدن واحدة بعد اخرى في ايدي الجيوش الامبراطورية المانشورية بدون مقاومة تذكر .

٧ ـ مجزرة عامة في تاليفو ونهاية تو وين شيوي السلطان سليمان :

ولقد اصبح من المقرر اينما ظهر الوالي تسين يواينغ ان ينفذ مجزرة عامة بين المسلمين وقد حكى الكاتب الفرنسي روشر عن سقوط مدينة تشنغ كيانغ بما يلي : « ان الاف الالوف من السيدات المسلمات قد انتحرن بالقاء انفسهن واولادهن في الابار . كانت هناك حوالي خمسة الاف من النساء المسلمات اللواتي امتنعن عن الانتحار او قتل النفس يعانين اعنف الاعتداء من رجال الجيش عليهن ..» كانت المدينة تتعرض للسلب والنهب كليا . واضاف قائلا : انه من غير الضروري ان نذهب الى سرد التفاصيل عن القصص المؤلمة الدامية التي تعاقبت سقوط مدينة بعد اخرى. اننا لنرى اروع كارثة على المسلمين واوحشها عندما سقطت مدينة تاليفو(١).

في سنة ١٨٧٢ م كانت مدينة تاليفو تحت حصار شديد ضرب عليها الجيش المانشوري . وكان المسؤولون داخل المدينة منقسمين على انفسهم . كانت جماعة منهم تصر على القتال حتى النهاية . وجماعة اخرى من الذين تسلموا وعودا طيبة من الوالي الماجن نجحت في كسب ودهم . وتأكيدا لاستسلامهم بعثت بالخاتم الذي كان تو وين شيوي (السلطان سليمان) يستخدمه في اصدار الاوامر الى جيشه واتباعه وجميع المسلمين في المناطق التي كانت تحت سيطرته . . الى العقيد يانغ يوكو قائد الحامية المانشورية .

ان سليمان تو وين شيوي الذي ظل سلطانا على نصف ولاية يوننان لحوالي ١٦ عاما ، فلما وجد نفسه في النهاية مهجورا من المؤيدين ، رضي بتسليم نفسه الى الوالي اذ تمكن بذلك من انقاذ اغلب افراد المؤمنين .

---

(١) بروم هال : ص ١٤٠

فقام بتسميم ثلاث زوجاته وخمس بناته قبل ان لبس افخر ما عنده من الثياب واخذ طريقه نحو القيادة العامة للقوات الامبراطورية المانشورية في ١٥ يناير ١٨٧٣ م وكان محمولا على هودج صفراء رمز لعظمته السلطانية . وقبل دخوله قاعة الاستقبال بلع جرعة كبيرة من الافيون وعلى رواية اخرى بلع وريقة من الذهب . وعندما تمثل امام القائد العام للقوات الامبراطورية المانشورية طلب كأسا من الماء وعندئذ قال لعدوه اللدود : ليس عندي اي طلب . وكل ما اريد ان اقوله هو « ارجو الا تهدر دماء الناس الابرياء كثيرا » . وبعد ذلك شرب الماء فخر جثة هامدة على الارض . فقطع راسه وبعث به الى البلاط المانشوري في بكين .

٨ ـ تاليفو حزينة في تاريخ الاسلام في الصين :

وتعقيبا على القصة التي رواها الكاتب الفرنسي روشر عن مغامرة السلطان سليمان تو وين شيوي في يونان في كتابه ، استطرد قائلا : ان ابواب المدينة (تاليفو) قد اغلقت من كل جانب لمنع هروب الناس منها . فاقتحم ثلاثة او اربعة من العساكر بيتا واحدا من بيوت المسلمين وتربعوا فيه . فأقام الوالي وليمة فخمة بعنوان الاحتفال بانتصاره على السلطان سليمان واستلامه للسلطة الامبراطورية . ودعا اليها جميع زعماء المسلمين ووجهائهم . وعند ما كانوا يدخلون قاعة المأدبة احيطوا من كل جانب وقبضوا على الجميع وضربوا اعناقهم . وبعد ذلك اطلقت المدافع ستة طلقات ايذانا لبداية المذبحة العامة داخل المدينة . وليست هناك كلمات او اقلام قادرة على وصف تلك المناظر الفظيعة الوحشية التي تلت . فالعساكر قاموا بقتل جميع افراد العائلات التي تربعوا في بيوتها رجالا ونساء وشيوخا وشبابا بدون استثناء ولا رحمة .

واستمر روشر قائلا : ان المدينة كانت فيها نحو خمسين الف من المسلمين وقد لاقى ما لا يقل من ثلاثين الف منهم حتفهم على ايدي الجزارين المانشوريين في ابشع صورة . وبعد مجزرة عامة بعث الوالي تحليلا لنجاحه وافتخارا لانتصاره ، بأربعة وعشرين سلة ـ ٢٤ ـ مليئة بالاذان الادمية مصحوبة برؤوس الزعماء المسلمين ووجهائهم الى العاصمة بكين كدليل على نصره العظيم الذي احرزه في يونان .

هكذا ايها القاريء الكريم ، اريد ان القي الستار على هذه القصة المؤلمة الفظيعة عن ثورة المسلمين في ولاية يونان احدى ولايات الصين في عصر تسينغ اي العصر الامبراطوري المانشوري في ذمة التاريخ .. فاعتبروا يا اولي الابصار .

البـاب الثالث

المسلمـون في الصـين

منذ تاسيس الجمهورية فيها عام ١٩١١ م

الفصل الاول

اوضاع المسلمين العامة منذ بداية الحكم الجمهوري في الصين

انقلبت الصين الى الحكم الجمهوري في عام ١٩١١ وكان ذلك قد تم بقيادة الدكتور صون يات سين الملقب فيما بعد بأبي الجمهورية الصينية نتيجة لعدم الرضا العام الناشيء من الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار في البلاد السائدة في جميع انحاء الصين في اواخر ايام الحكم الامبراطوري المانشوري الذى عانى خلالها المسلمون ما عانوه من المظالم والقسوة والوحشية .

فتنفس المسلمون الصعداء اذ سمعوا سقوط الامبراطورية المانشورية الغاشمة في ايدي الحزب الصيني الوطني الذي كان يتزعمه الدكتور صون والذي نادى بتأسيس الجمهورية الصينية على الوطنية والديمقراطية والمساواة فاعتبر المسلمين في الصين عنصرا من العناصر الخمسة التي تتكون منها الامة الصينية وهي ..

١ ـ العنصر الصيني (اكبر العناصر في الامة الصينية) .

٢ ـ العنصر المانشوري .

٣ ـ العنصر المغولي .

٤ ـ العنصر الاسلامي (الهوى) .

٥ ـ العنصر التبتي .

فلذا كان العلم الصيني الوطني مكونا من خمسة الوان : الاحمر والاصفر والازرق والابيض والاسود . وكان اللون الابيض يشير الى العنصر الاسلامي في الامة الصينية . ولاجل هذا كان المسلمون في جميع ارجاء الصين بما فيها ولاية سنكيانغ يؤيدون الحكم الجمهوري منذ يوم تأسيسه في الصين ويعملون لنجاحه بكل اخلاص وايمان .

ويجدر بنا ان نلقي نظرة عامة على حالة المسلمين في الصين في هذا العهد الجديد من وجه عام بما فيها توزيع السكان المسلمين في الصين واوضاعهم الاقتصادية والدينية والتعليمية ومنظماتهم شبه السياسية ونبدأ اولا بذكر عدد المسلمين واوضاعهم الاقتصادية .

١ ـ عدد المسلمين في الصين واوضاعهم الاقتصادية :

اختلفت الاراء اختلافا كبيرا فيما يتعلق بعدد المسلمين في الصين . فمثلا ان الكاتب الانكليزي مارشال بروم هال لما كان يكتب في سنة ١٩١٠ م ذكر ان عدد المسلمين في ذاك الوقت كان يقدر على الاكثر بـ ٩٫٨٢١٫٠٠٠ نسمة اي اقل من عشرة ملايين ، بمن فيهم المسلمون في ولاية سنكيانغ (١) وقبله كان زعيم مسلم مسمى عبد الرحمن قد اعلن في القاهرة عام ١٩٠٦ م ان الصين كانت تضم فيها نحو ٢٤٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة من المسلمين . واما المستر أ. هـ. كينة (A. H. Keane) فقد ذكر في كتابه المعروف بآسيا ، بأن المسلمين في الصين كان عددهم يبلغ ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة على وجه التقريب . وكان قبل ذلك قد قام مسيو ام. دي تريسان الذي كان يشغل منصب القنصل الفرنسي في الصين لمدة طويلة بصرف ثمانية عشر عاما في دراسة اوضاع المسلمين وتحقيق حالاتهم في الصين فذكر رقما لم يتجاوز ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ مسلما في ١٨٩٨ م كما انه في سنة ١٩١٧ كتب فرنسي اخر في ريفيو دوماند ـ عدد يناير ١٩٠٧ ـ قائلا : ان عدد المسلمين في الصين كان في حدود ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة فقط .

غير ان الطبعة الانكليزية لكتاب الصين السنوي عام ١٩٤٠ م الذي طبع من قبل المطبعة التجارية الكبرى بشنغاي وكذلك كتاب الصين السنوي الذي نشر من قبل الحكومة الصينية في نشونغ كنغ عام ١٩٤٨ م قد ذكر كل منهما ان عدد المسلمين في ذاك الوقت قد بلغ ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة مقرونا بذكر ٤٢٫٣٧١ مسجدا وجامعا في جميع انحاء الصين . فالرقم المذكور في كتاب الصين السنوي عام ١٩٤٠ و ١٩٤٨ عن عدد المسلمين في الصين ولو انه لم يذكر المصادر او المراجع لهذا العدد قد اصبح مقبولا لدى كثير من العلماء المعاصرين مع الاعتقاد بأن عدد السكان المسلمين في الصين في الخمسينات كان يتراوح بين ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠ و ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة . فهذا الرقم كان في الحقيقة يمثل ٩٪ بالنسبة لمجموع سكان الصين الذي بلغ عددهم في عام ١٩٤٨ ٤٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وفقا للاحصاءات الرسمية .

---

(١) بروم هال : ص ١٢٥

ومما لا شك فيه ان اغلبية المسلمين في الصين كانوا يسكنون في الولايات بشمال الصين الغربي مثل قانصو ونينغ هشيا وتسينغاي وسنكيانغ . وقد وجد عدد كبير من المسلمين في ولاية يوننان بجنوب الصين وفي ولايات هاوبه وهاونان وشانتونغ بشمال النهر الاصفر . واما في الولايات الاخرى فقد وجدت فيها اقلية صغيرة من المسلمين . وبناء على الارقام التي قبلتها الجهات الرسمية في الحكومة الصينية كان المسلمون يوزعون على ما يلي :

اسماء الولايات	عدد المساجد	عدد المسلمين
١ ــ سنكيانغ	٢٠٤٥	٢ر٣٥٠ر٩٥٠
٢ ــ قانصو	٣٨٩١	٣ر٥١٠ر٩٢٠
٣ ــ نينغ هشيا	٦٥٥	٧٥٣ر٤٠٠
٤ ــ تسينغاي	١٠٣١	١ر١٨٦ر٥٩٠
٥ ــ ولايات الشمال الشرقية	٦٥٧٠	٧ر٥٣٣ر٦٨٠
٦ ــ جهول	٢٤١	٢٧٨ر٩٥٠
٧ ــ صوي يوان	٢٥٣	٣٨٤ر٦٢٠
٨ ــ جها هار	١٧٥	١٧٥ر٥٠
٩ ــ ها و به	٢٩٤٢	٢ر٣٧٩ر٤١٠
١٠ ــ هاو نان	٢٧٠٣	٣ر٠٩٤ر٨٠٠
١١ ــ شنى	٢٦١٦	٤ر٢١٩ر٠٩٠
١٢ ــ شاني	١٩٣١	١ر٥٨٩ر٥٧٠
١٣ ــ شانتونغ	٢٥١٣	٢ر٨٩٠ر٤٣٠
١٤ ــ يوننان	٣٩٧١	٤ر٥٦٨ر٢٩٠
١٥ ــ كوي تشو	٤٤٩	٥١٩ر١٦٠
١٦ ــ سزي تشوان	٢٢٧٥	٢ر٦١٥ر٣٣٠
١٧ ــ كونغ سي	٤٢٩	٢٨٠ر١٨٠
١٨ ــ كوانغ تونغ	٢٠١	٥٥٨ر٤٥٠
١٩ ــ هونان	٩٣٢	١ر٣٠٢ر٩٠٠

اسماء الولايات	عدد المساجد	عدد المسلمين
٢٠ ــ هو به	١١٣٤	١ر٥٨٧ر٠٨٠
٢١ ــ كيانسي	٢٠٥	٢٨٦ر٥٩٠
٢٢ ــ تشيكيانغ	٢٣٩	٣٥٧ر٣٠٠
٢٣ ــ آنخوي	١٥١٥	٢ر٢٨٨ر٥٨٠
٢٤ ــ كيانصو	١٣٠٢	١ر٩٦٣ر١٧٠
٢٥ ــ فوكيان	١٥٧	٤٧١ر٥٧٠
المجمــوع	٤٢ر٣٧١	٤٨ر١٠٤ر٢٤٠

٢ ــ اوضاع المسلمين اقتصاديا :

مع ان عدد المسلمين في الصين كان يبلغ ٩٪ من مجموع سكان الصين غير ان اغلبهم اميون قبل الاربعينات من القرن الحالي لم يعرفوا القراءة والكتابة الا قليل منهم . فلذا لم يستطيعوا ان يحرزوا مكانة مرموقة في حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية . وعليه لم يوجد من بينهم الا عدد صغير من التجار وكان اغلبهم يشتغلون في بعض التجارة الخاصة مثل تجارة العقيق والاحجار الكريمة من قبيل اليشب والفيروز والعقيق والمرجان وكذلك في تركيب المجوهرات المتنوعة وتصنيعها . فقد احتفظوا بمركز لا بأس به في هذه الصنائع والتجارة في اسواق شنغاي وبكين وسي آن ونانكين. وكانت محلات المجوهرات والعقيق والصنائع المزينات القديمة والتحف الجميلة في شارع (منغ كواي) وصنع اليشب والفيروز في محلة (خوي كيا بين) بمدينة شنغاي وسوق اليشب في (تسونغ ثونغ) ومحلات العقيق بباب (جيان مين) و (لانغ فانغ) و (توتيو) بمدينة بكين وكذلك محلات العقيق والتحف الطريفة بقرب معبد كانفوشيوس بنا نكين ، كانت اكثرها في ايدي المسلمين . كما لهم جمعيات ونقابات في المدن الاخرى الكبرى وفي سي آن عاصمة الصين القديمة كان المسلمون يمتلكون فيها سوقا خاصا للتجارة في احجار اليشب والعقيق والتحف المصنوعة من الاحجار الكريمة الاخرى . وقد اقتنى من هذه السوق الشهيرة الاستاذ برتولد لوفر مؤلف سينو ــ ايرانيكا عددا من القطع النادرة من الصنائع القديمة التي تمت على ايدي المسلمين . وكان في الصين مثل سائر يقول : « ان الخبراء في احجار اليشب والفيروز هم المسلمون » . وحتى الوقت الحاضر توجد محلات لصنائع اليشب والفيروز والاحجار الكريمة الاخرى والتحف النادرة في

هونغ كونغ وتايبة واصحابها مسلمون كما توجد في نيويورك محلتان اثنتـان في جادة ماديسون ، تحتويان التحف النادرة القديمة من الففوريات والاواني الخزفية والفخارية يمتلكهما المسلمون الصينيون الذين هاجروا الى نيويورك بعد استيلاء الشيوعيين على ارض الصين الام .

واما التجارة الاخرى التي كان المسلمون يعتادون على الأشتغال بها هي بيع لحوم البقر والضان وكان من الطبيعي ان يشتغلوا في هذه التجـارة الخاصة لانهم كانوا يحتاجون اليها في حياتهم اليومية من ناحية التغذية وكان من الضروري ان يستعملوا لحوم الابقار والاغنام في اطعمتهم اليوميـة وبهذا الخصوص لم يستطيعوا ان يعتمدوا على خدمة الاخرين من غـير المسلمين كما ان غير المسلمين لم يتنافسوا معهم في هذه التجارة لان لحوم الضان والبقر لم تكن من اغذيتهم المرغوب فيها ، اذ ان غير المسلمين كانوا وحتى يومنا هذا يفضلون لحم الخنزير على لحوم الحيوانات الاخرى في مطابخهم وطعامهم . فمن الميسور ان يتركوا لحوم الابقار والاغنام في ايدي المسلمين في اي مكان من ارجاء الصين الواسعة .

وعلاوة على هذا فان الاغنام والضان هي من الثروات الحيوانية في ولايات شمال الصين الغربي حيث ما زال المسلمون يعيشون فيها عيشـة الرعاة لان المراعي في سنكيانغ ومانغوليا وقانصو ونينغ هشيا وتسينغاي والتبت وفي المناطق المجاورة لهذه الولايات متوفرة وتهيىء لهم احسن الفرص لتربية المواشي من الابقار والاغنام والضان حتى شاع فيما بينهم مثـل سائر وعلى الاخص بين المسلمين في شمال الصين الغربي حيث قال :

ها هي سماؤنا وها هي رمالنا
ونحن مـع القطيـع امامنـا
مـن ابقارنـــا واغنامنـا
سعـــداء في اراضينـــا

وهذه الكلمة المأثورة التي ذكرناها آنفا تدل دلالة قوية على ان القطيع من المواشي ثروة حيوية للمسلمين في شمال الصين الغربي .

وبناء على ما ذكرناه آنفا كانت هناك انواع اخرى من التجارة قد تطورت في تلك الولايات من الصين وكان ذلك بارتباطاتها بتربية المواشي في مناطقهم الخاصة ومن هذه التجارات نذكر مثلا الاصواف والفـــرو

والسجاجيد . وقد كان للمسلمين احتكار تقريبا في هذه التجارات في الايام الماضية . ولكنهم اصبحوا محرومين من هذا الحق الذي ظل محتكرا فيهم بسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية واسباب اخرى بالرغم من انهم ما زالوا يقومون بتزويد المواد الخام في هذه الاشياء للتجار الصينيين . بيد ان البضائع الجاهزة قد صارت الى ايدي الشركات الصينية المنظمة او الى الوكالات الحكومية لتصدرها الى الخارج لكسب العملات الصعبة او للتبادل التجاري الخارجي .

وبعد هذا فان المسلمين في الصين قد تعودوا على الاشتغال بالمطاعم وكان لهم اسهم معقولة فيها فاشتهروا بأنواع من الاغذية الخاصة التي اعدوها بلحوم الضان والبقر وعلى الاخص في المطاعم التي كانوا يشرفون عليها في بكين ونانكين ومدن كبرى اخرى في الصين .

وفي المناطق التي لم يتيسر لهم ان يعتمدوا على تربية المواشي لمعيشتهم ، اتخذوا عادة ، الزراعة والصنائع اليدوية وسيلة لحياتهم كما اشتغلوا في بعض التجارة العادية حسب الظروف والفرص السانحة لهم . فالمسلمون في ولاية يونان كانوا يحتكرون نوعا من الشاي المعروف بشاي المكبة فسافروا به الى اماكن بعيدة مثل التبت وبورما . ثم يرجعون ببضائع تلك البلاد الى اوطانهم في يونان . ومن المعلوم ان اهل التبت يحبون هذا النوع من الشاي ويستعملونه كخضروات ناشفة بدلا من الخضروات الطازجة التي لا توجد في التبت الا نادرا . فأخذ التبتيون هذا النوع من الشاي وطبخوه في الماء الفاتر حتى تحلل واصبح كأنه مرقة سائغة للشاربين .

وفي المناطق التي قطنها المسلمون توجد انواع مختلفة من المعادن كالذهب والفحم والموارد الاخرى ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة . غير انهم بسبب حرمانهم من التعليم الحديث والمهني لم يستطيعوا ان يقيموا مؤسسات صناعية للاستغلال والاستثمار . ولقلة معرفتهم بالتنظيم والتصنيع على اساس فني وتجاري كانوا يتركون هذه الموارد دائما في ايدي الصينيين الذين لهم خبرة واسعة ومهارة فائقة في التصنيع والتعدين .

وزد على هذا فان المسلمين كانوا يعرفون بالتجربة ان الصناعات الكبرى المتطورة في مناطقهم تجلب احيانا منافسة شديدة وحتى عداوة خطيرة مع رجال الاعمال الصينيين الشاطرين من ذوي الاطماع الكبيرة . وكانت هذه المنافسة او العداوة تؤدي احيانا الى حالة توتر شديد تهدد ارواح المسلمين في المنطقة كلية بالخطر . ونذكر هنا على سبيل المثال حركة

العصيان التي قام بها المسلمون في ولاية يونان والتي كان سببها الاصلي هو وجود النزاع بين المسلمين وغير المسلمين من الصينيين في صناعة المعادن في شيه يانغ تشانغ (Shih Yang Chang) بولاية يونان وكانت هذه الحركة قد ادت الى خسائر فادحة للمسلمين ، نتيجة للمنافسة الشديدة والنزاع المتفاقم في صناعات التعدين .

ومن المعلوم ان المسلمين في الصين كانوا اناسا يعيشون عيشة التقشف والاقتصاد ويكسبون قوتهم بالجد والكد ولم يكن لهم اي طموح ولا رأسمال عندهم لمنافسة المليونيريين من التجار الصناعيين الصينيين الذين حصلوا على دراسات عالية في الجامعات الاميركية والذين لهم مساندة من الدوائر الحكومية او من البنوك الاجنبية . والحقيقة انهم كانوا مقتنعين بمكاسبهم المتواضعة من التجارة المعتادة في اية مدينة من المدن وبمعيشتهم العادية بين سكان المدن واهالي الضواحي . وفي الارياف كانوا يتعودون على حرث الارض واعمال الزراعة . فكانوا يرغبون دائما في ان يعيشوا في وئام مع الصينيين المحليين ان لم يتعرض لهم احد بأذى ولم يجرح مشاعرهم الدينية من قبل بعض الكتاب النمامين المفترين (١) وكانت علاقاتهم مع جيرانهم قائمة على التفاهم والتعاون والتسامح والاحترام المتبادل .

---

(١) لقد ظهر بين ١٩٢٨ و ١٩٣٦ م عدد كبير من الكتاب النمامين المفترين في الصين وكانت اغراضهم هي توجيه الاهانة واثارة الفتن ضد جماعات الاقلية وعلى الاخص ضد المسلمين . وبهذا الصدد قام بعض اصحاب القلم بافتعال الروايات واختراع القصص الخارجة على المنطق والمشاعر الانسانية ، بغية اهانة المسلمين الى حد اقصى . فقد كتب احد هؤلاء الكتاب الخبيثين يسمى لوتسي ـ كيانغ (Loe Tze Kiang) في مجلة فنون نان هوا (Nan - Hwa) في عددها الصادر في شهر سبتمبر ١٩٣٢ م بنانكين وقال فيها: «ان المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير لانهم من ابناء (جو ـ با ـ كاي) Chu - pa - Kai اي روح الخنزير التي ذكرت في رواية (سي ـ يو ـ جي) الرحلة الى الغرب ـ رواية تحكي عن رحلة اشهر راهب بوذي صيني (تانغ سين) الى الهند للدراسة والتعمق في التعاليم البوذية وفلسفة الديانة البوذية والتي كانت رائجة في الهند قبل مولد المسيح بقرون . »

الفصل الثاني

التنظيمات الاجتماعية والثقافية وشبه السياسية عند المسلمين

١ ـ المساجد مراكز المسلمين :

ان العوامل التي تساعد على اكثار المسلمين وانتشارهم في جميع انحاء الصين ، هي المهاجرة من مكان الى مكان ومن مدينة الى اخرى بعيدة عن مساقط رؤوسهم الاصلية ، بغية البحث عن العمل والارتزاق ووسائل المعيشة الاخرى مثل التجارة والصناعة باستثناء بعض الحالات التي حصلت فيها هجرة المسلمين الى اماكن غريبة ، نتيجة للاضطرابات السياسية والاضطهاد المدني من قبل السلطة المحلية مثل هجرة المسلمين الى ما وراء وادي ايلى بشمال تركستان الصينية في القرن الثامن عشر الميلادي .

وعلى كل فان المسلمين اينما توجهوا واستوطنوا في مكان ما ، فمن المتصور ان يثبتوا اقدامهم فيه ثم يبدأون بكسب العيش بالاشتغال في الاعمال الحرة مثل التجارة والصناعة في مستوطناتهم الجديدة . وكان عددهم قليلا بيد انهم قد اخذوا يتكاثرون بمرور الزمن وكان ذلك اما عن طريق التحاق الاقارب والاصدقاء بهم او عن طريق الزواج والتناسل . وبتزايد المسلمين وتكاثر عددهم في محل معين ، اخذوا طبعا يفكرون في انشاء مسجد او جامع كمركز ديني للعبادة والصلاة فقط ، اي بدون اي برنامج خاص غير العبادة . ثم ارتفع عدد المساجد حيث وجد المسلمون بالكثرة وهم مستقرون في حياة ثابتة مستقرة .

واما المساجد فلم تكن جمعيات منظمة بمعنى الكلمة . فلذا لا يوجد لها برنامج مخطط للقيام بنشاطات اخرى في المنطقة باستثناء القيام بالمحافظة على نظافة المسجد وعمل الترتيبات لما يتعلق بواجبات الصلاة وشعائر الدين من اللوازم للوضوء والانارة . واذا كان المسلمون في تلك المنطقة اغنياء نسبيا فمن الممكن ان يوظفوا (آخوذ) اي عالما دينيا بالقاء بعض الدروس الدينية في احدى الحجرات التابعة لعمارة المسجد . وكانت هذه الاعمال دينية محضة ليست لها اية علاقة بما يتعدى حدود « جماعة » اي المسجد المحلي.

وكانت اغلبية المساجد في الارياف تبتعد عن بعضها البعض وقد اصبحت منعزلة بسبب صعوبة الاتصال والمواصلات . وعلى كل فقد عاشت وبقيت كما هي في مناطقها الخاصة واستمرت هذه الحالة للمساجد في الماضي والايام الغابرة .

بيد ان المسلمين بعد تأسيس الجمهورية الصينية في الصين في ١٩١١ م واجهوا ظروفا مختلفة وعلى الاخص المتعلمون منهم ، بما دعاهم الى التفكير فيما اذا كان من اللازم ان ينظموا المسلمين في انحاء البلاد في جماعات مناسبة لكي يتمكنوا من المحافظة على وجودهم وكيانهم في الظروف المتغيرة تلبية لمتطلبات التطور الاجتماعي والسياسي المستجد لكي يسيروا مع قافلة الزمان الى الامام والتقدم الذي يتطلبه العصر الحديث بتحدياته واكتشافاته واختراعاته العلمية المدهشة . .

وتحقيقا لهذا الهدف قد اعيد تنظيم المساجد ووسع نشاطاتها فاضيفت اليها مهمة التعليم الحديث ودراسته والحركات الاجتماعية وندوة التشاور للدفاع عن الدين الاسلامي ــ الامر الذي دعت الحاجة الى القيام به . لان عددا غير قليل من الكتاب الصينيين قد كتبوا بنيات مغرضة ومثيرة للمشاعر والفتن ، مقالات كثيرة هاجموا فيها المسلمين والدين الاسلامي بصورة مهينة للغاية . ولان المبشرين المسيحيين كانوا احيانا يطالبون بالاجتماع مع المسلمين للتجادل في المسائل الدينية والمذاهب العقائدية . ولمواجهة هذه التحديات كان المسلمون يرون من اللازم ان يعدوا انفسهم لكي يستطيعوا ان يؤدوا واجباتهم حسب مقتضيات الزمن.

بعد اعادة تنظيم وتوسيع نشاطات المساجد كان المفكرون قد قاموا بتأسيس الجمعيات الاخرى التي تتولى الاشراف على الشؤون الاجتماعية والتعليمية او ما له صفة شبه سياسية . وفيما يلي سأذكر بعض هذه الجمعيات التي قامت بأعمال مفيدة للمسلمين على وجه خاص وللبلاد على وجه عام .

٢ ــ الجمعيات الاسلامية التي لها صفة تعليمية واجتماعية معا :

١ ــ جمعية التقدم للمسلمين في الصين : وقد تأسست هذه الجمعية في ١٩١٢ م على يد زعيم مسلم من اهل بكين اسمه وانج هاوزين (Wang Haa-zen) الذي زار تركيا ومصر والبلدان الاسلامية الاخرى . وبعد عودته الى الصين لما رأى ان المسلمين في حالة متأخرة وشعر بأن التغيير الاساسي من الحكم

الامبراطوري الى الحكم الجمهوري ، قد فرض على المسلمين شعورا جديدا وتيقظا عاما . فقام بالدعوة الى انشاء جمعية التقدم الاسلامي لتوحيد شتات المسلمين المتفرقين في انحاء ارض الصين الواسعة ، الى وحدات منسقة مع مركز في بكين يشرف على توجيه برنامج تعليمي علماني لصالح اطفال المسلمين ، بأموال الصندوق الخاص الذي ساهم جميع المسلمين في الاكتتاب له وتمويله بما يستطيعون . وقد كان السيد وانج قد وجد تأييدا شاملا من بين المثقفين في وقته وبعض من هؤلاء المثقفين ما زالوا على قيد الحياة واستمروا في القيام بدور مهم في تعليم ابناء المسلمين في الصين دينيا والنهوض بهم اجتماعيا .

كان البرنامج الذي وضعه السيد وانج للنهوض بالمسلمين في الجمهورية الصينية قد تلقى تأييدا حارا من قبل جميع طبقات المسلمين في المدن والقرى التي وجد فيها عدد ملحوظ من المسلمين . ونتيجة لهذه الحركة المباركة وجدت في كل مسجد مدرسة تحت مراقبة او اشراف المديرية التعليمية التابعة للحكومة البلدية في كل مدن وولايات الصين وعلاوة على هذا فان المسلمين المتمولين في بعض المدن والقرى قاموا بانشاء المدارس الاعدادية والثانوية الخاصة في مناطقهم ، واجروا فيها البرنامج التعليمي ، الذي ينفذ في المدارس الحكومية . كان نشاط هذه الجمعية اجتماعيا وتعليميا محضا بعيدا عن اي لون سياسي بتاتا . بد انها قد اصبحت ام الجمعيات السياسية بمرور الزمان حينما انشئت جمعيات شبه سياسية فيما بعد وتطورت على منوال هذه الجمعية التي تركت بدون شك اثرا عظيما في المنظمات الاسلامية التي ظهرت بين المسلمين في الصين في السنوات المقبلة .

٢ ـ جمعية الادب الاسلامي في الصين :

لقد انشئت هذه الجمعية على يد الحاج هلال الدين ها ته تشينج في شهر يونيو ١٩٢٥ م في شنغاي . وقد كان عالما شهيرا من بين علماء المسلمين الصينيين وقد تلقى تعليمه في مصر ثم زار استنبول والهند وكان يتكلم العربية والاردو ويعتبر من العلماء المتنورين . وقد توفي في مدينة تشونج كنج عام ١٩٤٨ وكانت الجمعية التي انشأها في شنغاي تستهدف ما يأتي :

١ ـ تبسيط وتفهيم العقائد الاسلامية ومباديها .

٢ ـ النهوض بالتعليم الاسلامي بين ابناء المسلمين .

٣ ـ اقامة العلاقات الودية بين المسلمين والمسلمين الذين وردوا لزيارة الصين من الخارج .

٤ ـ مساندة الاعمال الخيرية والاجتماعية لرفع مستوى ابناء طبقات المسلمين ثقافيا واجتماعيا .

وقد وضعت هذه الجمعية برنامجا مرسوما ليوضع موضع التنفيذ على النحـو التـالي :

١ ـ وضع ترجمة لمعاني القرآن باللغة الصينية .

٢ ـ اصدار مجلة شهرية اسلامية .

٣ ـ القيام بنشر الدعوة الاسلامية بين ابناء غير المسلمين .

٤ ـ انشاء مدارس المعلمين الاسلامية ووضع المدارس الاسلامية على اساس عصري حديـث .

٥ ـ انشاء مراكز الثقافة ودور القراءة الاسلامية .

٦ ـ افتتاح مركز للطلبة المسلمين في شنغاي للترفيه عنهم وعلى الاخص لاولئك الذين جاءوا من الولايات الاخرى البعيدة للدراسة في جامعـات شنغاي المختلفـة .

٧ ـ تخصيص منح دراسية لمساعدة الطلاب المتفوقين على تكميـل دراساتهم العالية في الجامعـات .

٨ ـ افتتاح الفصول المسائية لدراسة العلوم العربية والاسلامية .

كانت هذه الجمعية تعتبر احسن الجمعيات الادبية الاسلامية في الثلاثينات من القرن الحاضر وبعد ذلك انتقلت نشاطات المسلمين في المجالات الثقافية والتعليمية والدينية الى بكين .

وقد انشئت مراكز عديدة تعليمية في اواسط مجتمعات المسلمين بـين عام ١٩٢٥ و ١٩٤٠ م وكان ذلك بجهود المسلمين انفسهم وكان احسن هذه المراكز التعليمية الاسلامية من حيث التنظيم والادارة هو دار المعلمين تشندا الاسلامية الكائنة في بكين . وتليها المدرسة الاسلامية بشنغاي التي اسست في ١٩٢٥ م ثم مدرسة تيهوا الثانوية في شنغاي (فأصبحت هذه المدرسة الثانوية احسن المدارس في شنغاي بعد استيلاء الشيوعيين عليها) . ثـم مدرسة شمال الصين الغربي لابناء المسلمين ببكين والتي اسست في ١٩٢٨ م ثم كلية موشن (كلية النبي محمد ـ ص ـ) التي انشئت في هانج تشو .

١٩٢٨ م . تم دار المعلمين يونج تنج بمدينة نينج هشيا وقد انشئت في ١٩٣٢ م وسميت باسم احد زعماء المسلمين الذي كان حاكما على تلــك الولاية . ثم مدرسة الهلال للبنات في بكين انشئت في ١٩٣٥ م وقد ذكر الاستاذ غوتهونج شيان كل هذه المدارس في كتابه « تاريخ موجز للمسلمين في الصين » في صفحاته من ٢١٠ الى ٢١٨ .

٣ ـ دار المعلمين تشندا الاسلامية :

ان اولى المدارس المذكورة اعلاه يعني دار المعلمين تشندا الاسلامية في بكين كان لها تاريخ اطول كما كان لها نفوذ اوسع واكبر بين المدارس الاسلامية في الصين منذ تأسيسها حتى اوائل الخمسينات . وبعد استيلاء الشيوعيين على بكين عدلوا برنامج التعليم فيها وجعلوها ملحقة لمعهــد اقليات المسلمين في بكين الذي يجري فيه التعليم العربي والاسلامي حسب الترتيبات التي وضعها له اولو الامر في الصين الشيوعيــة .

واما تاريخ هذه المدرسة فكما نعرف انها اسست في مدينة تشي ـ نان عاصمة ولاية شانتونج في ١٩٢٥ م على ايدي جماعة من الزعماء المسلمين المهتمين بالشؤون الاسلامية والتعليم الديني بين شباب المسلمين وكانت القوة المحركة لهذه المدرسة هي الشيخ عبد الرحيم ما سونج تونج ثم نقلت الى بكين في سنة ١٩٢٩ م وشغلت عمارة كبيرة وراء جامع قوس النصر الشرقي (تونج شيه باي لوي) القوس التذكاري الذي بني في عصر يوان (عهد المغول) وكان البرنامج التعليمي فيها يتضمن المواضيع الاتية :

١ ـ الدراسات العامة المتضمنة ادب الصين وتاريخها وجغرافيتها والرياضيات والطبيعيات .

٢ ـ الدراسات الاسلامية المشتملة على تعليم القرآن والتفاسير والحديث والتوحيد والشريعة والادب العربي وتاريخ الاسلام وفلسفة الاسلام والعلوم الاسلاميــة .

٣ ـ التربية : التعليم نظريا وتطبيقيا وتاريخ التعليم والادارات التعليمية وتنظيمها وعلوم الاخلاق والنفس والتربية .

٤ ـ العلوم السياسية والاقتصادية : التنظيم السياسي ومبادىء الاقتصاد السياسي والمبادىء الثلاثة للشعب للدكتور صون يات سين ابي الجمهورية . وهذا الكتاب يتضمن فلسفة الدكتور صون يات سين

ابي الجمهورية ومبادئه السياسية في بناء الصين من جديد بواسطة الكومنتانج (الحزب الوطني) . وكان لهذه المدرسة مطبعتان احداهما صينية والاخرى عربية لطبع الكتب الدراسية والمجلات والنشرات التي كانت هـــذه المدرسة تحتاج اليها وكذلك المدارس الاسلامية الاخرى في الصين . كما انها تتضمن احسن دور الكتب لدراسة الاسلاميات في الصين كلها وقد اشتهرت بمكتبة فؤاد الاول ملك مصر سابقا الذي تبرع لها بأكبر كميـــة من الكتب العربية والاسلامية ، كما تبرع لها بكمية كبيرة من الكتب الدينية والاسلامية الازهر الشريف في الثلاثينات من هذا القرن . ولقد قام الازهر بانتداب استاذين لتدريس العلوم العربية والاسلامية في دار المعلمين تشندا بين ١٩٣٥ و ١٩٣٧ م . لقد كان من ٢٩ طالبا من الطلاب الذين كانوا يدرسون في جامعة الازهر بالقاهرة خلال فترة بين ١٩٣٤و ١٩٤٠ م ثلاثة عشر طالبا قد بعثوا من هذه المدرسة . كما انها قد قامت بارسال عدد كبير من خريجيها الى ولايات شمال الصين الغربي للقيام بالاعمال التعليمية والارشادية والاشراف على وضع البرنامج التعليمي والثقافي فيها قبيل احتلال اليابان لتلك الولايات .

ولما احتل اليابانيون شمال الصين ووسطها اضطرت هذه المدرسة الى الانتقال من مقرها الاصلي في بكين الى كوي لين في اقصى الجنوب في عـــام ١٩٣٧ م بجميع طلابها وموظفيها ومدرسيها تاركة وراءها تلك العمـارة الضخمة التي تضم المدرسة مع جميع معداتها وادواتها والمكتبة النفيســة والمطبعتين الكبيرتين العربية والصينية تحت رحمة اليابانيين . ولقد كانت هذه المدرسة تمول من صندوق التبرعات المتحصلة من ذوي المـــروءة المسلمين انفسهم . وفي يوليو ١٩٤١ عندما كانت الحكومة الوطنية قد نقلت مقرها الى تشونج كنج وجدتها مفيدة وملائمة لسياستها فقامت بتقديم اعانة مالية لها والاشراف على برنامجها التعليمي مع الاخذ بعين الاعتبار بالاهداف التي من اجلها اسست على ايدي الزعماء المسلمين . فأصبحت منذ تلـــك السنة مدرسة مؤممة على حد قول المسلمين آنذاك .

وقد عادت هذه المدرسة الى بيتينج ـ بكين ـ بعد انتصار الصين على اليابان في ١٩٤٥ م فجددت نشاطها وامدتها بقوة جديدة . ولكنهـــــا اضطرت الى البقاء في بكين مع جميع ملحقاتها من العمارات واللوازم والمعدات والاساتذة عندما استولى الشيوعيون على الحكم في شمال الصين اولا ثم في جميع اراضي الصين . وكان ذلك لان الحكومة الوطنية عندما انسحبت من ارض الصين الام الى تايوان ، كانت تشعر بعجزها عن مساعدة هـــذه المدرسة ماليا لاخراجها من حوزة الشيوعيين . فأصبحت بعد استـــلاء

الشيوعيين عليها وتنظيمها من جديد ، فرعا من فروع معهد الصين الاسلامي – اعلى معهد لدراسة الاسلاميات في الصين الشيوعية اليوم . ومن البديهي.ان الحكام الشيوعيين كانوا يعقدون النية منذ اول وهلة على استغلال هذه المدرسة والاستفادة منها الى اقصى حد ممكن فجعلوها معرضا رائعا للدراسات الاسلامية لجلب انظار الدول الاسلامية وصداقتها الطيبة نحوها ونجحوا في ذلك الى حد كبير .

ولقد قام بانقاذ هذه المدرسة من ايدي الشيوعيين ، الشيخ عبد الرحيم ماسونج تينج احد مؤسسيها الاوائل الذي فر من مصيدة الشيوعيين الى الخارج في اوائل سنة ١٩٥٠ فقدم الى القاهرة في شهر آب – اغسطس تلك السنة على امل ان يجد مساعدة ادبية ومادية من مصر لنقل هذه المدرسة الى خارج الصين الشيوعية .

لكن مصر في تلك السنة كانت مستغرقة في مشاكلها الداخلية غير مستعدة للانصات الى نداءات الاستغاثة من فرد مسلم من البلاد التي لا صلة لها تاريخية كانت او ثقافية او تجارية . فرجع الشيخ عبد الرحيم ماسونج تينج الى هونج كونج وما انفك ساعيا في ايجاد الطريق لانقاذ مدرسته من براثن الشيوعيين . فسافر بين هونج كونج وتايبه مرارا آملا في الحصول على وسيلة كفيلة لانقاذ ما كان يسعى من اجله . بيد ان الحكومة الصينية الوطنية قد اصبحت عاجزة جدا غير قادرة على مساعدته ماليا . واما المسلمون في تايبه او في هونج كونج واكثرهم لاجئون من البر الصيني فلم يكونوا في حالة احسن منه . فلذا قرر بعد التردد والحيرة لسنة كاملة ، ان يعود الى بكين للمرة الثانية لكي يعمل في مدرسته ويشارك زملاءه واصدقاءه المسلمين في السراء والضراء ، منتظرا حكم الاقدار عليه في تلك العاصمة الصينية . ولقد ورد الى علمي بعد مدة انه كان من الباقين على قيد الحياة وقد حصل على مركز لا بأس به لدى السلطة الشيوعية وكان ذلك طبعا بعد قبوله بعض التعديلات في طريق التفكير ومنهج الحياة بين المسلمين . بيد ان الخبر الاخير الذي ورد الينا والى بعض اصدقائه في تايبه يؤكد انه ايضا الحق بجماعة الضحايا نتيجة لعمليات التطهير العام التي قام بها الشيوعيون ضد الرجعيين على حد قولهم علما ان الزعماء المسلمين الاخرين الذين كانوا قد بقوا في الصين الشيوعية قد ذهبوا نفس الطريق وصاروا الى حيث لا عودة منه ابدا .

٤ ـ المنظمات شبه السياسية عند المسلمين :

نعود الان الى القاء نظرة على المنظمات شبه السياسية التي انشأها المسلمون في الجمهوزية الصينية ليست لاغراض محضة بل لتوحيد كلمة المسلمين فيما يتعلق بمكانتهم في الجمهورية الصينية كالمواطنين المدنيين وفي تتبع تطورها وصل الباحثون الى هذه النتيجة : ان لهذه المنظمات صلة وثيقة بتكوين جمعية التقدم الاسلامي في الصين في سنة ١٩١٢ م كما ذكرنا قبلا لما لها من تنظيم منسق وتأثير واسع في انحاء البلاد . لان التوجيهات التي كانت تصدر عن مركزها الرئيسي في بكين قد شكلت عوامل مؤثرة للنشاطات التي تقوم بها المنظمات الفرعية المنبثقة منها في السنوات المتوالية في انحاء الصين . وقد وصل عدد المنظمات الفرعية لهذه الجمعية الهامة التي ظهرت في جميع انحاء الصين في ١٩٢٣ الى ما يقارب ثلاثة الاف فرعا .

ولان جمعية التقدم الاسلامي في الصين كانت منظمة اسلامية خالصة انشأها المسلمون لانفسهم وعليهم تعتمد اعمالها وحركاتها بدون اية مساعدة مالية كانت او ادبية من الحكومة . فقد دخل التوجس من نفوذها المتطور الى بعض الدوائر الحكومية فنظرت اليها نظرة غير مشجعة. ولاجل التقليل من اهميتها ونشاطها ساندت الحكومة جماعة اخرى من المسلمين في تأسيس « اتحاد المسلمين » في اكتوبر ١٩٢٩ م وجعل مركزه الرئيسي في شنغاي . وكان المجلس التنفيذي لهذا الاتحاد يتكون من الاشخاص المتنفذين الاتية اسماؤهم : (١) ها شو فو . (٢) ما اي تانج . (٣) شا شا نيو . (٤) وو تيكونج . (٥) صون يان اي ــ المعروف بصالح صون الان ــ و (٦) تا بو شيين . فقد خططوا سياسة الاتحاد على النحو الاتي :

١ ــ توحيد صفوف المسلمين القاطنين في الاماكن المتفرقة البعيدة من بلاد الصين وليس لهم اية وسيلة للاتصال او التعارف فيما بينهم ، بغية توثيق الروابط الودية وتنشيط التعاون الاخوي استهدافا لتنمية مصالحهم المشتركة ولخيرهم بوجه عام .

٢ ــ تشكيل الجبهة الموحدة بين المسلمين لتأييد قضية الثورة الوطنية التي دعا اليها الدكتور صون يات سين ابو الجمهورية الصينية والتي لم تكتمل بعد ، والمساعدة على تنفيذ برنامج البناء الوطني . ولاجل هذا وضعوا برنامجا عمليا يشمل النقاط الاتية :

أ ـ توفير الاسباب والتسهيلات لتعليم وتخريج نخبة ممتازة من شبان المسلمين الذين تتوفر لهم شروط خاصة لقيادة عامة المسلمين في الحياة الاجتماعية اليومية وفقا لاصول الدين ومباديء الاخلاق الفاضلة والتقاليد الاسلامية .

ب ـ توسيع النشاط التعليمي بوضع الاهمية على التعليم الوطني والثقافة التقليدية مع توصيات خاصة بالحقوق والواجبات لكل مواطن وعليه.

ج ـ تشجيع التعليم المهني بين المسلمين لكي يحصلوا على المزيد من التسهيلات والفرص لكسب المعيشة .

ه ـ الجمعية الاتحادية الاسلامية لكل الصين :

عندما كان اليابانيون يتقدمون في حملاتهم العدوانية الى جنوب الصين في سنة ١٩٣٨ م اجتمع مندوبون من المسلمين في مدينة هانكيو وفي نيسان من تلك السنة في اجتماع حاشد ، بحثوا فيه موقفهم بالنسبة للقضايا الوطنية . ونتيجة لذلك اعلنوا انشاء الجمعية الاتحادية الاسلامية لكل الصين التي تلقت تأييدا اكيدا من الحكومة مباشرة . فلذا قد كسبت هذه الجمعية الحديثة التأسيس نفوذا اوسع واعظم من المنظمات الاسلامية السابقة كلها . فأخذ نشاطها يغطي في الحقيقة نشاطات جميع الجمعيات السابقة في مدة وجيزة من تأسيسها .

ولقد انشئت هذه الجمعية الاتحادية لحاجة ملحة في وقتها ، على مقاومة العدوان الياباني وعلى الاخص على مكافحة نفوذ « اتحاد المسلمين الصينيين » الذي اوجده اليابانيون العسكريون في بكين قبل بضع اشهر فقط يرمون بذلك الى تأييد اعمال اليابان العسكرية في الصين (١).

فكانت الجمعية الاتحادية الاسلامية لكل الصين قد انتخبت بالاجماع الجنرال عمر باي تشونج هشي رئيسا لها وقد كان وزيرا للدفاع الوطني حينذاك . فقامت بمجهودات جبارة في تصحيح اوضاع عاصمة المسلمين وتعزيز مواقفهم وولائهم لحكومة الصين المركزية كما اوجدت صلات طيبة

---

(١) انظر في مقالة باري : تعانق اليابان الله ـ المنشورة في مجلة اسيا ـ اميركا عام ١٩٤٢ ص ١٧٢ ـ ١٧٤ .

بين الجمهوريته الصينية والبلدان الاسلامية منذ ذلك الوقت فصاعدا .
فحاربت اثناء الحرب الصينية اليابانية الدعاية اليابانية المغرضة داخل الصين وخارجها وسأتكلم عن اعمال هذه الجمعية الاتحادية ونشاطاتها ببعض التفاصيل عندما اتحدث عن المسلمين في الصين والجمهورية الصينية في الفصل الرابع من هذا الباب .



الفصل الثالث

كفاح المسلمين في سنكيانج

١ ـ الاحداث السياسية في سنكيانج وقت مولد الجمهورية الصينية :

لقد ذكرت التنظيمات السياسية في صفحة ٣٢٠٠ ـ ٣٣٠٠ التي وضعتها السلطة المانشورية في جنوب سنكيانج مع الاشارة الخاصة الى نظام « البكوات » الذي يرمي به الى مراقبة السكان المسلمين وتحركاتهم عن طريق تعيين البكوات في المدن الرئيسية في جنوب سنكيانج التي وقعت تحت سيطرتها ، مثل اعظم بيك واتاليق بيك ونياز بيك الخ .. ولما استولى المانشوريون على سنكيانج كلها بما فيها الكاشغرية والدونغارية وجعلوا منها ولاية جديدة قاموا بالغاء نظام البكوات باستثناء مدينة الهامي التي وقعت في شرقي سنكيانج والتي كان اميرها ما زال يحتفظ بلقب يشابه ـ البيك ـ فسمى واليها او اميرها « هامي وانج » اي شاه الهامي (١).

وقد شعر المسلمون في اواخر الايام من الحكم المانشوري بالاجراءات التعسفية التي فرضها عليهم مسعود بيك ـ شاه الهامي . فقدموا التماسا الى السلطة الامبراطورية المانشورية لمنحهم الاختيار في تقديم الشكاوي الى المسؤولين الصينيين في الدوائر الحكومية وعلى الاخص في امور تتعلق بمصالحهم الحيوية . لقد كان في ذاك الوقت يانج تسنج شنج مفوضا سياسيا عاما على ولاية سنكيانج وكان مقر عمله في آقسو . فذهب الى مدينة الهامي ونصح الشاه مسعود بيك بتوقيف الاجراءات التعسفية التي كان المسلمون يشكون منها . وقد وقفت نصيحته مانعة من ظهور الاضطرابات العامة ضد مسعود بيك في حينها .

بيد ان بعض الزعماء المسلمين قد اعتقلوا بعد بضعة اشهر ونفذ فيهم حكم الاعدام بأمر الحاكم العسكري في الولاية بتهمة اشتراكهم في مؤامرة تستهدف اسقاط بيك الهامي . وكان تنفيذ حكم الاعدام هذا قد سبب بطبيعة الحال عدم الرضا بين المسلمين على وجه عام . وخلال الفترة التى

---

(١) فوتهونج شيان : ص ١٧٢ .

جرى فيها التحقيق لاسباب الفتن . قام مسؤول سياسي كبير اسمه «آي شانفو» باعتقال المزيد من المسلمين وانزال العقوبات الشديدة عليهم بدون اي مبــرر .

ب ـ شاه الهامي واعماله التعسفية :

ان هذه الاعمال التعسفية التي قام بها شاه الهامي والمسؤولون الصينيون في اضطهاد المسلمين في المنطقة قد سببت اهتياجا عميقا في قلوب المؤمنين في مدينة الهامي . فقاموا في السنة الاولى من تأسيس الجمهورية الصينية بحركة ضد المفوض السياسي « آي شانفو » وقتلوه في نان ـ شان ـ كو انتقاما . وفي نفس الوقت انتخبوا السيد تيمور تركي الجنس كرئيس لهم . فانضم اليه فيما بعد السيد خوجة نياز احـد الزعمـاء المسلمين المتنفذين في المنطقة . ولما جاء القائد الصيني « يوان » بقوته ، تجمع المسلمون في الجبال القريبة وحصنوا مراكزهم فيها . فوقفوا يقاتلون جيش « يوان » بكل شجاعة وبسالة وردوهم على اعقابهم .

وفي السنة الثانية لما وصل يانج تسينج شين كحاكم عام على سنكيانج قام كثير من المستشارين العسكريين بتقديم النصائح له ، وكان من بينهم مسعود بيك شاه الهامي ، على ضرورة اتخاذ تدابير صارمة ضد العصـــاة المسلمين . غير ان الحاكم العام الجديد « يانج » كان يرغب في تســوية الخلافات بالتفاوض وعن طريق سلمي . وبناء عليه بعث برسالة باللغة الايوغورية الى تيمور التركي قال فيها : «انني فهمت انك تقف معارضــا لمسعود بيك شاه الهامي لا للسلطة الحكومية . واذا كان الامر كذلك ففي الامكان ان تحضر عندي بدون اي خوف او حذر . واني ضامن لسلامتك والعفو عنــك » .

وبعد هذه الرسالة ارسل الحاكم يانج احد القواد المسلمين وكان له رتبة الزعيم في الجيش الصيني لمقابلة تيمور التركي . وقد اخذ هذا القائد المسلم معه نسخة من القرآن الكريم وحلف عليه امام تيمور واكد له ان شخصه وجماعته سيتلقون معاملة حسنة من قبل الحاكم يانج اذا تـــرك معارضته لسلطة الحاكم . كما طلب منه تسريح جيشه او تحويل جيشه الى سلطة الولايــة .

وبعد تفاوض طويل قبل تيمور الاقتراح وحول جيشه الى الحــاكم العام يانج بعد ان تلقى ضمانة اكيدة لان ينال عنده معاملة طيبة . فطلــب

تيمور السماح له بالسفر الى روسيا وكان له ما اراد فأخذ طريقة الى خارج سنكيانغ . وبهذا الطريق سوي الحاكم يانج لاول مرة الخلافات السياسية في مدينة الهامي على وجه مقبول عند المسلمين حينذاك .

٣ ـ الاحداث في الهامي في الثلاثينات :

لقد علمنا ان الاضطرابات في سنكيانج كانت تثور وتهدأ مرة بعد اخرى منذ بداية الحكم المانشوري الامبراطوري حتى فجر الجمهورية الصينية في الصين . فالتسوية لامور الهامي المشار اليها سياسيا لم تكن دائمة ولا ثابتة اذ كان من المتوقع ان تظهر فتن جديدة في الافق السياسي ما بين آونـــة واخرى . ولاجل هذا نرى في السنة التاسعة عشر بعد تأسيس الجمهورية الصينية ظهور الاضطرابات في منطقة الهامي للمرة الثانية .

ففي خريف عام ١٩٣٠ م ظهرت في شرقي سنكيانج احداث خطيرة بدأت اولا في مدينة الهامي ثم انتشرت الى الكاشغر بأقصى غرب سنكيانج. فكانت لها عواقب وخيمة على ولاية سنكيانج كلها في السنوات القادمة .

لقد بدأت القصة مع شاكر بيك شاه الهامي الجديد الذي ورث من ابيه مسعود بيك منصب الامير على الهامي المعروف باللغـــة الصينيـــة بـ « هامي وانج » . وكانت لشاكر بيك شخصية ضعيفة وعقلية غير ناضجة وكان حكمه يتناقض ورغبات الشعب على خط مستقيم . فكانت اساليب الحكم التي سار عليها تصطدم دائما مع رغبات شعب الهامي وقد اعيدت الى اذهان الناس الايام المرة التي عانوها خلال حكم ابيه مسعود بيك . فقام شاكر وكان يخشى من انفجار غضب الناس المكظوم ، بطلب المســاعدة من الحاكم العام تشنج شو زين الذي وصل الى هذا المنصب بتنحية الحاكم السابق يانج تسينج شين واغتياله لتوطيد مركزه في مدينة الهامي.

وكان الحاكم العام الجديد تشنج شو زين رجلا انتهازيا كثير الكيد والدهاء ، وكان صينيا من طراز الذين يعرفون المكر والدهاء والقوة والسلطة فقط ، كما انه كان يكره المسلمين كرها شديدا لا يريد ان يرى اي مسلم يبقى في مركز النفوذ في سنكيانج ابدا . فقام باستغلال ضعف شخصية الامير شاكر وطلبه المغرض . فأصدر بعض الاجراءات الحاسمة التي اصبحت مفاجئة لا للامير شاكر نفسه فقط بل لسكان الهامي ايضا حيث امـــر بحل امارة الهامي التي وجدت منذ امد طويل وقسمها الى ثلاث وحدات ادارية تحت اسماء (نيهو) و (اي ــ وو) و (الهامي) ، تعتبر كل وحدة

منها مديرية خاضعة لاوامر الحاكم العام مباشرة . والذي يمثله في المديرية مدير سياسي يساعده مدير شرطة الامن .

ولاجل تقسيم امارة الهامي الى ثلاث مديريات ، ارسل المأمورين اليها للاشراف على اعادة تنظيمها وكانت الاجراءات تقتضي باحصاء الامــلاك العقارية وتخمين الاراضي التي يمتلكها امير الهامي والاشراف والملاكــون والزراع وتقييمها من جديد لكي توزع على اساس جديد وفقا للتنظيم الجديد وتقسيم الامارة الى ثلاث مديريات . فالزارعون المسلمون الذين كانــوا يرغبون في ان يعيشوا حياة زراعية اجيز لهم ابقاء اراضيهم الخـــاصة للزراعة . واما الذين لا يرغبون في البقاء مزارعين فحرموا من استبقــاء اراضيهم . فاستولى المأمورون على اراضيهم باسم حكومة الولاية لاعـــادة توزيعها مع جميع الاراضي التي لم تكن في ملكية احد . على طائفة الزارعين والتي تشمل المسلمين القاطنين في المنطقة قبلا والصينيين الذين هاجــروا الى المنطقة مجددا وجاؤوا مع الضباط العسكريين الصينيين للحصول على الثروات المتوفرة في ولاية سنكيانج . وكانت هذه الاجراءات التنظيمية قد اثارت بطبيعة الحال عدم الرضا بين الملاكين المسلمين بوجه عام وبين الزراع المسلمين وهم لا يرضون من المعاملة التي تلقوها على ايدي المأمورين الصينيين . وكانت شكواهم مركزة على عدم المساواة والتصرفات غير العادلة التي قام بها المأمورون في امور الضرائب والرسوم المالية اذ فرض المأمورون الجباية على الزراع المسلمين بصورة حاسمة واجبة الاداء . واما غــير المسلمين فكانوا معفيين من الجباية لمدة سنتين(١) . ومن حسن الحظ ان هذه الشكاوي السياسية والاقتصادية لم تضرم نار الاضطرابات اذ لم يكن حادث ما قد وقع في شيو ــ بوه مما كان يؤدي الى اضرام النار فيها .

٤ ــ حادث ((شيو ــ بــوه)) :

في شمال مدينة الهامي قصبة صغيرة تسمى « شيو ــ بوه » . وقد وقعت عين رئيس الشرطة في القصبة على كريمة مسلم وجيه يسمى عبدالله. فحاول ان يدخلها في بيته كزوجة بالقوة والاكراه لقد كانت البنت مخطوبة لنجل زعيم تركي الجنس يدعى يولباس . فلم يرض عبد الله من ان تكون كريمته مختطفة منه كرها ولا يولباس يستطيع ان يصبر على انضمام كنتــه المستقبلة الى عائلة غير مسلمة . فشاوروا فيما بينهم واتخذوا اثر ذلك قرارا حاسمــا .

---

(١) فوتهونج شيان : ص ٧١٤ .

لقد دعا عبد الله في اليوم الرابع من ابريل ـ نيسان ١٩٣١ م تشانج كما يسمى رئيس الشرطة بذلك الى تناول عشاء في بيته وكان الحفل قد اقيم كأنه على شرفه . فوقع أثناء العشاء ما وقع . ولم ينج رئيس الشرطة المشار اليه ولا احد من حراسه البالغ عددهم ٣٢ جنديا من الموت حيث افنوهم عن بكرة ابيهم .

فانتشر الخبر وهرعت قبائل المسلمين القاطنين في القرى القريبة والجبال حولها الى الوقوف بجنب عبد الله ويولباس بكل حماسة وحرارة . واشتبكوا مع حامية المدينة المتكونة من الصينيين تاركين عدد كبير من الموتى لكل من الجانبين . فتوقف القتال حينا ودخلوا في التفاوض لاجل الصلح ولكنهم لم يفلحوا . فقام خوجة نياز الذي ذكر قبلا ، يقود جماعة من المسلمين نحو الهامي وفي الوقت نفسه بعث برسول الى ماتشونج لينج قائد مسلم جريء من قبيلة تونغانية مقيمة في قانصو ـ للنجدة .

كان هذا القائد المسلم التونغاني الجريء شابا شجاعا وقد تجاوز عمره العشرين سنة قليلا اذ دعى الى مساعدة قضية المسلمين في شرقي سنكيانغ. فسافر في مايو ١٩٣١ الى الهامي بجيش مكون من سبع مائة مقاتل فقط ، وبهم قاتل الاعداء واشتهر بلياقته وذكائه عند عامة الناس ، وكان الصينيون قد وضعوا دفاعا قويا عن مدينة الهامي حيث لم تسقط رغم انها كانت محاطة من كل جانب لاشهر كثيرة من قبل جيش المسلمين . فاضطرت القوات الصينية الى تغيير القيادة وجاء الجنرال شن زي تساي ونصب كقائدها الاعلى . وكان شن قد حارب اليابانيين في المانشوريا وتقهقر الى سنكيانغ عن طريق مونغوليا حيث قدم ليقامر ويغامر وراء البخت . فوقف يحارب المسلمين حربا شعواء واستطاع من انقاذ المدينة بدفع تكاليف غالية حيث خسر نائبه (ليو تشيه) احد القواد المتازين قتيلا في الميدان على ايدي رجال ما تشونج اينج .

وبعد سقوط الهامي في ايدي الصينيين لجأ المسلمون الى الجبال وتحصنوا فيها . واما الحاكم العام تشنج شو زين فقد وقع على اتفاق سري مع الروس بأن يزودوه بجميع الانواع من الاسلحة اللازمة لتدمير قوات المسلمين (١). وكانت الحكومة الاقليمية لم تستطع ان توقف حركة المسلمين في سنة ١٩٣٢ م رغم المساعدات الهائلة التي تلقتها من روسيا . فنجح

---

(١) بيان عيسى يوسف اذيع عن محطة دلهي الجديدة في ١٩٥٠ والمشار اليه كان سكرتيرا عاما لحكومة سنكيانج بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ م ولجا الى الهند في ١٩٥٠ .

المسلمون في الاستيلاء على مدينة شانشان منه والسيطرة على مدينة طرفان مرة اخرى وقد ظهروا امام اورومجي عاصمة الولاية للمرة الثالثة يهددون باسقاطها (٢) في ايديهم .

وفي كل هذه الحروب التى امتلأت بأنواع المكيدة والخديعة تكبد المسلمون خسائر جسيمة في جميع المدن الكبيرة التي تأثرت بالحروب المحلية التي دمرت كثيرا من املاكم وبيوتهم . ومع ذلك كانوا قد تحملوها بكل صبر وتجلد وثبات على امل ان يكون النصر النهائي حليفا لهم والا تذهب تضحيتهم سدى .

٥ ـ الوضع في اورومجي عاصمة الولاية :

كان للاحداث والاضطرابات التي تضطرم نارها في مناطق الهامي وطرفان وما حولهما خلال ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ رد فعل عظيم في نانكين واورومجي وكاشغر . وكانت نانكين ترغب في استتباب الامن في سنكيانغ ولاجل التوصل الى هذه الغاية كانت ترى من الضروري ان تصلح جهاز الحكومة الاقليمية بابعاد العناصر غير المرغوب فيها وزيادة التفاهم بين قواد المسلمين والحكومة الاقليمية . ومن اجل تحقيق هذه الاغراض بعثت الحكومة المركزية في نانكين في ١٩٣٢ بالسيد وانج موسونج نائب رئيس اركان الجيش لتحقيق اسباب ادت الى الاضطرابات المستمرة في سنكيانج . وبعد عودته الى نانكين قدم تقريرا الى الحكومة المركزية عن الوضع في اورومجي (تيهوا) عاصمة الولاية واوصى بتنحية الحاكم العام تشنج شو زين من منصبه .

وخلال هذه الايام كان المسؤولون في اورومجي (تيهوا) قد قاموا ، بعد مغادرة وانج موسونج عاصمة سنكيانج ، بمؤامرة على تشنج شو زين ، وكان زعيم المؤامرة هو شين شي تساي ، القائد العام للقوات الدفاعية في سنكيانج وقد نجح بالاتفاق مع اشخاص اخرين في طرد تشنج شو زين من اورومجي في ابريل ١٩٣٣ م وبالاستيلاء على جميع المراكز الحساسة والسيطرة عليها سيطرة تامة . وبعد نجاح المؤامرة انتخب ليو وين لونج (Liu Wen-lung) رئيسا للحكومة الاقليمية واما شين شي تساي فقد احتفظ بمنصب القائد العام للدفاع . فكان ليو رئيسا للحكومة الاقليمية اسميا ، اذ ان جميع السلطات كانت مركزة في يد شين شي تساي وحده . واما نانكين التي لم تر طريقا احسن من الوضع الراهن للخروج من المأزق

---

(٢) فوتهونج شيان : ص ١٧٦ .

فقد اصدرت الموافقة على اثبات اولئك الاشخاص في مراكزهم في ارومجي.

وبعد فترة من الزمن بعثت نانكين بالسيد لو وين كانج احد كبار المسؤولين في الحكومة المركزية الى سنكيانج ليتوسط في التفاوض والتصالح بين الزعماء المسلمين واولي الامر في حكومة ولاية سنكيانج وفي طريقه الى ارومجي توقف السيد لو وين كانج في مدينة الهامي حيث قابل ما تشونج اينج ويو لباس وخوجة نياز كما قام بزيارة الاماكن المتهدمة التي خربت نتيجة للحروب والعمليات العسكرية التي قام بها رجال الجيش الولائي . وبعد ذلك سافر الى ارومجي حيث عقد محادثات طويلة مع الحاكم العام ليو والقائد العام للدفاع شين الذي قبل اقتراح لو وين كانج بالقيـــام بزيارات الجوامع ومحلات المسلمين اظهارا لحسن النية وصدق العزيمة لتحسين العلاقات مع المسلمين . ونتيجة لذلك عين خوجة نياز مستشارا في حكومة الولاية وما تشونج اينج رئيسا لقوات الامن في شرقي سنكيانج مقيما في طرفان . وكل هذه التدابير التي اتخذتها الحكومة كانت لاخماد نـيران الثورة في مرحلتها الاولية على ما يبدو .

٦ ـ اعلان الجمهورية الاسلامية في كاشغر :

منذ بداية ظهور الاضطرابات في منطقة الهامي حدث في جنوب غربي سنكيانغ رد فعل قوي فقام تيمور بالعصيان في آقسو واستولى امين على ختن . تم تعاونا في الهجوم على كاشغر والاستيلاء عليها . وكان الشخص المتنفذ وراء هذه الحركة زعيما شهيرا معروفا بثابت دا ملا ـ اي الملا الكبير ـ الذي زار مكة المكرمة والقاهرة واستنبول ايام شبابه . فأصبح معروفا في العالم الاسلامي كزعيم من الزعماء المسلمين البارزين . لقد كان ثابت دا ملا في كاشغر منذ ان قام تيمور وامين بالسيطرة عليها . فرأى ان الفرصة الطيبة قد حانت لاقامة جمهورية اسلامية في غربي سنكيانج . وفي نفـس الوقت كان خوجة نياز مبعوثا من قبل ارومجي الى كاشغر للقيام بمهمـة التصالح مع هؤلاء الزعماء . فلما قابلهم اظهر رضاه للانضمام اليهم . وعليه اتفقوا على تأسيس الجمهورية الاسلامية في اليوم الثاني عشر من شهر نوفمبر ١٩٣٣ م وسموها « الجمهورية الاسلامية في تركستان الشرقية» مع دستور مبني على اساس المبادىء الاسلامية وتعاليم القرآن والسنة النبوية الكريمـة .

وكانت هذه الجمهورية الاسلامية مكونة من رئيس للدولة ورئيس لمجلس الوزراء ومجلس الشورى (التشريعي) ومحكمة شرعية إسلامية .

لقد كان مجلس الوزراء مشكلا من رئيس لمجلس الوزراء ونائبين للرئيس ووزير لكل من الداخلية والخارجية والدفاع والمالية والتعليم والصحة والزراعة واصناعة والاوقاف وعلى هذا الاساس كانت الوزارات موزعة على السادة الاتية اسماؤهم :

١ ـ السيد خوجة نياز : رئيسا للدولة .

٢ ـ السيد ثابت دا ملا : رئيس مجلس الوزراء .

٣ ـ السيد يونس صادق بيك (من الهامي) : وزير الداخلية .

٤ ـ السيد قاسم خان (ختن) : وزير الخارجية .

٥ ـ السيد اوراز بيك (قيرقيز) : وزير الدفاع .

٦ ـ السيد عبد الكريم مخدومي (كاشغر) : وزير التعليم .

٧ ـ السيد علي آخوند (كاشغر) : وزير المالية .

٨ ـ السيد عبد الله خان (تركستان الغربية) : وزير الصحة .

٩ ـ الحاج اعلم آخوند : وزير الاوقاف .

١٠ ـ السيد شمس الدين آفنندي (كاشغر): امين عام لمجلس الوزراء

وقد بعثت الجمهورية الاسلامية في تركستان الشرقية بعد تأسيسها ، بالدكتور مصطفى آفنندي كمندوب خاص لها الى الهند لكسب اعتراف حكومة الهند البريطانية بها وقد قرأ كاتب هذه السطور بعض المقالات التي نشرت في الصحف الهندية اذ كان آنذاك مقيما فيها تؤيد منح الاعتراف من قبل الحكومة الهندية للحكومة الجديدة في تركستان الشرقية . بيد ان هذه الجمهوررية لم تبق طويلا فقد سقطت امام الهجوم المشترك الذي قام به الصينيون والروسيون معا عليها في يونيو ١٩٣٤م حيث ازالها من الوجود كلية . ١

واما اسباب زوالها فتتلخص على النحو التالي :

كان خوجة نياز الذي اختير رئيسا لهذه الدولة يضمر كراهية شديدة نحو المسلمين التونغانيين وعلى الاخص نحو قائدهم ما تشونج اينج الذي رأى فيه اكبر منافس له في ادارة داخل ولاية سنكيانج وفي راي عيسى

يوسف بيك (١) ان تشونج اينج قد اراد ان يسيطر على تركستان الشرقية كلها غير راض بالمشاركة في السلطــة .

لقد اختلف خوجة نياز مع ماتشونج اينج في امور الهامي قبلا . واما الان ففي منطقة كاشغر حيث انشات جمهورية اسلامية تحت رئاسته ، وجد قائدا تونغانيا آخر معروفا باسم ما تشان توان وكان مخلصا لحكومة نانكين . فقام خوجة نياز باستخدام القوة المسلحة ضده بدلا من التفاهم والتصالح معه . وكان يأمل بذلك من اخراج ماتشان توان من المدينــة الصينية كاشغر . فبادر ماتشان توان الى تنظيم جيشه واعتصم بداخل المدينة ضد هجوم خوجة نياز لعدة اشهر .

وفي نفس الوقت نشبت الحرب بين ما تشونج اينج والحاكم العــام شين شي تساي الذي اصبح الان حاكما مطلقا في اورومجي حينذاك . انهم قد رأوا في ما تشونج اينج عدوا لدودا زعما منهم انه كان مؤيدا من قبــل المستشارين اليابانيين كما انه كان يحارب الحاكم العام بالاسلحة اليابانية(٢) وان توسع نفوذه الى منطقة كاشغر كان يهدد الوضع في اورومجي . فلذا نصحوا شين شي تساي بالتخلص من ما تشونج اينج بأية وسيلة . ولاجل هذا قاموا في شتاء عام ١٩٣٣ بهجوم شديد على ما تشونج اينج في القسم الشرقي من ولاية سنكيانج وكانت الحرب في تلك الناحية من الولايــة سجالا بين الطرفين واستمرت لمدة طويلة .

غير ان الحالة قد تغيرت منذ بداية عام ١٩٣٤ م في صالح ما تشونج اينج الذي تقدم الى الشمال حتى ظهر امام مدينة اورومجي في ١٤ من شهر يناير ذاك العام فسيطر على المطار وعلى محطة الاذاعة (٣) ولكنه كان مضطرا الى التقهقر امام الدبابات والطائرات السوفياتية التي وردت لمساعدة شين شي تساي عقب توقيع اتفاقية سرية بين الحاكم العام شين والاتحــاد السوفياتي (٤). نظرا لان بنود هذه الاتفاقية لم تعلن على الاطلاق. غير انه كان من المفهوم وفقا لما جاء في بيان السيد بيتر فليمنج المراسل الصحــافي لجريدة « لندن تايمز » الذي سافر الى سنكيانغ في ١٩٣٥ وعلى اثر ذلك

---

(١) راجع الى ص ٧٩ وانظر في هامش ١ .

(٢) دي ايسترين سرواي : مارس ١٩٤٨ ص ٦١

(٣) فوتهونج شيان : ص ١٧٩

(٤) الانباء من التاتاري : ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ .

الف وطبع كتابا بعنوان « الانباء في التاتاري » ان هذه الاتفاقية السرية كانت تنص على منح قروض تبلغ ٥٠٠٠٠٠٠ روبلا روسيا ذهبيا لشين شي تساي وتزويدها بكمية لازمة من الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية وبعض الطائرات الحربية المصحوبة بالطيارين الروسيين . وفي مقابل ذلك اعطي الروس الحق المطلق في التنقيب واستثمار موارد الثروات المعدنية والحيوانية في سنكيانج بما فيها الاصواف والجلود والمعادن على اختلاف انواعهـــا واستخدام عدد من الروسين في الخدمات الادارية في سنكيانغ واستخدام الجيش الروسي لحفظ الامن الداخلي عند الضرورة (١).

امام هذه القوات المتفوقة المعززة بالدبابات والطائرات ، اضطـــر ماتشونج اينج الى التقهقر نحو كاشغر وتركه ميدان الحرب للروس عــلى ضفاف توتونج وهي تبعد مسافة ثمانين ميلا عن شمال ارومجي . فقــام الصينيون والروسيون بتعقبه ومطاردته من مكان الى اخر حتى قبضــوا عليه في كاشغر وارسل الى روسيا في نهاية شهر يونيو عام ١٩٣٤ م . وبعد ذلك تقدم الصينيون يكتسحون مدينة واخرى بغربي سنكيانج مثــل يارقند وختن وكاشغر بقسميها الجديد والقديم وقبضوا على خوجة نيــاز وثابت دا ملا والاعضاء الاخرين في حكومة « الجمهورية الاسلامية في تركستان الشرقية » التي كانت قائمة في كاشغر منذ اواخر ١٩٣٣ م والقوا بهم في السجن وبعد ايام قليلة اعدموهم كلهم مع عشرة الاف اخرين من المسلمين الذين كان الحاكم العام شين يعتبرهم اعداء لسلطته في سنكيانج (٢).

وبغياب ماتشونج اينج عن مسرح السياسة وباعدام خوجة نياز وثابت دا ملا وغيرهما توقف النضال في سنكيانج الى حين حتى ظهر في شكل رهيب وكان الشكل الاخير الذي اختاره النضال في سنكيانج قد وقع بين العناصر الوطنية والعناصر الشيوعية في تلك الولاية في ١٩٤٨ وقد سار على النحو التــالي :

٧ ـ استيلاء الشيوعيين على سنكيانج كليا :

خلال ايام حكم شين شي تساي كانت سنكيانج تحت سيطرة الروس فعلا حيث تغلغلوا في كل مكان كما اوجدوا في كل ادارة حكومية مستشارون سياسيون وعسكريون منهم طبقا لما جاء في بيان عيسى يوسف السكرتير

(١) الانباء من التاتاري : ص ٥٢٤

(٢) عيسى يوسف : ص ١٢

العام لولاية سنكيانج سابقا . لقد ذكر في بيانه بعض الاسماء الشهيرة من الروسيين كان منهم مالينكوف وفيدين من كبار المستشارين للحاكم العام. والبرال ريبالكين مستشار عسكري لقائد الجيش السادس المرابط بكاشغر والجنرال ذو كوف مستشار عسكري للقائد العسكري المرابط في مدينة آقسو . وقادر حاجي وكان من تركستان الغربية وقد شغل منصب مفتش لشرطة كاشغر وهاشم حاجي ــ من تركستان الغربية ايضا ــ وقد عين مفتشا لشرطة مدينة الهامي . كما هناك روس اخرون شغلوا مناصب مختلفة في دوائر حكومة الولاية . وكل هؤلاء الروس كانوا تحت توجيهات ام ــ غريف القنصل الروسي العام بأرومجي . وقد كان مفوضا للشؤون الخارجية بآسيا الوسطى قبل تعيينه في ارومجي ومسؤولا عن مراقبة الحالة السياسية في سنكيانج . وخلال هذه السنين كانت الايديولوجية الشيوعية تنتشر انتشارا واسعا بين الشباب في سنكيانج .

وعلى كل فان حكومة الصين المركزية في نانكين قد استطاعت اقالة الحاكم العام شين شي تساي في سنة ١٩٤٤ ومعه جميع المستشارين الروسيين تقريبا وعينت مكانه وو تشونج شينج كحاكم عام عليها . وقد كان للحاكم الجديد صلة وثيقة بمجلس الشؤون المنغولية التيبتية ويؤيد سياسة اندماج العناصر غير الصينية في الاكثرية الصينية عن الضغط العالي ــ السياسة التي كان الجناح الايمن المعروف بـ سي. سي. في الحزب الوطني يساندها ، بغية ادماجها في العنصر الصيني على وجه اكمل(١).

ولم يمر وقت طويل على ادارة وو تشونج شينج القائمة على تلك السياسة حتى ظهرت حركة جديدة ضده في اقصى شمال سنكيانج . فقام زعيم من الزعماء يسمى بعلي خان بحركة عصيان في منطقة ايلي القريبة من حدود روسيا التي كان يسود فيها نفوذ شيوعي قوي . فانضم اليه اهالي المناطق المجاورة من تشوتشاك والصين ومن الطبيعي انهم قد قاموا بمساعدة روسيا حيث تمكنوا من اخراج حامية الصينيين من مدنهم وانشأوا ادارة مستقلة عن ارومجي .

نتيجة لهذه الحركة العصيانية استدعي وو تشونج شينج الى نانكين وعينت مكانه تشانج جي تشونج كحاكم عام في سنكيانج في سنة ١٩٤٥ فبقي هناك الى ١٩٤٨ م

---

(١) مجلة فار استرين سرواي : مارس ١٩٤٨ ص ٥٩

كان تشانج هذا من الجناح السياسي العلماني داخل الحزب الوطني ويعارض سياسة الجناح الايمن ـ جناح سي.سي ـ في الحزب الوطني . وخلال حكمه اتخذ خوات ايجابية لانهاء الخلافات مع العناصر المعارضة الفاضبة في سنكيانج ويظهر انه كان يفضل منح الحكم الذاتي لاهالي سنكيانج على ان تكون الشؤون الخارجية مرتبطة بالحكومة المركزية في نانكين . لاجل هذا قال مرة : اني اكون الاول في تأييد طلب سنكيانج اذا رغبت صادقة في كسب الحكم الذاتي او على الاقل اقوم بتأييد طلبها لدى الحكومة المركزية حينما تنظر في الامر (١) وبناء على هذه السياسة المتسامحة تشكلت فعلا حكومة تتمتع بالحكم الذاتي في سنكيانغ في ١٩٤٧ فعين السيد مسعود صبري احد الزعماء الايوغريين رئيسا لحكومة ولاية سنكيانج وامين بغرة نائبا للرئيس والسيد عيسى يوسف سكرتيرا عاما في حكومة سنكيانج. وقد رفع هؤلاء الزعماء المسلمون الى اعلى المناصب في حكومة سنكيانج لانهم كانوا يرضون بالحكم الذاتي في ايدي المسلمين مع الارتباط بحكومة نانكين فيما يتعلق بالامور الخارجية ومن الظاهر انهم قد كسبوا الاهداف في مساعيهم السياسية . لكن هذا الترتيب لم يقنع جماعة الثائرين في منطقة ايلي وهي تحت زعامة احمد خان وبرهان خان من الذين عارضوا معارضة شديدة سيطرة الحزب الوطني على مقاليد سنكيانج (٢) فعقدوا العزيمة على الاستيلاء على ادارة الحكم في اورومجي بالقوة بغية السيطرة على الولاية كلها . فوقع التصادم بين الفريقين مدة طويلة وكان الجو السياسي قد اخذ في التطور تطورا اكيدا نحو الشيوعيين الذين تمكنوا من السيطرة على مقاليد الحكم في سنكيانج كلها في نهاية سنة ١٩٤٩ م وسأبين الاحداث التي ادت الى هذه العاقبة الوخيمة في الفصل التالي :

---

(١) المفصلة في سنكيانج بقلم جي تشونج نشرت في مجلة شؤون باسيفيك ديسمبر ١٩٤٧ ص ٤٥

(٢) مسلمو الصين : ص ٥١

الفصل الرابع

المسلمون وحكومة الجمهورية الصينية

١ ـ المسلمون يشكلون عنصرا من العناصر الخمسة التي تتكون منها الامة الصينية :

لقد اسست الجمهورية الصينية في ١٩١١ م ومنذ يوم تأسيسها كانت تعترف بأن المسلمين يشكلون عنصرا من العناصر الخمسة التي تتكون منها الامة الصينية العظيمة وهذه العناصر هي :

١ ـ الهانيون (الصينيون الخلص) .

٢ ـ الهوى (اي المسلمون بما فيهم ايوغريون وغيرهم في سنكيانج).

٣ ـ المغــــول .

٤ ـ المانشوريون .

٥ ـ التيبتيون .

وعلى هذا الاساس كان العلم الصيني الجمهوري يظهر في خمسة الوان متساوية من الاحمر والاصفر والابيض والاسود والاخضر . وكان اللون الابيض في العلم يمثل العنصر الاسلامي في تكوين الامة الصينية .

كان ابو الجمهورية الصينية الدكتور صو يات سين يوافق على هذا الترتيب في الدستور الجمهوري واكد هذا الوضع في احد بياناته التي القاها عن الثورة الوطنية في الصين بالعبارات التالية :

((... ان هدف (المبادىء الثلاثة للشعب) هو تحـــرير جميع الطبقات من الناس في الصين على قدم المساواة بدون اي تمييز بين جنس واخر . ومن المعلوم ان ـ الهوى ـ كما يبدو من تاريخ الصين قد قاســوا اضطهادا اشد من الناس الاخرين (وهو يشير بهذه الكلمات الى الاضطهادات

التي قاساها المسلمون الصينيون على ايدي الحكام المانشوريين) . ولانهم قد قاسوا اكبر المظالم واوجع المصائب في القرون الاخيرة فمن الطبيعي ان تكون روح نضالهم اقوى واشد . وعلى هذا الاساس ندعو المسلمين الى ان يستيقظوا الى هذه الحقيقة من الان فصاعدا . ان مساهمتهم في الحركة الثورية الوطنية لازمة وذلك لتحرير جميع القاطنين في الصين من المظالم وعدم المساواة)) .

وبعد هذه الكلمات ذهب الى ايضاح وضع الصين تحت الامبرالية وقارنها بالشعوب الضعيفة في قارة اسيا بما فيها افغانستان وايران وتركيا والبلدان العربية التي كانت تحت سيطرة الدول الغربية الاستعمارية حينذاك. لقد كان يرى من الضروري ان يدعو جميع الشعوب في قارة اسيا الى التعاون والتعاضد فيما بينهم وبين الجمهورية الصينية الحديثة التأسيس والتي تستهدف بناء الصين من جديد . فوصل الى هذه النتيجة : انه من الصعب أن تبلغ الحركة الوطنية في الصين الى اكبر درجة من النجاح في مرحلتها الاخيرة بدون مشاركة المسلمين فيها كما رأى انه من الصعب ايضا ان تكسر اغلال الاستعمار بدون تعاون تام مع البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط والادنى (١).

لقد رفع ابو الجمهورية المسلمين الى هذا المركز من الثقل فيما يتعلق بحركة الثورة الوطنية لانه كان يدرك ادراكا تاما الصفات العسكرية التي يتميز بها المسلمون والاهمية الجغرافية التي يحتلها شمال الصين الغربي الذي يقطن فيه اكثر المسلمين الصينيين ، فضلا عن وجود حاجة ملحة تدعو الى توحيد الصفوف بين جميع القوميات داخل الصين والى تحقيق تعاون اوسع يشمل المواطنين الصينيين تحت زعامة الدكتور صون يات سين وجميع الشعوب الاسلامية في قارة اسيا كلها .

كانت قضية الساعة في الجمهورية الصينية الحديثة التأسيس هي توحيد الكلمة بين جميع العناصر والميول والاتجاهات السياسية والفكرية في البلاد لان الصين عقب اعلان النظام الجمهوري فيها كانت تجتاحها موجات الاضطرابات وعدم الاستقرار والحروب الاهلية التي دامت حقبة من الزمن بين العناصر المحافظة والمصلحين الثوريين اولا . ثم بين القوات العسكرية الجنوبية والشمالية التي كانت تتقاتل لاجل السيطرة على البلاد كلها .

---

(١) فوتهونج شيان: ص ١٧٠

ولقد طال امد هذه الحروب الاهلية التي تنازع فيها الجبابرة العسكريون الذين كانوا يطمعون في كسب النفوذ الشخصي في البلاد بمساندة جماعات مختلفة من ذوي المصالح السياسية والدول الاستعمارية . واما المسلمون فقد كانوا يبقون خلال هذه المدة الطويلة التي استمرت من ١٩١٢ الى ١٩٢٨ مخلصين لقضية الصين الوطنية الاسلامية التي دعا اليها ابو الجمهورية الدكتور صون بات سين ولم يتحيزوا الى جانب هذا او ذاك من الجبابرة العسكريين من امثال تسو كونج (Tsao Kung) وتشانج تسو لين (Chang Tso-lin) و وو بي فو (Wu Pei-fu) وغيرهم بل وقفوا دائما في صف الوطنيين وساهموا في توحيد بلاد الصين جنوبا وشمالا تحت زعامة الجنراليسمو تشيانج كاي شيك الذي حمل المسؤولية لتوحيد البلاد من اقصاها الى اقصاها بعد وفات ابي الجمهورية . فقام بحملاته الشهيرة المعروفة بالحملة نحو الشمال وكلل بالنجاح في هذه المهمة الوطنية نهائيا في سنة ١٩٢٨ م وبذلك رفع لواء سلطة حكومة الجمهورية الصينية على جميع انحاء الصين . ومن الجدير بالذكر ان القائد المسلم الشهير عمر باي تشونج هشي كان يخدم في القيادة الامامية لهذه المهمة نحو الشمال .

٢ ـ المسلمون في الصين : هل هم اقلية عنصرية ام اقلية دينية ؟

بعد توحيد الصين سياسيا واداريا قامت حكومة الجمهورية الصينية بالغاء العلم الصيني السابق من ذوات الالوان الخمسة الاحمر والاصفر والاخضر والابيض والاسود ، والتي كانت ترمز الى خمسة عناصر قومية في الصين وبدلته بعلم وطني جديد برسم مكون من شمس بيضاء في سماء زرقاء تسطع على ارض حمراء . والالوان الثلاثة في هذا الرسم تشير الى « المساواة والعدالة والديمقراطية » يعني الاخاء والوطنية والرفاهية او الحرية والتضحية والقومية .

كان هذا التغيير يدل على ان حكومة الجمهورية الصينية قد قررت عدم ابقاء اشارة رمزية لكل عنصر من عناصر الامة الصينية العظيمة في العالم الوطني لكي لا يحدث من اجل ذلك مشكلات تعسفية على اساس عنصري في البلاد في المستقبل .

كان المسلمون في الصين متأخرين ثقافيا وتعليميا وسياسيا ، لم يلتفتوا الى هذا التغيير ذي الشأن العظيم من حيث المبدأ . ولكن بعض المتعلمين منهم شعروا بضرورة بحث امورهم بصورة اكثر ملاءمة لمتطلبات الزمن . وكانت امورهم منحصرة في شيئين اثنين فقط : احدهما هو ان

المسلمين في الصين بمن فيهم الذين يقطنون في مقاطعة سنكيانج ، هل يعتبرهم الدستور اقلية قومية في الجمهورية الصينية ؟ واذا كان الجواب ايجابيا فحينئذ على اي اساس يعتبرهم اقلية ؟ واذا كان الجواب سلبيا فلماذا ؟ . والامر الثاني هو حقوق المسلمين السياسية بالنسبة لتمثيلهم في المجالس التشريعية او البلدية او في مجلس الامة . وماذا يكون عددهم النسبي في هذه المجالس . وكانت هاتان المسألتان متلازمتين متشابكتين احداهما مع الاخرى وبدون تحديد الاولى لا تقرر الاخرى .

ولان المسلمين في الصين لم يؤسسوا اية منظمة سياسية لغرض الحصول على الحقوق السياسية في نطاق الدستور الجمهوري الصيني ، كانت مباحثاتهم بالنسبة لهذه المسائل الحيوية منحصرة في المناقشات النظرية التي لم تصبح مجادلة سياسية حية قط . وخلال هذه المباحثات النظرية التي استمرت ما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٤ م كان الاستاذ تشنج تشي تانج مؤلف « دراسات في تاريخ المسلمين في الصين » يقترح النظر الى هذه القضية على اساس عنصري مؤكدا بالحجج التالية :

أ ــ ان المسلمين في سنكيانغ هم غير الصينيين من ناحية الجنس او العنصر لانهم منتسبون الى القيرقيز والكازاك والايوغر والقبائل التركية الاخرى ومن غير الممكن انكار هويتهم العنصرية المتغايرة عن الصينيين .

ب ــ اما المسلمون في ولايات الصين الداخلية وعلى الاخص الذين في ولاية قانصو ونينج هشيا وتسنغاي ويوننان وفي بعض الولايات الاخرى فكان آباؤهم الاولون من اصل غير صيني فأصبحوا صينيين عن طريق التزاوج والاختلاط . ولذا ما زالوا يتميزون ببعض الفوارق في تكوينهم الجسماني والنمو البدني عن الصينيين الاصليين . ولتأييد قوله في هذه النقطة قام ببحث عن كثير من عائلات المسلمين الموجودين في الصين اليوم فوصل الى هذه الحقيقة ان كثيرا من اسماء العائلات التي تخص المسلمين في الصين لها اصل عربي او ايراني لم يوجد في اشجار العائلات الصينية العريقة . وقال مثلا ان « ما » من اسماء العلائلات المسلمة تعتبر ملخصة من « محمد أو محمود » و « مو » من « مبارك » و « نا » من « ناصر الدين » و « هو » من « حسين » و « ها » من « حسن » و « شا » من « شمس الدين او شاه » والخ .

وبناء على هذه الشواهد التأريخية المؤكدة بالحقائق الواقعية قام

الاستاذ تشنج تشي تانج بمناصرة المسلمين على ان يحصلوا على حقوقهم السياسية في الدستور على اساس عنصري وينبغي لهم تمثيل نيابي وفقا لقوتهم العدديـة (١).

ومن جهة اخرى كان الزعماء في اتحاد المسلمين في كل الصين قد اخذ موقفا بأن المسلمين في الصين قد « تصينوا » منذ امد بعيد وان الذيـن في سنكيانغ ولو انهم ما زالوا يتميزون بأجناسهم الخاصة ينبغي ان يوحدوا مع المسلمين الصينيين في داخل الصين بخصوص القضايا السياسية المتعلقة بالجميع وذلك بادماجهم تحت الشخصية الثقافية الصينية(٢) بدون تفريق . وعلى هذا لا يرون ضرورة او اية فائدة في نقاش ما اذا كان المسلمون في الصين ينبغي ان يتلقوا معاملة خاصة بصفتهم من عناصر اخرى غير صينية بيد انهم مما لا شك فيه جماعة دينية تدين بالدين الاسلامي وعلى هذا الاساس فانهم يحتاجون فقط الى ضمان دستوري للمحافظة على معتقداتهم وشعائرهم الدينية مثل حرية العقيدة والعبادة . وان هذا الضمان موجود في الدستور الجمهوري الصيني ليس للمسلمين فحسب وانما لجميع اتبـاع الاديان المختلفة في الصين .

وعلى هذا الاساس الديني كان من الممكن ان يطلبوا معاملة الفضلية بالنسبة لتمثيلهم في مؤتمر الصين الوطني . فلذا قام زعماء اتحاد المسلمين في كل الصين الذي اسس في عام ١٩٢٩ م بتأييد من الحكومة ليحل محل جمعية التقدم الاسلامي ، بالاتصال على الفور بالمتنفذين في الحزب الوطني (الكومنتانج) وعرضوا عليهم موضوع تمثيل المسلمين في مؤتمر الحـزب الوطني : هل يجوز لهم تمثيل مباشر في المؤتمر الوطني او بواسطة فروع الحزب المشكلة في مناطق مختلفة . لقد اصبح هذا الموضوع اكثر لزوما للحل السريع ونتيجة للنقاش الحاد بين المندوبين المسلمين والممثلين الرسميين فقد وافقت الحكومة على حل وسط وكان ذلك يمنح المسلمين تمثيلا متزايدا في المجالس او اللجان المتعلقة بالامور المنغولية والتيبيتية (٣) وبمنح المزيد من الفرص للطلبة المسلمين وعلى الاخص الذين جاؤوا من مقاطعات شمـال الصين الغربية لان يلتحقوا بالجامعات في تشنغاي وبكين ونانكين لاكمـال التعليم العالي بها وخلال الحرب العالمية الثانية كان عدد الممثلين المسلمين

---

(١) تشانج تشي تانج : ص ١٧٥

(٢) كان الجناح الايمن في الحزب الوطني يناصر سياسة « تصيين » المسلمين كلية .

(٣) مقالة بقلم جون كين في مجلة الشؤون الاسيوية الامبركية : مارس ١٩٤٢ ص ١٧

في مؤتمر الصين الوطني قد وصل ثمانية نواب فضلا عن اثنين من المسلمين يمثلان في مجلس الحزب السياسي المركزي وهو اعلى هيئة لحزب الكومنتانج .

وفي نفس الوقت كان الجنراليسيمو تشيانج كاي شيك قائدا عاما للقوات الصينية ضد اليابان قد كرر وجهة نظره في خطاباته المتعددة بالنسبة للمسلمين في الصين عبر فيها عن انهم في الواقع اقلية صينية فقط لا اقل ولا اكثر وحالتهم مثل حالة البوذيين والتوويين والكاثوليك والبروتستانت وغيرهم . وهذه العبارات الصريحة التي قالها الرئيس الاعلى في الدولة اوقفت النقاش فيما اذا كان المسلمون في الصين اقلية عنصرية متميزة عن غيرهم من المواطنين. وفي الكتابة من هنا ، عندما كانوا يتحدثون عن المسلمين ، ان يشيروا اليهم بكلمة « هوى جيسو » بدلا عن « هوى تسو » . المراد من الاولى هو المسلم دينا والمراد من الثانية هو المسلم عنصرا .

٣ ـ المجهودات التي بذلها المسلمون في كسب النصر النهائي ضد العدوان الياباني :

ان المسلمين الصينيين لما لهم من محبة راسخة للوطن واخلاص عميق للقضية القومية قد ساهموا بمجهودات كبيرة ممكنة في الدفاع عن القضية الوطنية في الصين تحت زعامة الجنرال « عمر باي تشونج هشي » احد قادة الجيش الكبار فقام بتكوين جمعية الصين الاسلامية لانقاذ الوطن في سنة ١٩٣٨ م واشرف على جميع اعمالها ونشاطاتها في محاربة اليابان عملا ودعاية في داخل الصين وخارجها وفي العالم الاسلامي بوجه خاص .

وتلبية لنداء الوطن قامت الجمعية بتوجيهات رئيسها بتنظيم صفوف المسلمين وتعبئة قواهم المعنوية والمادية لتأييد حكومة الصين الوطنية في نضالها ضد اليابان التي بدات اعمالها العدوانية على شمال الصين فعلا. وخلال اعوام الحرب مع اليابان قام المسلمون في الصين بمشاركة جميع المواطنين في الدفاع عن القضية الوطنية بكل حماسة وعزم وثبات وفقا لتوجيهات الجمعية المذكورة كما قاموا بنشاطات في ميادين اخرى . لقد كان للجمعية مركز في تشونج كنج عاصمة الصين الحربية ثم نقل مقرها الرئيسي الى نانكين بعد الانتصار على اليابان في ١٩٤٥ م وكان لها ٣٣ مركزا فرعيا في المقاطعات و ٤٠٠ فرعا في المديريات واكثر من ٩٠٠ مكتبا محليا في جميع انحاء البلاد .

كانت اعمال الجمعية ونشاطاتها المتنوعة مقسمة على النحو الاتي :

١ ــ وفقا للسياسة الوطنية قامت الجمعية باصدار التوجيهات اللازمة الى فروعها في انحاء البلاد للقيام بنشاطات جماهيرية ينظمها عامة المسلمين في سبيل انقاذ الوطن والدفاع عنه ، بما فيها اعمال الدعاية ضد اليابان وتعبئة الطاقات المادية والمعنوية وجمع التبرعات من افراد المسلمين او ساعات العمل المجانية من الذين لا يستطيعون المساهمة بالاموال .

٢ ــ تعاونا مع جميع الدوائر المختصة وبتأييد الحكومة قامت بتنشيط التعليم المدني بين المسلمين ولاجل هذا ، فقد انشئت ٢٠٠ مدرسة ابتدائية في المناطق المختلفة فضلا عن توسيع التعليم الثانوي وتشجيع الطلبة المسلمين لمواصلة تعليمهم العالي والالتحاق بالجامعات وذلك عن طريق المنح الدراسية والمساعدات المالية .

٣ ــ ولاجل تنشيط التبادل الثقافي وتعزيز الروابط بين الصين والبلدان الاسلامية قامت بارسال الطلبة المسلمين المتازين الى مصر وتركيا والبلدان الاسلامية الاخرى لتكميل دراساتهم العالية هناك .

٤ ــ ولاجل كسب التأييد الادبي والمعنوي للقضية الوطنية قامت بارسال بعثات الصداقة وحسن النية الى البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط بما فيها بعثة الحج في سنة ١٩٣٨ وكان ذلك لمقاومة الدعاية اليابانية المضللة التي تقوم بها بعثة اسلامية يابانية في الشرق الاوسط في نفس السنة . فزارت بعد اداء مناسك الحج ، البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط والهند في طريق عودتها الى الصين .

ثم بعثت الجمعية في سنة ١٩٣٩ م بوفد الى مالايا وجاوا لشرح القضايا الوطنية الصينية لدى اوساط المسلمين هناك . وخلال الحرب العالمية الثانية ارسلت الجمعية بعثتين اخريين الى الشرق الاوسط واتصلتا بالزعماء المسلمين في حكومات تلك المنطقة .

كما انها في سنة ١٩٤٩ م ارسلت بعثة اخرى الى زيارة كراتشي عاصمة باكستان التي استقلت حديثا .

ولقد كان للنشاطات والمجهودات التي قام بها المسلمون الصينيون في الداخل والخارج اثر كبير في دعم التفاهم والصداقة بين الجمهورية الصينية

والبلدان الاسلامية في الشرق الاوسط التي تتجاوب وتتعاون معها في كثير من المجالات الدولية حتى يومنا هذا .

ومنذ استيلاء الشيوعيين على ارض الصين الام نقلت الجمعية مقرها الى تايبه بتابوان متابعة لحكومة الجمهورية الصينية التي انتقل مركزها اليها في اواخر سنة ١٩٤٩ ، وظلت تساند حكومة الصين الوطنية بجميع نشاطاتها وامكانياتها في نضالها المرير ضد النظام الشيوعي القائم في البر الصيني حتى الان .

الفصل الخامس

سياسة اليابان نحو المسلمين في الصين قبل الحرب العالمية الثانية

منذ ان تضع الحرب العالمية الاولى اوزارها بدأت اليابان تنظر الى المسلمين في الصين بعين الاعتبار والاهتمام المتزايدين وادركت اهميتهم في تحقيق سياستها التوسعية المسماة ب « نظام جديد في آسيا » . وقد فسر هذا النظام فيما بعد بنظام آسيا للاسيويين . وان هذا لا يتم الا بزعامة اليابان كما يبدو حينذاك . وقد وضعت لانشاء وتحقيق هذا النظام التخطيط الاتي :

« .. لاجل السيطرة على آسيا يجب ان يسيطر على الصين اولا ولاجل السيطرة على الصين يجب ان يسيطر على المانشوريا قبل كل شيء » ولذا كانت حكومة اليابان تحت ضغط العسكريين قد قامت قبل كل شيء بالهجوم على المانشوريا فاحتلتها بالقوة العسكرية في ١٩٣١ م.

١ ـ بدأت اليابان بالاهتمام بوضع المسلمين في الصين :

قبل وضع التخطيط المذكور في موضع التنفيذ ، قامت اليابان ببعض الاعمال اللازمة لتسجيل تأييد المسلمين في الصين وفي الشرق الاوسط لسياستها هذه . وبهذا الصدد كتب الاستاذ يانج تشنج تشيه مقالة بعنوان : « اليابان ــ حامية الاسلام » وقد نشرت في جريدة « تاكوانج باو » المشهورة الصادرة في تشونج كنج عاصمة الصين الحربية ثم اعيد نشرها في مجلة « الشؤون الباسيفيكية » في عددها الصادر بتاريخ ٤ـ١٢ـ١٩٤٢ م. لقد قام الاستاذ المذكور بدراسة الموضوع وحققه على ضوء الواقع التاريخي فوصل الى هذه النتيجة : ان اهتمام اليابان بوضع المسلمين في الصين بغية استغلالهم في تحقيق سياستها الرامية الى السيطرة على آسيا ، قد بدأ في اليمين الذي قام بالحلف عليه فريق من ضباط الشباب اليابانيين في مراسم خاصة اجريت في يوم من الايام في السنة الثالثة والثلاثين من جلوس الامبراطور ميسجي على عرش اليابان . لقد حلف هذا الفريق من الضباط اليابانيين بأنهم لا يدخروا وسعا في مناصرة

الدين الاسلامي حتى يكملوا واجبهم المفروض عليهم في هذا السبيل . ان الله يعذبهم عذابا شديدا اذا فشلوا في تأدية رسالتهم . وعلى هذا الحلف كانت اليابان تحت الضغط العسكري تعتبر نفسها حامية للاسلام ومناصرة مخلصة لقضاياه .

تنفيذا للفكرة الرئيسية المتضمنة اهداف هذا اليمين ، اخذت اليابان تبعث بالعملاء الى الصين للقيام بدراسة اوضاع المسلمين فيها . وبناء على ما قال الاستاذ يانج : ان « جماعة التنين الاسود » ــ كوكو يو ــ و «رجال الموجات » ــ روئين ــ يلعب كل منهما دورا مهما في هذه الاعمال السرية . ان المنظمة اليابانية الاولى قد ارسلت المستر ساوامورا الى مانشوريا اولا ثم الى بكين حيث اعتنق الاسلام بتوصيات بعض المسلمين هناك . وبأنه اصبح مسلما قام برحلات طويلة الى منغوليا وسنكيانج وتسنغاي وقانصو ومكث بمدينة لين شيا (هوتشو) مركز المسلمين الصينيين في شمال الصين الغربي حوالي ثلاثة اشهر . ثم زار « لانتشو » و « سي آن » و « هانج تشو » و « تشنج تو » ومن هناك سافر الى ولاية « يوننان » ومن « كونج منج » الى « تشونج كنج » . ومن هناك ركب الزوارق في نهر اليانتسي فنزل بهانكيو وزار مراكز المسلمين في مقاطعات هوبه وكيانسي وآنهوى وكيانسو وانتهى بجولاته الواسعة الى تشوان تشو حيث قام بدراسة جدية لاحوال المسلمين في الصين من النواحي الكثيرة التاريخية والاجتماعية والاقتصادية واوضاعهم في المجتمعات المحلية وفقا للوثائق التاريخية والارقام الاحصائية والمعلومات المعتبرة التي وصلت الى يده . كان هذا الياباني قد صرف ثلاثة عشر عاما في الصين لدراسة احوال المسلمين فيها .

كما بعثت منظمة الروئين ــ رجال الموجات ــ ايضا بشخص الى الصين معروف باسم ساكوما سادا وكانت رحلاته قد غطت جميع الولايات في شمال الصين الغربي بما فيها مونغوليا الخارجية ومن هناك اخذ السكك الحديدية ــ خط عبر سيبيريا ودخل سنكيانج عن طريق الروسيا . وخلال اقامته في سنكيانج قام بدراسة تفصيلية عن احوال القازاك والتاتار والتونغانيين . وبعد ذلك قام بالزيارة الى البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط ثم الهند واخيرا عاد الى شنغاي حيث بدأ بتأسيس مجلة اسلامية في سنة ١٩٢٣ م كانت تصدر باسم « نور الاسلام » واشرف على نشرها بصفته رئيسا للتحرير وصاحب الامتياز . فكتب مقالات عديدة ونشرت فيها تحت اسم مستعار « تسو تشونج شان » . وفي هذه المقالات حمل على الحكومة

الصينية بلهجة شديدة يتهمها بالقيام بالاجراءات التعسفية ضد المسلمين في الصين وكان الغرض من هذه المقالات هو اثارة الكراهية بين المسلمين ضد الحكومة . بيد ان وجهات نظره قد جلبت معارضة شديدة من هيئـة مجلس الادارة للمدرسة الاسلامية في شنغاي . لان المسلمين فيها لم يريدوا ان يجروا الى نقاش سياسي مع الحكومة فيما لا يعنيهم من الامور (١)

٢ ـ تقوم اليابان بتوسيع النشاط في كسب تأييد المسلمين لسياستها في آسيا

ان اليابان بعد استيلائها على مانشوريا قد اخذت تبذل مساعي كبيرة في كسب تأييد المسلمين في العالم لسياستها التوسعية وعملت على ان تحقق الاهداف عن طرق ثلاث : الاولى بذل الجهود في كسب مسانـــدة المسلمين الصينيين لسياستها . والثانية اعادة تنظيم نشاط المسلمـين الذين لجأوا الى اليابان من التاتاريين والاتراك والتركستانيين لتأييـد سياستها في الصين على وجه خاص وفي قارة آسيا على وجه عـــام . والثالثة هي كسب العالم الاسلامي في تأييد سياستها التي تنادي بأن « اسيا للاسيويين » .

واما فيما يتعلق بالطريقة الاولى فقد انشأ اليابانيون في مدينة تشانج تشونج بشمال الصين الشرقي اولى المنظمات الاسلامية في يونيو ١٩٣٢ م المعروفة باسم « اتحاد المسلمين في الصين » بغية تسجيل تأييد المسلمين في المانشوريا ، لدولة عميلة جديدة تسمى « مانتشوكو » وكان بعـــض الانتهازيين من المسلمين قد اغتنموا الفرصة وانضموا الى هذه المنظمة . بيد ان اغلبية ساحقة من المسلمين في شمال الصين قد بقوا بعيدين عـــن التورط فيهـــا .

وفي شتاء عام ١٩٣٢ حاول اليابانيون في تحريض احد الزعماء المسلمين المتنفذين المعروف باسي « لي تشبي تشونج » على احداث الاضطرابات في تيان تسين ، بغية تشكيك وتشويه سمعة المسلمين القاطنين في منطقة بكين وتيان تسين بالنسبة لاخلاصهم للقضية الوطنية فلم يفلح . لان المسلمين في مدينة تيان تسين قد احاطوا السلطة المحلية علما. فاتخذت الاجراءات اللازمة العاجلة لاحباط المحاولة عن بكرة ابيها .

واما فيما يتعلق بالطريقة الثانية فقد كانت هناك جماعة كبيرة مـــن

---

(١) انظر في مجلة « الاصدقاء المسلمين في الصين » في عددها الصادر في اول يناير ١٩٤٣ م ص ٤

المسلمين الذين فروا من اوطانهم في اواسط آسيا ، الى اليأبان اثر الثورة البلشفية واستوطنوا فيها ولقوا من الحكومة اليابانية معاملة حسنة . وعلاوة على وجود هؤلاء المسلمين اللاجئين في اليابان كان هناك عدد من اليابانيين قد اعتنقوا الاسلام بين الحين والاخر . فشكلوا معا جالية اسلامية مرموقة في عاصمة اليابان وكوبى .

ثم كان من اللاجئين او المهاجرين المسلمين عدد من العلماء البارزين الذين نزحوا من اواسط آسيا وتركستان الغربية والشرقية الى اليابان والقوا عصاهم هناك وكان من بين هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرشيد ابراهيمي والشيخ عبد الحي قربان علي والشيخ عوض اسحاقي والشيخ محمد مخدوم والسيد علم اطلس(1) وعلاوة على هؤلاء المهاجرين كان هناك عدد كبير من التجار المسلمين من الهند وهم يتحسسون للدين .

للاستفادة من وجود هؤلاء المسلمين في اليابان ، قامت الحكومة اليابانية بمساندة تنشيط الحركة الاسلامية في اليابان وتمنحهم المساعدات المالية والتسهيلات الاخرى . وكان ذلك لدفع عجلة الحركة الاسلامية الى ميدان العمل والى الامام بخطوة نشيطة . فاذا بمسجد يرفع في كوكيو ومسجد اخر في كوبى في وقت متقارب وافتتحا بالتأييد الرسمي من الحكومة اليابانية . وفضلا عن هذا وذاك فقد نظم المهاجرون التركستانيون انفسهم في اليابان في شكل منظم حيث يمكنهم من رفع صوت الاسلام في اليابان . انهم قد انشأوا المدارس والمطبعة الخاصة بهم وكانوا ينشرون مجلة شهرية باللغة التركية من عاصمة اليابان يذكرون فيها اوضاع المسلمين ونشاطهم في اليابان كما يذكرون عناية المسؤولين اليابانيين واهتمامهم الخاص بنشاطهم وتشجيعهم على نشر الاسلام بين ابناء اليابان . وعليه كانت مجلة اسلامية صينية تسمى « تشنج ـ تو » ـ اي الصراط المستقيم ـ التي كانت تصدر من بكين قد كتبت في عددها الصادر في شهر يوليو ١٩٣٣ م مقالة قالت فيها : « ان امبراطور اليابان قد اصدر امرا بمنح الحرية للمواطنين اليابانيين لاعتناق دين الاسلام ان رغبوا في ذلك .. » كما جاء فيها : « ان هناك اكثر من ٢٥٠ طالبا تركستانيا في اليابان يدرسون في معاهدها وجامعاتها على نفقة الحكومة اليابانية .. » .

---

(١) سافر السيد علم اطلس الى امريكا فيما بعد والتحق بصوت امريكا في واشنطن واما الاخرون فبعضهم بقوا في اليابان والبعض الاخر هاجروا الى البلدان الاسلامية . فجاء الشيخ محمد مخدوم الى المملكة العربية السعودية يقيم في مكة المكرمة مع عائلته.

خلال السنوات بين ١٩٣١ و ١٩٣٨ م نشرت في مجلة الفتح الاسبوعية بالقاهرة التي كانت ترحب بالانباء عن العالم الاسلامي والمسلمين في بلاد غير اسلامية ، مقالات كثيرة مرسلة من قبل اولئك الزعماء المسلمين التركستانيين الذين تلقوا معاملة طيبة من الحكومة اليابانية واتخذوا اليابان وطنا ثانيا لهم آنذاك . وكانت الاغراض لنشر هذه المقالات في الفتح هي مزدوجة : الاولى تهدف الى مقاومة نشاط الطلبة المسلمين الصينيين الذين كانوا يدرسون في القاهرة خلال تلك المدة . وتخفيف اثرهم بين المثقفين والصحف في مصر لان الطلبة المسلمين الصينيين قد قاموا في ذلك الوقت بنشاط كبير في الصحف المصرية والجمعيات المحلية لكسب التأييد للقضية الوطنية . والثانية تهدف الى خلق جو من التفاهم والتقارب بين اليابان والبلدان الاسلامية . وكان لهذه المقالات وقع عظيم بين المصريين بدليل ان كثيرا من الشخصيات المصرية البارزة وهم اصدقاء للطلبة الصينيين في مصر قاموا باستفسارهم لماذا هم – اي الطلبة الصينيون – يشكون في اخلاص اليابان لقضية الدعوة الاسلامية . ولماذا كانوا يقفون موقف المعارضة لدعاية اليابان التي لا تضر المسلمين شيئا كما كان المصريون يرونها حينذاك .

٣ – نشاط المسلمين اليابانيين في البلدان الاسلامية :

واما فيما يتعلق بالطريقة الثالثة فكانت اليابان قد بعثت بوفود متعددة لزيارة البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط . فمثلا ان السيد تاناكا ياسو هيرا وكان عضوا في عصابة ضباط الشباب الياباني ، قد اعتنق الاسلام ، كما كان معلوما في العشرينات انه سافر الى مكة المكرمة لاول مرة في سنة ١٩٢٥ م على راس بعثة اسلامية يابانية كانت تضم فيها احد الخبراء اليابانيين في الشؤون الاسلامية المعروف باسم ناكاو هيتا . ثم زار مكة المكرمة للمرة الثانية على راس وفد اسلامي ياباني في ١٩٣٣ لاداء مناسك الحج كما كان مفروضا .

وكانت البعثة هذه المرة تضم عضوية السيد ايموتو تارو واثنين من ضباط الشباب اليابانيين . لقد توفي ياسو هيرا في البلاد العربية اثر الاصابة بملاريا . بيد ان السيد ياموتو تارو قد انتهز هذه الفرصة للقيام بجولات واسعة في البلدان الاسلامية بالشرقين الاوسط والادنى في طريق عودته الى اليابان . لقد عرج على كوبل عاصمة افغانستان ومكث هنالك مدة

طويلة لتحقيق ودراسة اوضاع الحدود بين افغانستان والبلدان المجاورة لها بما فيها سنكيانج .

ثم سافرت بعثة اخرى من اليابان الى الحجاز في سنة ١٩٣٥ اوفدتها سلطة الجيش الياباني المرابط في كوانتونج وبالاتفاق مع مصلحة السكة الحديدية بجنوبي المانشوريا وعدد من الشركات التجارية اليابانية الكبرى ومنها شركة ميتسو بيشي شو جي كاي شا وشركة ميتسو بوسان كاي شا. وكانت البعثة تضم شخصيات يابانية بارزة في اعمال التجارة والاقتصاد وكان من بينهم اوزوكي تو يو وهاسو كاوا هاتا ونو سيزو .

ثم سافر نو سيزو الى مكة المكرمة مرة اخرى في ١٩٣٦ كما تـرأس تسو يو مي بعثة الحج اليابانية الى مكة المكرمة في ١٩٣٧ والتي كانت تضم فيها للمرة الاولى شخصية من مسلمي ـ مانشو كوى ـ يسمى تشانج شيه آن .

لقد تقدم اليابانيون الى شمال الصين تقدما سريعا خلال الفترة بين ١٩٣٣ و ١٩٣٨ واستولوا على بكين وغيرها من المدن الكبرى بشمال الصين فقامت الحكومة اليابانية في سنة ١٩٣٨ بتنظيم بعثة للحج تضم فيها خمسة مسلمين صينيين مختارين من اهل بكين التي وقعت تحت سيطرة اليابان العسكرية منذ مدة فأمرتهم بالسفر الى الاماكن المقدسة لاداء مناسك الحج في الظاهر . لكن المهمة المكلفة بها هي الاتصال بالزعماء المسلمين الذين توافدوا الى مكة المكرمة من انحاء العالم الاسلامي بهذه المناسبة السعيدة ، والسعي الى كسب تأييدهم لبرامج اليابان في آسيا . وعلى كل حال فان نشاطهم هذه المرة قد واجه مقاومة شديدة قام بها الطلبة المسلمون الصينيون الذين كانوا يدرسون في الازهر وفي المعاهد الاخرى بالقاهرة . فوردوا من مصر الى مكة المكرمة في موسم الحج بتعليمات رئيس الجمعية الاسلامية الصينية الجنرال عمر باي تشونج هشي الذي كان يشرف على نشاط المسلمين في الصين الوطنية وتوجيههم الى تأييد القضية الوطنية واحباط مساعي الاعداء في داخل الصين وخارجها بكل وسيلة ممكنة .

٤ ـ اليابان تزيد نشاطها في تنظيم المسلمين الصينيين خلال فترة بين ١٩٣٧ و ١٩٣٨ م :

على اثر نشوب الحرب بين الصين واليابان في ١٩٣٧ م قامت اليابان

بالمزيد من النشاط بين المسلمين الصينيين واهتمت بتنظيمهم في شكل لائق لكي تستغلهم لصالح اليابان على احسن وجه . فكان تشكيل ــ اتحاد المسلمين الصينيين ــ في بكين هو الخطوة الاولى لتسجيل المسلمين في الصين كلها لنظام جديد تدعو الى تحقيقه اليابان في آسيا ، ابتداء بشرقي آسيا والصين . فاتخذت التدابير لهذا الغرض بعد اشغال اليابان لبكين . لقد كان المستر ناكو كاكي شينزو احد المسؤولين بمقر القيادة الامبراطورية اليابانية في شمال الصين مكلفا بترتيب المهمة يساعده احد المسلمين الصينيين من اهالي بكين يسمى « ليو تشن بياو » . وبعد اتمام التحضيرات ، افتتح مركز اتحاد المسلمين الصينيين في حفل رسمي عقد في فبراير ١٩٣٨ م بحضور كيتا سيتي وشيجيكا وا ــ وهما من كبار المسؤولين في مكتب الاستخبارات بوزارة الحربية اليابانية وجماعة كبيرة من كبار الموظفين في نظام بكين الذي كان قد وقع تحت سيطرة السلطة اليابانية فعلا .

اتخذ هذا الاتحاد جامعة شمال الصين الغربية سابقا ، احد المعاهد الاسلامية ، مقرا له . وكان للاتحاد علم فيه رسم الهلال المخيط بالنجوم في السماء الزرقاء . وقد رفع هذا العلم على مبنى الاتحاد جنبا بجنب العلم الياباني الذي تسطع فيه الشمس الوهاجة يوم الاحتفال بمولده (١).

كان هذا الاتحاد بعد تأسيسه تحت اشراف السلطة اليابانية يصدر مجلة تحت عنوان « الاسلام » ليكون لسانا له نشرت فيها مقالات خاصة وصور للزعماء المسلمين في العالم الاسلامي لمناسبات خاصة كما نشرت فيها مقالات عن عادات المسلمين واوضاعهم وعددهم في البلدان الاسلامية المختلفة وكذلك الانباء عن نشاط المسلمين في الصين والشرق الاوسط . وكانت السلطة قد خصصت لهذا الاتحاد ميزانية بلغت ٥٠٠,٠٠٠ دولارا اميركيا في السنة .

ولاجل تسهيل الاعمال والنشاط في انماء الصين ، قسم الاتحاد الصين الى ستة مناطق عملية رئيسية وهي : (١) شمال الصين . (٢) شمال الصين الغربي . (٣) منغوليا الخارجية . (٤) الصين الوسطى . (٥) جنوبي الصين . (٦) جنوب الصين الغربي . وقد فتح مركزا رئيسيا في كل من هذه المناطق . وفي الفترة بين ١٩٣٨ و ١٩٤١ انشأ هذا الاتحاد في جميع انحاء الصين ٣٩٤ فرعا منها ٨٤ في بكين و ٦٢ في تيان تسين و ٦١ في ولاية هاونان و ٤٣ في تاي يوان و ١٤٤ في الولايات الاخرى بما فيها تايوان .

---

(١) الاصدقاء المسلمون في الصين : يناير ١٩٤٣ ص ٥

كانت منطقة شمال الصين بمركزها في بكين تحت مسؤولية اللجنة المكونة من تسعة اعضاء عاملين واثنا عشر عضوا فخريا واكثرهم مسلمون صينيون لم يستطيعوا ان يغادروا بكين بسبب عائلاتهم فيها او لاسباب اخرى عندما احتلها اليابانيون . ولقد عرض اليابانيون على الشيخ عبدالرحيم ما سونج تنج زعيم من زعماء المسلمين النشيطين في شمال الصين وكان رئيسا لدار المعلمين تشندا الاسلامية في بكين بأربعة مائة الف دولار كمكافأة له اذا بقي هو مع معهده في بكين (١). غير انه هاجر مع جميع الاساتذة والطلبة الى كوي لين عاصمة ولاية كوانسي في اقصى الجنوب من الصين لانه كان وطنيا عظيما لم يستطع ان يعمل شيئا تحت السلطة اليابانية . فعندئذ رفع اليابانيون « وانج آخون » وكان اماما لجامع سوق البقرة (نيو كاي) في بكين الى رئاسة مركز فرعي لاتحاد المسلمين في الصين . فمات « وانج آخون » بعد سنتين . لكن السلطة الحقيقية لمركز اتحاد المسلمين في بكين كانت في يد تاكو كاكي شينزو وليو تشن بياو ولكل منهما منصب استشاري في المركز .

لقد تخوج تاكوكاكي شينزو من الكلية التجارية في اليابان ثم سافر الى الولايات المتحدة الاميركية ودرس في الاقتصاديات في جامعة كولومبيا . وبعد عودته من اميركا التحق بواسوا بهارتي ـ المعهد الثقافي الهندي الذي اسسه الدكتور طاغور في سانتي نيكتين بالبنغال ـ الهند . وقد دخل تاكوكاكي شينزو مرة في خدمة الحكومة الافغانية كمستشار لها وكان ذلك بواسطة وتوصية قائد افغاني على يده اعتنق الاسلام فسماه « عبد الله » منذ ذلك الحين .

لقد حاول اليابانيون في بث النوايا الطيبة بين المسلمين الصينيين عن طريق هذا الاتحاد وكسب تأييدهم لقضية اليابان الاستعمارية . ولاجل جذب الشخصيات المسلمة البارزة اليها ، قامت بتخصيص مبالغ خاصة لاصلاح وتعمير الجوامع القديمة الجاثمة في حالة متهدمة ، منها جامع نيو كاي وهو اكبر واقدم المساجد في بكين .

اثناء احتلال اليابان لبكين كان المسلمون فيها يتلقون من السلطة العسكرية اليابانية معاملة احسن من غير المسلمين وقد زودت لهم بطاقات المرور لكي يتنقلوا في داخل المدينة وضواحيها بحرية اكثر وبدون مانع كثير . واذا حدث نزاع بين المسلمين وبين غير المسلمين من الصينيين

(١) مجلة آسيا وامريكا مارس ١٩٤٢ ص ١٧٣

فكانت السلطة اليابانية تميل الى اصدار الحكم في صالح المسلمين ترمي بذلك الى احداث الشقاق فيما بينهم في المجتمعات والحياة الاجتماعية والى ابعاد الاولين عن الاخرين بغية ايجاد حركة انفصالية بين المسلمين في الصين.
لقد استغرب المستر ليمان هوفر وجود هذه النشاطات الكبيرة التي قام بها اليابانيون بين المسلمين في الصين عند ما وصل اليها في مارس ١٩٣٨ وشهد في الصفحة الاولى من جريدة انكليزية تصدر في اليابان باسم « ذي يابان ادور تايمز » عناوين ضخمة تقرأ كما يلي :

« خمسون مليون مسلم صيني اعلنوا قرا هم لمحاربة الشيوعية » .
وقد نشرت الجريدة المذكورة مقالة اخرى بصدد تشكيل اتحاد المسلمين في الصين الذي اعلن تأييده الاكيد للحكومة المؤقتة التي شكلت في بكين تحت اشراف اليابان ، ورغبة الاتحاد في التعاون التام مع السلطة اليابانية في الصين (١).

كما نشرت في جريدة « بكين وتيان تسين تايمز » الانكليزية في عددها الصادر في اول ابريل ١٩٣٨ رسالة لاسلكية وردت من طوكيو استنادا الى مصدر موثوق به في ولاية صوي يوان قائلة : ان حركة انفصالية لعشرة ملايين من المسلمين القاطنين في اربعة ولايات بشمال الصين الغربي وهي نيغشيا وقانصو وتسنغاي وسنكيانج تكسب قوة من يوم لاخر الان (٢). ومن المعلوم ان هناك اربعة مراكز فرعية لاتحاد المسلمين في الصين موزعة في اربعة مدن رئيسية بتلك الناحية من ارض الصين وهى سوي يوان وباو — تو وكالغان وتاتونج الحقت بها نحو ١٤٦ فرع انشىء حول تلك المراكز وزعت على اماكن تالية : ٢٨ فرعا في سوي يوان و ٢٤ في باو تو و ٦٣ في كالغان و ٣١ في تاتونج (٣).

وعلاوة على هذه النشاطات قامت اليابان بتسجيل خدمات الشبان المسلمين الصينيين في تنفيذ برنامج النظام الجديد في شرقي آسيا . ووفقا لمشروع اليابان الرامى الى تحقيق هذا الغرض شكلت منظمة للشبان المسلمين الصينيين واجري فيها تدريب خاص لهم وبعد اتمام هذا التدريب ارسلوا الى القيام بأعمال في ادارة الخدمات الخاصة الملحقة بالقوه المسلحة

---

(١) مقالة هوفر نشرت في مجلة اسيا وامريكا : ١٩٣٨ ص ٦٥٧
(٢) مقالة هوفر نشرت في مجلة اسيا وامركا : ١٩٣٨ ص ٦٥٨
(٣) مجله الشؤون الباسيفيكية في عددها الصادر في ٤-١٢-١٩٤٢

اليابانية المرابطة في شمال الصين . كما منحت للمسلمين الصينيين مراعات تشجيعية اخرى من اعانات مالية لمدارس المسلمين في الصين . فمن المدارس الاسلامية التي تلقت مساعدات مالية من السلطة اليابانية ، المركز التعليمي الاسلامي لابناء مسلمي شمال الصين الغربي الذي كان له مقر في بكين ومدرسة اخرى تسمى شيه تشيه المتوسطة للبنات التي انشئت في بكين في ١٩٣٧ م كما قامت السلطة اليابانية بمساعدة انشاء معهد الثقافة الاسلامية في ميناء دايرين وعينت عالما مسلما معروفا باسم « تشانج ته شون » مديرا له . وبعد هذا وذاك قامت باختيار نخبة من الطلبة المسلمين وارسلتهم الى اليابان لتلقي الدراسا العالية على حسابها وكان من المبعوثين طالب يسمى « باي تشينج يو » (١).

ان هذه الخطوات التي كانت اليابان تتخذها في تنظيم المسلمين في الصين وتدريبهم للخدمات الخاصة وتشجيعهم على انشاء حكومة منفصلة في شمال الصين الغربي قد تؤدي الى نتائج متوقعة ان لم تنهزم اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن المسلمين في تلك الايام كانوا يواجهون ازمة خطيرة لم يعرفوا كيف يتغلبون عليها . لان الشيوعيين عند هزيمة اليابان في نهاية الحرب — لا — بل قبيل ان تضع الحرب اوزارها ، قاموا بالتقرب الى المسلمين يحاولون في كسب تأييدهم وولائهم للقضية الشيوعية في الصين . وفي الفصل التالي احاول عرض بعض التفاصيل عن موقف المسلمين من الحركة الشيوعية في الصين .

(١) الشؤون الباسيفيكية : ٤ ديسمبر ١٩٤٢ م

الفصل السادس

الشيوعيون واقلية المسلمين في الصين

١ ـ الشيوعيون والمسلمون في سنة ١٩٣٧ و ١٩٣٨ م

خلال فترة السنتين الـ ١٩٣٧ و ١٩٣٨ م كان تأييد المسلمين في الصين يطلب من ثلاثة اطراف وكان كل طرف يدعي بأن المسلمين يقفون موقف التأييد له . كانت حكومة الصين الوطنية تدعي بأن المسلمين كانوا يقفون بجانبها باخلاص وولاء في حربها المستميتة ضد اليابان . كما ادعت السلطة اليابانية بأن المسلمين كانوا يؤيدون موقفهم في اعمالهم الحربية الجارية في الصين . وفي نفس الوقت قام الشيوعيون بتسجيل تأييد المسلمين لحركاتهم العصيانية وتقوية مراكزهم على طول حدود الولايات هاوبه ـ شنسي ـ قانصو ، بدعوى انهم (اي الشيوعيين) كانوا يتعاونون مع الوطنيين في عمليات المقاومة ضد اليابان . ولكنهم في الحقيقة كانوا يسعون الى تعزيز مراكزهم في الولايات البعيدة عن ويلات الحرب بشمال الصين . وكان ذلك استعدادا لتأسيس النظام الشيوعي على انقاض الحرب اليابانية الصينية في الصين كلها في السنوات المقبلة . وللتوصل الى هذا الهدف قام الشيوعيون بالمساومة مع المسلمين الصينيين على شروط مغرية ودعوهم الى تأييدهم في النضال ضد اليابان وايقاف العدو عن التقدم نحو الجنوب والشمال الغربي . وان ما اورده المستر هوفر من المعلومات بهذا الصدد ، عندما وصل الى بكين في ابريل عام ١٩٣٨ يدل بوضوح على التكتيكة التي استخدمها الشيوعيون في اغراء المسلمين لكي يقفوا موقف المؤيدين للحركة الشيوعية . فقال : ان الشيوعيين قد بعثوا برسالة الى جميع المسلمين في المناطق المجاورة امتدحوا فيها روح التضامن فيما بينهم وشجاعتهم في محاربة الاعداء كما انهم قد ذكروا فيها المتاعب التي واجهها المسلمون في المدن والقرى فعلا او متوقعا من تقدم الجيش الياباني. وعليه طلبوا من المسلمين في الرسالة بوضع جميع الامكانيات لديهم في محاربة اليابان وايقاف عدوانها (١) .

---

(١) مقالة هوفر في مجلة اسيا وامريكا : ١٩٣٨ ص ٦٥٧ و ٦٥٨ .

وبعد ذلك قام الشيوعيون بتقديم قائمة مغرية من الوعود المعسولة للمسلمين كمكافآت لتأييدهم للقضية الشيوعية . وكان من هذه الوعود المعسولة ، الغاء الرسوم غير المباشرة ومساعدة المسلمين في تشكيل الحكومات الذاتية في المناطق التي يقطنونها وابطال الديون وتحريم التجنيد والمحافظة على التقاليد الاسلامية وحرية العقيدة والعبادة لجميع الاديان . والمساعدة على تنظيم وتسليح وحدات خاصة لجيش المسلمين ضد اليابانيين ومساعدة المسلمين في داخل الصين ومونغوليا الخارجية وسنكيانج في توحيد صفوفهم مع المسلمين داخل الاتحاد السوفياتي (١).

ومن الظاهر ان الشيوعيين قد اوجدوا فيما بينهم جيشا مكونا من المسلمين . لقد قال احد المراسلين الاميركيين الذي كان موجودا في بكين حينذاك للمستر هوفر : انه قد شهد بعينيه كتيبة كاملة من الجنود المسلمين تحت قيادة الضباط المسلمين في معسكر الجيش الشيوعي مجهزة بالمطبخ الخاص لهم ويتحركون مع جماعات كبيرة من الجيش الشعبي في ولاية هاوبه الوسطى .

لقد علم المستر هوفر اذ كان ما زال في الصين ان آخوند المسجد الشهير قد رجع من قريته القريبة من مدينة « باو ـ تينج » واخبر الناس قائلا : ان الشيوعيين في قريته كانوا يعاملون المسلمين احسن المعاملة وان اهل القرية من المسلمين وغير المسلمين يكنون لهم المودة والاعجاب وتنبأ بأن المزيد من المسلمين سيتعاونون معهم تعاونا ايجابيا اذا كانوا يتلقون بالاستمرار معاملة حسنة من الشيوعيين ويعاضدونهم في مقاومة الحكومة التي اقامها اليابانيون في بكين بشمال الصين (٢).

في سنة ١٩٣٨ كانت الحكومة الصينية الوطنية منهمكة في حرب المقاومة ضد العدوان الياباني ولم تتنبه الى تحركات الشيوعيين بين اواسط المسلمين في شمال الصين . ولاجل هذا جلب بعض المسلمين الى عصابة الشيوعيين اعتقادا بأنهم كانوا يذهبون الى مقاتلة اليابانيين في الميدان . بيد ان اغلبية المسلمين وعلى الاخص الذين يقطنون في ولايات شمال الصين الغربي ، التي كانت تحت سيطرة القواد المسلمين الوطنيين وقفوا بعيدين عن الحركة الشيوعية . بل انهم كانوا قد قاموا بمحاربة الشيوعيين بكل شجاعة

---

(١) مقالة هوفر في مجلة اسيا واميركا : ١٩٣٨ ص ٦٦٠.

(٢) مقالة هوفر في مجلة أسيا واميركا : ١٩٣٨ ص ٦٥٨.

وتضحية . واذكر هنا على سبيل المثال ، الحرب العنيفة التي دارت بين المسلمين والشيوعيين في مدينة « واي تشو » (Wei-Chow)

ان مدينة « واي تشو » تقع بغربي سي – آن ، عاصمة ولاية شنسي وقريبة من ولاية قانصو وكان فيها زهاء عشرة الاف نسمة من السكان وكلهم مسلمون على وجه تقريبي . فبعث قائد الجيش الشيوعي الذي سيطر على المناطق المجاورة بضابطين اثنين الى تلك المدينة طالبين الاجتماع مع زعماء المسلمين في المدينة لكي يتباحثوا معهم في تشكيل حكومة مديرية اسلامية يتمتع فيها المسلمون بالحكم الذاتي كما ادعى الضباط الشيوعيون انه يوجد بين الجيش الشيوعي حينذاك عندهم عشرة الاف جنديا مسلما .

فرفض زعماء المسلمين في المدينة من مقابلته قائلين : « اذا كان الامر بالموت وحياة البلاد فعلى المسلمين ان يخضعوا لاوامر الزعيم الوطني الاكبر الجنراليسيمو تشيانج كاي شيك في جميع التحركات والعمليات العسكرية لا لشخص اخر . وعلى كل فان الحاكم العام ما هونج كوي – عماد الدين – هو كبير زعمائنا المسلمين وقائدنا في المنطقة . وليس لنا الحق في بحث اية مسألة سياسية بدون علمه او اذنه . واذا كنتم ايها الشيوعيون قد جئتم لاشغال هذه المدينة بالقوة والسلاح فاننا مستعدون للدفاع عنها بدم حار وايمان ثابت حتى اخر الرجال » .

ونتيجة لهذا الرفض تعرضت المدينة لهجمات الشيوعية المكررة . فكلما جاءوا للهجوم على المدينة ردت على اعقابهم بدون الرحمة . لقد قام المسلمون بالدفاع عن المدينة حتى وصلت النجدة المرسلة من قبل الحاكم المسلم عماد الدين ما هونج كوي وانقذتها من السقوط في ايدى الشيوعيين .

٢ – اكتساح الشيوعيين شمال الصين الغربي وسنكيانغ :

عندما كانت الحرب بين الصين واليابان قد وصلت الى اشدها كان الوضع في شمال الصين اصبح اكثر صعوبة بالنسبة للحكومة الوطنية التي نقلت مقرها من نانكين الى تشونج كنج امام التقدم الياباني الزاحف الى الجنوب . فلم تستطع السيطرة على الولايات الشمالية سيطرة تامة او فعلية وتركت امور هذه المناطق الواسعة الى ايدي القواد المسلمين المنتسبين الى عائلة « ما » الشهيرة ، ايمانا باخلاصهم وولائهم للقضية الوطنية . ولان هؤلاء القواد المسلمون متمسكين بالعقائد الدينية الاسلامية لم

يستطيعوا ان يتعاونوا او يتفاهموا مع الشيوعيين عقائديا او ايديولوجيا . فقاموا بمقاومة نفوذ الشيوعيين بكل وسيلة ممكنة .

غير ان التعاون العسكري بين حكومة الصين الوطنية والاتحـــاد السوفياتي في وقت الحرب قد مهد السبيل للشيوعيين الصينيين لتثبيت اقدامهم وتعزيز مراكزهم في ولايتي هاوبه وجهار خلال تلك المدة الطويـلة من سنوات الحرب مع اليابان . فقفزوا من هناك الى مانشوريا بعد هزيمة اليابان . وفي نفس الوقت كان النفوذ الروسي في سنكيانج قد اصبـــح اقوى واكبر من ذي قبل ونتيجة لذلك كانت الصين مع جميع ولاياتهـــا الشمالية النائية قد سقطت في ايدي الشيوعيين نهائيا في شتاء ١٩٤٩ م .

ومن الثابت ان التطور السياسي في ولاية سنكيانج كان يؤثر دائمـا على وضع شمال الصين الغربي منذ ايام القدم . فالحوادث التي ظهرت في سنكيانج في القرن التاسع عشر الميلادي تشهد لذلك . فكان سقـــوط سنكيانغ التي فيها ٩٤٪ من سكانها مسلمون في ايدي الشيوعيين في المرحلة الاخيرة من الصراع الوطني الشيوعي ، يعتبر ضربة قاضية على اوضاع المسلمين في شمال الصين الغربي الذين كان لهم اتصال وثيق باخوانهـم في اواسط آسيا وما وراء النهر . وان هذه الحكاية المؤلمة الحزينة كانـت من صنع الجنرال تشانج جي تشونج الماهر بالاشتراك مع معاونه الايمن « ليو منج تشونج » وفقا لقول السيد عيسى يوسف السكرتير العام في حكومة سنكيانج اذ كان السيد مسعود صبري بيك حاكما عليها معينـا من قبل حكومة الجمهورية الصينية المركزية في نانكين . واما الجنرال تشانج جي تشونج فكان يعتبر يوما من الايام الساعد الايمن لجنراليسيمو تشيانج كاي شيك واقرب المستشارين اليه .

لقد كان الجنرال تشانج جي تشونج يشغل منصب قائد عام للجبهة الشمالية التي لها مقر القيادة في سي ـ آن عاصمة شنسي ولها سيطـرة تامة على شمال الصين الغربي سياسيا وعسكريا بين ١٩٤٦ و ١٩٤٩ وكان ليو منج تشوانج يخدم عنده كالسكرتير العام في القيادة العامة المذكورة . وفي سنة ١٩٤٩ عندما رأى فخامة الرئيس تشيانج كاي شيك ان الحالة في الصين كلها تسير من سوء الى اسوأ بعث بالجنرال تشانج جي تشونج الى بكين ليتفاوض بالنيابة عن الحكومة الوطنية مع الشيوعيين وكان بذلك يأمل بالتوصل الى التسوية السلمية مع الشيوعيين .

فسافر تشانج جي تشونج الى بكين ولما وجد فرصة سانحة انضم الى

الشيوعيين فلم يعد الى نانكين مقر حكومة الصين الوطنية ابدا . ومن بكين قام تشانج جي تشونج بعمل باهر اخر . فكلف تشو ــ وو احد الضباط من الذين تلقوا التدريب في الروسيا بالسفر الى مقابلة ليو منج تشونج السكرتير العام في القيادة العامة الذي كان موجودا في اورمجي عاصمة سنكيانج حينذاك . وامره بتمهيد السبل لتمكين الشيوعيين من الاستيلاء على ولاية سنكيانج كلها نهائيا . فوضع ليو منج تشونج التخطيط لتحقيق اوامر سيده عمليا . ولاجل ذلك قام اولا بجلب الجنرال تسزينج يو القائد للقوة الصينية في سنكيانج الى جانبه وكذلك فعل مع السيد برهان الدين خان الحاكم العام في شرقي تركستان الذي كان له مقر العمل في مدينة ايلي على حدود الروسيا . ومع هذين الشخصين من ذوي النفوذ العظيم في امور سنكيانج بجانبه فمن السهل ان يتحدى موقف الضباط الوطنيين وكبار الموظفين في هذه الولاية النائية . فقال لهم : « اذا اردتم سلامة الحياة فعليكم ان تتركوا سنكيانج في اسرع وقت ممكن بحياتكم وحياة ذويكم ومن يريدون ان يرافقكم مع ما تستطيعون ان تحملوه من الامتعة الشخصية عن طريق عبور جبال همالايا والا فعليكم ان تلقوا اسلحتكم وتخضعوا لاوامر الجماعة التي تقف الان مؤيدة للحكم الشيوعي في البلاد » .

في هذه الاونة الحرجة قام الجنرال ما تشنج هيانج ابن اخ الجنرال حسين ما بو فانج وكان مسلما وطنيا غيورا يقف دائما مع الحكومة الوطنية ، بالتشاور مع السيد يوسف عيسى الذي كان يشغل منصب السكرتير العام في حكومة اورمجي آنذاك والسيد امين بو فرا وكيل حكومة سنكيانغ وكبار المسؤولين في الولاية وسألهم هل من الامكان ان يتركهم الروسيون في امن وسلامة اذا قام بقطع تلك الرؤوس الكبيرة الداعية الى اقامة الحكم الشيوعي في الولاية ؟ الا ان احدا لم يشجعه على ذلك . كما انه لم يستطع ان يقدم على ذلك علما عن طريق السر . ان الحالة في شمال الصين ليست على ما يرام . وهذا يشير الى ان سنكيانج لا تكون باقية في ايدي الوطنيين اذا خرج شمال الصين الغربي عن ارادتهم . وفي نفس الوقت كان الوضع في داخل سنكيانج يتجه اتجاها قويا نحو الشيوعيين ازاء الوطنيين .

اما القيادة العسكرية في شمال الصين الغربي فقد وضعت على اكتاف الجنرال حسين ما بو فانج الذي قام بالدفاع عن جبهة شمال الصين الغربية بعد انضمام الجنرال تشانج جي تشونج الى عصابة الشيوعيين . فجاء الشيوعيون يحيطونه من ولايتي شنسي وسوي بوان

وضيقوا عليه . وفي هذه الحالة طلب النجدة من حكومة الصين المركزية التي اصدرت اوامرها الى الجنرال وو تشونج نان — الذي كان مرابطا في تاي يوان عاصمة شانسي ، للذهاب بجيشه الى انقاذ موقف الجنرال ما بو فانج . ولكن الجنرال وو تشونج نان لم يتحرك من مكانه . وكان حاقدا على ترقية حسين ما بو فانج الى مركز القيادة العامة فجأة لجبهة شمال الصين الغربية كلها . فعندئذ لا مفر للجنرال حسين ما بو فانج غير الاعتماد على نفسه في محاربة الشيوعيين الذين احاطوه من كل جانب . فحارب بكل شجاعة وحماسة وطنية وبعد قتال عنيف استغرق عشرين يوما متواصلا ، انهار الخط الدفاعي في جيش الجنرال حسين ما بو فانج وفي ٢٥ من شهر آب — اغسطس ١٩٤٩ م انكسر جيشه امام التقدم الشيوعي في معركة لانتشو التي فقد فيها الجنرال حسين مابو فانج عشرين الف رجل من احسن جنوده . وعلى كل فان الجنرال حسين ما بو فانج قد تمكن من النجاة بحياته الى مكان خارج الخطر . ثم طار مع ابنه وعدد من اعضاء عائلته الى جنوب الصين ثم الى هونج كونج . وقد كانت هزيمة الجنرال حسين ما بو فانج في معركة لانتشو ، واستيلاء الشيوعيين على ولاية قانصو أثر ذلك ، تقضي على امل سنكيانج من عدم سيطرة الشيوعيين عليها وكان ذلك مقدورا .

وفي نفس الوقت وصل الخبر من منطقة ايلي بأن التطور هناك كان يشير الى سرعة سقوط سنكيانج في ايدي الشيوعيين بين عشية وضحاها . كما كانت الشائعات تتسرب من القنصلية الروسية العامة في اورومجي قائلة ان الجيوش اليسارية كانت تتحرك من ثلاث مديريات شبيهة مستقلة : يعني من ايلي وتشو فو تشيك والتاي — نحو ارومجي وتستعد لمهاجمتها من ثلاث جبهات . لقد كانت هذه الشائعات تدل دلالة واضحة على ان الروسيا السوفيتية لن تترك المسؤولين الوطنيين في امن وسلام اذا قاموا بمحاولة على حياة اولئك الزعماء العسكريين المتحيزين الى جانب الشيوعيين في ولاية سنكيانج . ولما رأى كبار المسؤولين الوطنيين بمن فيهم السيد امين بو فرا وكيل حكومة سنكيانج والسيد عيسى يوسف السكرتير العام والسيد جلال الدين وانج زين شان المدير العام للمديريات والجنرال ما تشن هسيانج قائد الحامية الوطنية عديم السبيل الى انقاذ الموقف ، قرروا مغادرة سنكيانج مع حوالي ٥٠٠ من الموظفين من مختلف الدرجات ، هاربين بحياتهم نحو الهند عبر مضائق جبال همالايا خلال الشتاء القارس عام ١٩٤٩ وقد كان السيد هول باكستون القنصل العام الاميركي في ارومجي وقرينته قد فرا الى الهند عن نفس الطريق وفي نفس الوقت تقريبا . كانت الحكاية مريعة ومؤلمة للغاية وقد ظهر اول نبأ عن هذه الحكاية بوصول هؤلاء

اللاجئين السياسيين الصينيين الى الهند لاول مرة في بلدة « لداخ » تاركا معظمها وراء الستار الحديدي ولا يعلم احد متى تنتهي والى ايـن تنتهي ويلاتها وآلامها .

٣ ـ المسلمون تحت النظام الشيوعي في البر الصيني :

بعد تأسيس النظام الشيوعي في بكين في اواخر سنة ١٩٤٩ م،وسيطرته التامة على اراضي البر الصيني الاعظم ، اضطر المسلمون جميعا الى البقاء في الصين الام يعيشون مع جميع الصينيين تحت الحكم الشيوعي الغاشـم فيها ، باستثناء بعض الافراد من ذوي الحظوظ الحسنة من الاغنيـاء نسبيا الذين تمكنوا من ايجاد التدابير للفرار من البر الصيني قبل فـوات الاوان . وكان من بين هؤلاء الذين نجحوا في الفرار من تقتيل الشيوعيين عدد صغير من الزعماء المسلمين العسكريين والسياسيين الذين لم يقبلوا غير زعامة الرئيس تشيانج كاي شيك ووقفوا بجانبه في السراء والضـراء وحاربوا في سبيل الوطن وبقوا مخلصين للقضية الوطنية الكبرى تحـت زعامة الرئيس تشيانج كاي شيك . وقد انتقلوا الى تايوان في حين انتقلت فيه اليها حكومة الصين الوطنية برجالها وعتادها ودواوينها . فاستقر بعضهم في هونج كونج وسافر الجنرال عماد الدين ما هونج كوي الـى كاليفورنيا بالولايات المتحدة الاميركية وحصل على الاقامة فيها كما لجـأ الجنرال حسين ما بوفانج مع عائلته الى القاهرة واقام فيها سنوات عديدة ثم انتقل الى المملكة العربية السعودية بعد اعتراف الحكومة المصريـة ـ الناصرية ـ بالنظام الشيوعي في بكين عقب الاطاحة بالملك فاروق مـن الحكم . واما الذين هربوا من سنكيانج فقد لجأوا الى الهند اولا . ثـم لجأ بعضهم الى تركيا والبعض الاخر الى المملكة العربية السعودية وبقـي بعضهم في الهند والباكستان . وكل هؤلاء يقضون حياتهم في الخمول في المنفى والغربـة .

ومن المعلوم ان هناك عشرات ملايين من المسلمين في الصين كلها . وكم منهم قد لاقوا حتفهم على ايدي الشيوعيين وماتوا فيها موت الابطـال الوطنيين ؟ وكم منهم قد ماتوا موت المخلصين لدين الاسلام وعقيدتـه السامية . فوقعوا ضحايا في سبيل الدفاع عن الاسلام ضد الالحـاد واللادينية ؟ وكم منهم ما زالوا يتمسكون بهوامش الحياة ويضطرون الى ان يعيشوا عيشة التعساء تحت النظام الشيوعي الصيني هناك ؟ هذه الاسئلة لا تجد عندنا الاجابات عنها في الوقت الحاضر ، علما ان الاحصاءات الاخيرة

التي قام بها النظام الشيوعي في الصين بصدد سكان الصين كلها قد ذكرت ان مجموع السكان في الصين الشيوعية قد بلغ اكثر من ٦٠٠ مليون نسمة (احصاءات عام ١٩٥١ م) ولكن بدون ذكر النسبة المئوية عن المسلمين فيها . ومن المعتقد ان المسلمين لا بد من ان يحتفظوا بنسبة عالية من بين مجموع السكان في الصين الشيوعية .

وعلى كل فان ما يهمنا هنا هو كيف يعيش المسلمون تحت النظام الشيوعي في البر الصيني لاعددهم سواء اكانوا قد ازدادوا او نقصوا ـ كثروا او قلوا ـ والمهم كل المهم عندنا هو هل ما زالوا يتمتعون بحرية العبادة وامكان القيام بالشعائر الدينية حسب رغباتهم وكيف اراد لهم الشيوعيون ان يعيشوا في الصين الشيوعية من الان فصاعدا ؟ وللاجابة على هذه الاسئلة دعنا ان نلقي نظرة على ما قال عنهم الزعماء الشيوعيون او ما قد فعلوا ويفعلون بهم ؟

وبناء على ما جاء في « المسلمون في الصين ـ اي الشيوعية » كتاب نشر من قبل جمعية الصين الاسلامية في بكين سنة ١٩٥٣ يبدو ان النظام الشيوعي قام في اول الامر بمنع المسلمين ببعض الشيء كما ورد ذلك في الدستور الشيوعي اذ قال في المادة الخامسة منه :

« ان الشعب في جمهورية الصين الشعبية لهم الحرية في التفكير والقول والنشر والاجتماع والعقيدة الدينية وغيرها . »

وفي المادة التاسعة : « ان جميع القوميات (اي الجماعات السلالية) لها حقوق وواجبات متساوية داخل جمهورية الصين الشعبية . »

وفي المادة الحادية والخمسين « الحكم الذاتي المحلي سيكون نافذ المفعول في المناطق التي تتجمع فيها اقليات القوميات . فتشكل الانواع المختلفة من المنظمات المستقلة بالحكم الذاتي من القوميات المختلفة حسب حجم تعداد افراد كل منها ورقعة الاراضي التي تسكن فيها . وفي الاماكن التي توجد فيها قوميات مختلفة يتعايش بعضها بعضا وفي المناطق التي تستقل فيها الاقليات المختلفة بالحكم الذاتي تتمثل كل منها بالنسبة المتناسبة في تشكيلاتها السياسية المحلية » .

وفي المادة الثالثة والخمسين : « لكل الاقلية من القوميات ، الحرية في تطوير لهجتها ولغتها ، والمحافظة على تقاليدها الخاصة او اصلاحها

او عاداتها وعقائدها الدينية . ان حكومة جمهورية الصين الشعبية سوف تقوم بمساعدة الجماهير في كل من مناطق الاقليات القومية وفي تطوير وتنمية حياتها السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والعمرانية . »

على ضوء هذه الاحكام الموجودة في الدستور الشيوعي الصيني يبدو ان المسلمين في الصين الشيوعية لهم بعض الحرية الدينية والمساواة في الحقوق السياسية والحرية في تنمية حياتهم الثقافية والتعليمية باعتبارهم اقلية من القوميات الصينية . كما لهم الحق في التمتع بالحكم الذاتي في المناطق التي هم يسكنون فيها ولهم تمثيل على اساس النسبة المئوية في المناطق المختلطة . هذا هو ما قاله الدستور الشيوعي حرفيا .

واما الان فدعونا ننظر فيما اذا كان الشيوعيون يعاملونهم وفقا لما جاء في الدستور او بطريق يتعارض مع احكام الدستور ؟

٤ ـ طريق الشيوعيين في معاملة المسلمين في البر الصيني عمليا :

أ ـ التسامح الشيوعي لارضاء المسلمين في بداية الحكم الشيوعي في الصين اصبح سياسة خادعة مميتة للمسلمين في النهاية .

عندما تم استيلاء الشيوعيين على البر الصيني بأكمله في اواخر سنة ١٩٤٩ م قام الزعماء الشيوعيون في نظام بكين بمن فيهم : بانج ته واي وتشو اين لاي وليو شو تشي وتشانج جي تشونج وعدد من الاخرين بعقد مؤتمر في بكين برئاسة رئيسهم ماو تسي تونج واتخذ فيه قرارا بتطبيق نوع من سياسة التسامح على اقلية المسلمين في الصين الشيوعية . وكانت هذه السياسة التسامحية اصبحت فيما بعد خانقة لتنفسهم وفي اجواء هذه السياسة الخانقة المميتة لحياة المسلمين ، طلب الشيوعيون بعض الزعماء المسلمين من الذين يميلون الى « التشيع » ويرضون بخدمة القضية الشيوعية . ان يشكلوا جمعية اسلامية شعبية في البر الصيني . وقد كان من بين هؤلاء برهان الدين الشهيدي حاكم سنكيانج حينذاك وسيف الدين كبير المؤيدين للحركة الشيوعية وهو من اهالي شمال سنكيانج والشيخ ابراهيم دا بوشنج من اهل شنغاي ومحمد مكين من يوننان والسيد تواضع بانج والسيد يانج تشونج زين والسيد ما يو هواي من شمال الصين . وقد شكلوا الجمعية الاسلامية للصين الشعبية تحت توجيهات السلطة الشيوعية العليا يدعون المسلمين في جميع ارجاء الصين الى الوقوف وراء الحركة

الشيوعية من الناحية السياسية والثقافية والدينية . وقد تلقى هــؤلاء الزعماء وعودا معسولة من الحكام الشيوعيين تبشر بخير لمستقبلهم ولاولادهم والاجيال القادمة في الصين الشعبية العظيمة المزدهرة .

بعد تشكيل الجمعية المذكورة وقف هؤلاء يعملون وانشأوا مراكز كثيرة لشؤون المسلمين في ارجاء البر الصيني منها التعليمية والاجتماعيــة كما قاموا بتأليف الكتب عن الاسلام وفقا للنظرية الماركسية وبترجمة معاني القرآن الى اللغة الصينية طبقا للمباديء الشيوعية وتفاسيرها ، واجبروا المسلمين على العمل فيها وفقا للتفاسير المبنية على النظريات الشيوعية . فالاوامر التي تتضمنها الاية الكريمة « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » . لها اهمية كبرى بالنسبة لفرض الشيوعيين على المسلمين ان يطيعوا اوامرهم وقالوا : ان القرآن يأمر المسلمين ان يطيعوا الله وان يطيعوا الرسول ثم اطاعة اولي الامر منكم ـ اي من الذين هم من امتكم وقومياتكم . والمراد « من اولي الامر منكم » عند المفسرين الشيوعيين هم الحكـــام الشيوعيين في الصين وهم من اهل الصين لا من قوم غيرهم ومعنى «اطيعوا الرسول » هو اطاعة من جاء بالرسالة الشيوعية رحمة لطبقة الكادحين. ومعنى اطيعوا الله هو الخضوع الكامل لمن يستحق العبادة من كبـــار الزعماء الشيوعيين ورئيسهم الاعلى هو ماو تسي تونج . كل هذا هو من امر الله كما جاء في قرآن المسلمين . فالمسلمون الذين كانوا يرفضون قبول تفسير شيوعي لهذه الاية الكريمة من القرآن حرموا من وسائل المعيشــة اولا ثم من الحياة في النهايــة .

ان الشيوعيين في الصين كانوا يهدفون بنشاط هذه الجمعية الاسلامية الى تحقيق هدفين اثنين احدهما هو تقييد حركة المسلمين بواسطة هــذه الجمعية وتحديد نشاطاتهم المتنوعة التي كان يمكن ان تتوسع الى الميادين الاخرى حسب رغباتهم او الى المدن الاخرى من البلاد . والثاني هو تقوية الدعاية الشيوعية في البلدان الاسلامية بواسطة هذه الجمعية وقد كانت تعمل على النحو الاتي :

أن الزوار المسلمين الذين وردوا من البلدان الاسلامية في الشـرق الاوسط وغيرها مثل سوريا ومصر والعراق والباكستان واندونيسيا وغيرها كانوا يتلقون معلومات معدة من قبل هذه الجمعية تقول فيها :

« ان المسلمين في الصين الشيوعية لهم حرية كاملة في ممارســة شعائرهم الدينية والعادات وذلك بالاشارة الى وجود عدد كبير من

المساجد والمراكز الاسلامية في ارجاء الصين وبالامكان ان يشاهدوا هـذه المعالم الاسلامية بأعينهم ان رغبوا في ذلك »

بيد ان الحقيقة المرة الكامنة في هذا الاسلوب الرائع هي ان الحكام الشيوعيين لم يستبقوا هذه المساجد القديمة في حالة جيدة ولم يعمروها من جديد ولم يبنوا مراكز اسلامية في مدن كبرى سياحية الا لتضليل كبار المسلمين الذين جاءوا لزيارة الصين الشيوعية وايقاعهم في انطباعات خاطئة بأن السلطات الشيوعية تحترم الشعائر الاسلامية وتشجع على تنشيطها الى حد كبير . لقد كان عدد غير قليل من الزعماء العرب الذين زاروا الصين الشيوعية في السنوات الاولية من عهدها ، من امثال الشيخ حسن الباقوري وزير الاوقاف في مصر والاخرين قد وقعوا في هذا التأثير ورجعوا بانطباعات خاطئة مضللة للعالم الاسلامي بعد الزيارة التي قاموا بها الى الصين الشيوعية قائلين على الملأ ان السلطة الشيوعية تمنح قدرا كبيرا من الحرية في العقيدة والعمل والعبادة والقيام بشعائر دينية للمسلمين في البر الصيني . هذا من جهة .

واما من الجهة الاخرى فقد امر الحكام الشيوعيون هذه الجمعية بطبع مجموعة من الرسائل والكتب باللغات العربية والانجليزية والصينية عن نشاط المسلمين في كل النواحي من الحياة في الصين الشيوعية على نفقات الحكومة ، بغية اطلاع المسلمين في البلدان الاسلامية بأن المسلمين في الصين الشيوعية لهم حرية تامة في شؤونهم الدينية والامور التي تتصل بحياتهم الدينية او الدنيوية . وبدلا عن كل هذا ، قد اظهر الحكام الشيوعيون امام الناس ــ الجماهير المسلمين في انحاء العالم بأن المسلمين في الصين الشيوعية وجدوا تشجيعا وفرصة طيبة لتحسين اوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورفاهية العيش . وقد قيل لهم انهم ــ اي المسلمين الصينيين ــ قد تحرروا بهذا الطريق سياسيا وفكريا وثقافيا من الان فصاعدا . لانهم قد نالوا الحكم الذاتي في مناطقهم الخاصة ــ الامر الذي لم يتصوروه ولم يسلموه فيما مضى ابدا . وعلى هذا الاساس امروهم بتوزيع تلك الكتب والرسائل الخادعة المضللة بين الزوار المسلمين الذين وردوا من الخارج او ارسالها الى السفارات الشيوعية في البلدان الاسلامية للتوزيع على الجماهير فيها ، تجليلا للنعمة الشيوعية وبركات الحكم الشيوعي التي يتنعم بها المسلمون في الصين الشيوعية الان . لكنه قد ثبت ان كل ما قد ظهر كبركات للمسلمين في ظل الحكم الشيوعي في الاشهر الاولى من عهدهم اصبح فيما بعد فعلا ، سما قاتلا لحياة المسلمين

ولم يتنبهوا الى ذلك في وقته . واما الان فانهم الاوان في ادراك هـــذه الحقيقة المـــرة .

اهداف الجمعية الاسلامية في الصين الشيوعية :

واذا سئل ما هي الاهداف التي لاجلها كونت تلك الجمعية الاسلامية في الصين الشيوعية ؟ فالى القراء بعض ما جاء في تقرير سكرتيرها العـــام ــ ما يو كوي ــ المرفوع الى مجلس الجمعية التنفيذي في نوفمبر ١٩٥٥ م قال فيـــه :

« ان الجمعية قد كملت الاعمال التالية خلال السنتين الماضيتين عقب تشكيـــلها :

١ ــ انها قد وضعت تخطيطا لازما لاصلاح التعليم الديني الاسلامي على اساس « حب الوطن والحرية الدينية » وفقا لسياسة الدولة في الصـــين الشيوعية .

٢ ــ انها قد عملت الترتيبات اللازمة لاستقبال الزعماء المسلمين الذين وردوا من البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط وجنوبي شرق اسيـــا لزيارة الصين الشيوعية والترحيب بهم والحفاوة بهم وتقديم الخدمـــات اللازمة لهم مدة اقامتهم في الصين ، فضلا عن تزويدهم بالمعلومات اللازمة عن اوضاع المسلمين في الصين الشيوعية المتحررة .

٣ ــ انها قد ارسلت بعض اعضائها العاملين الى مؤتمر باندونـــغ بأندونيسيا ضمن الوفد الحكومي الصيني كما قامت بارسال وفد الى مؤتمر السلم العالمي الذى عقد فى هلسنكي .

٤ ــ انها قد بعثت ببعثات الحج الى مكة المكرمة في سنة ١٩٥٥ وتعقد النية على تكرار ارسال بعثات الحج اليها في السنوات القادمة على نفقة الحكومة وذلك لتوثيق العرى مع البلدان الاسلامية اثناء موسم الحج وبعد الموســـم

٥ ــ ان الجمعية قد قامت بترجمة دستور الصين الشعبية الى اللغة العربية وقامت بطبعه في بكين كما طبعت القرآن باللغة العربية على المطبعة الحكومية مع وضع تفسير له باللغة الصينية على ضوء المادىء والنظريات الماركسية والشيوعية .

٦ ــ انها قد اخرجت افلاما عن حياة المسلمين ونشاطاتهم في بكين خاصة وفي انحاء الصين الشيوعية على وجه عام مع شرح باللغات الثلاث العربية والصينية والانجليزية كما قامت بطبع الكتب ونشر المجلات بتلك اللغات الثلاث تنوه فيها بحياة المسلمين ونشاطاتهم في الصين الشعبية المتحررة . » كل هذا قد جاء في تقرير الجمعية لعام ١٩٥٥ م .

ان من يقرا ما يتخلل بين السطور من هذا التقرير ، يظهر امامه واضحا ان الجمعية المذكورة اعلاه لم تشكل الا لان تكون اداة فعالة للدعاية الشيوعية الصينية الرامية الى تخدير شعور المسلمين في الداخل وخدع العالم الاسلامي بالخارج وذلك عن الكتب والرسائل التي تصدرها باللغات الثلاث المذكورة .

ان التفسير الذي وضعه اولو الامر في الجمعية للقرآن الكريم وفقا للنظريات الماركسية والمباديء الشيوعية هو بالذات سلاح حاد يستخدمه الشيوعيون في هدم اركان الاسلام في البر الصيني على وجه خاص وفي العالم الاسلامي على اوسع نطاق .

ب ــ الحكم الذاتي لاقليات المسلمين يعني عزلهم في مناطقهم الخاصة في البر الصيني :

ان التدبير الثاني الذي اتخذته السلطة الشيوعية لافناء المسلمين في الصين الشيوعية هو اجراء سياسة عزلهم وحصرهم في المناطق الخاصة بهم تحت عنوان خادع جميل يعرف بمنح الحكم الذاتي المحلي لاقليات المسلمين في المناطق التي يقطنونها . وهذا الترتيب مهد الشيوعيون طريقا لتقييد جماعات صغيرة من المسلمين ان يعيشوا في اجزاء منعزلة متباعدة بعضها عن بعض في المناطق المقطوعة الصلات فيما بينهم الى الابد . ونتيجة لذلك عزلت جماعات مسلمة في اماكن متفرقة متباعدة لا لقاء لهم في المستقبل ابدا . فلا حياة لهم اذن من جمع شتاتهم وتوحيد صفوفهم في جماعات اكبر للنهوض بحياتهم او تحسين احوالهم دينيا واجتماعيا .

عملا في هذه السياسة التي تبدو في الظاهر جميلة لطيفة للغاية ولكنها فتاكة لبقاء المسلمين في الواقع . قامت السلطة الشيوعية بتقسيم المسلمين في جميع انحاء الصين الشيوعية الى فئات تالية حسب صلاتهم السلالية او الدموية :

١ ــ الهوى : (١)	٣ر٥٥٠ر٠٠٠	نسمة
٢ ــ الكازاك :	٥٠٠ر٠٠٠	نسمة
٣ ــ الاويوغور :	٣ر٥٤٠ر٠٠٠	نسمة
٤ ــ تونج هسيانج :	١٥٠ر٠٠٠	نسمة
٥ ــ القيزغيز :	٧٠ر٠٠٠	نسمة
٦ ــ السالار :	٣٠ر٠٠٠	نسمة
٧ ــ الاوزبك :	١٣ر٠٠٠	نسمة
٨ ــ التاتار :	٦ر٠٠٠	نسمة
٩ ــ الناجيك :	١٤ر٠٠٠	نسمة
١٠ ــ باو ــ آن : (٢)	٤ر٠٠٠	نسمة

بعد تقسيم المسلمين الى هذه الفئات منح لهم فعلا كما جاء في الانباء الحكم الذاتي المحلي شكليا في المناطق التالية :

١ ــ حكم المنقطة الذاتي للمسلمين الاويوغوريين في ولاية سنكيانج .

٢ ــ حكم المنطقة الذاتي لسلمى الهوى بقرب عاصمة ولاية نينج هشيا .

٣ ــ حكم المنطقة الذاتى للمسلمين في مدينة لينج شيا بولاية قانصو.

٤ ــ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في اينج تشوان بولاية نينج هشيا.

---

(١) الهوى اي المسلمون الذين ينتسبون الى الجنس الصيني الخاص . فالمسلمون داخل الصين كلهم يعرف بهذا الاسم .

(٢) ان السلطة الشيوعية قد خفضت مجموع عدد المسلمين في جميع انحاء الصين الى عشرة ملايين فقط بالرغم من ان عددهم في الصين قبيل استيلاء الشيوعيين عليها قد قدر بما يتجاوز عن ٤٠ مليون نسمة . وان تخفيض عدد المسلمين من ٤٠ مليون الى ١٠ ملايين ، ان دل على شيء ، يدل على ان عددا هائلا منهم قد لاقوا حتفهم على ايدي الشيوعيين عن طريق التقتيل او التشريد او ابعادهم الى اماكن مجهولة . وهذا التخفيض يرمى الى تقليل اهمية المسلمين في الصين الشيوعية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

٥ ـ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في كويانج بولاية قانصو .

٦ ـ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في جنوب لانج تشو بولاية قانصو.

٧ ـ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في وو ـ تونج بولاية قانصو .

٨ ـ حكم المنطقة الذاتي لمسلمي الكازاك في سنكيانج .

٩ ـ حكم المنطقة الذاتي لمسلمي القرقيز في كجلص بولاية سنكيانج.

١٠ ـ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في شانجي بولاية سنكيانج .

١١ ـ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في واي نينج بولاية كوي تشو .

١٢ ـ حكم المنطقة الذاتي للمسلمين في يو تشو بولاية يوننان .

١٣ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في تاتانج بولاية هو به .

١٤ ـ حكم المنطقة شبه الذاتي للمسلمين في مون نينج بولاية هو به .

١٥ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي لمسلمي تونج هبسيانج في ولاية قانصو

١٦ ـ حكم المنطقة ألشبه الذاتي لمسلمي الكازاك في قانصو .

١٧ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في تشانج كيا تشوان بولاية قانصو .

١٨ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في تشي يوان بولاية قانصو

١٩ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في شوان هوا في ولاية تسنغاي .

٢٠ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في شون خوا بولاية تسنغاي .

٢١ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في يانج تشي بولاية سنكيانج .

٢٢ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي لمسلمي الكازاك في بالكون بولاية سنكيانج .

٢٣ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في التاي بولاية سنكيانج.

٢٤ ـ حكم المنطقة الشبه الذاتي للمسلمين في تاشفور جان بولاية سنكيانج .

علاوة على ما ذكرناه من مناطق الحكم الذاتي للمسلمين ، هناك تجمع المسلمين في المدن والقرى الكبيرة التي منح لها الحكم الذاتي ايضا . ولكن الحقيقة انه بالرغم من وجود هذه القائمة الطويلة لمناطق الحكم الذاتي للمسلمين في الصين الشيوعية ، لا نجد اي ذكر عن المسلمين في ولايات سيتشوان وكوانسي وهونان وكيانسو وشانج تونج وشانسي وشنسي وكيرين وخيلو نكيانج وغيرها من الولايات ، علما ان هناك في هذه الولايات عددا غير قليل من المسلمين من بين مجموع سكانها البالغين عشرة ملايين نسمة فماذا حدث لهم وماذا وقع عليهم بعد استيلاء الشيوعيين على البر الصيني ؟

وعلى كل فان هذه المناطق او المديريات الخاصة التي فيها الحكم الذاتي للمسلمين لم تبق مدة طويلة حتى زالت من الوجود لان السلطة الشيوعية قد ذهبت بها عن طريق التصفية والتطهير والاجراءات الخانقة على حياتهم .

من هذه الاجراءات ما يسمى عند الشيوعيين « الاصلاح في دين الاسلام » وفقا للتعليمات الصادرة من القيادة الشيوعية العليا في يناير ١٩٥٩ م الى جميع مناطق الحكم الذاتي للمسلمين والذي يفرض على المسلمين ان يتبعوا التوجيهات التالية :

١ ــ على المسلمين ان يتركوا القيود او الشروط الدينية المتعلقة بالزواج لكي يتمكن المسلمون وغير المسلمين ان يتعاقدوا زواجا مختلطا بغية توليد جيل جديد ينسون تلك العادات او التقاليد الدينية التي كانت رائجة بين المسلمين منذ قرون وذلك في سبيل اكتمال الدولة الشيوعية القائمة على النظريات الماركسية .

٢ ــ على المسلمين الذين لا يمسون لحوم الخنزير حسب القيود الدينية ، ان يتجربوا تدريجيا ، باستخدام هذه اللحوم في طعامهم اليومي لكي يتعايشوا مع غير المسلمين وهم اغلبية ساحقة في البلاد ، تعايشا اكثر تفاهما وتقاربا اجتماعيا في الحياة اليومية العادية .

٣ ــ على المسلمين عدم استعمال القماش الابيض في لف موتاهم لغرض الدفن . لان ذلك يسبب ضياعا كبيرا للإقمشة اللازمة لصناعة الملابس للاحياء .

واما الاجراء الثاني الذي وضعه الشيوعيون لخنق حياة المسلمين فهو ما يسمى « نظام الكوميونات » . ان هذا النظام يفرض على جميع السكان كبيرهم وصغيرهم ، ذكورهم واناثهم ان يعيشوا عيشة جماعية في المديريات او القرى الخاصة بهم او بالاتفاق مع سكان المديريات الاخرى في المناطق القريبة في وحدات من الكوميونات . اي يقضون فيها حياة جماعية كما في المعسكرات او شبه المعسكرات من حيث ان يعمل كل فرد فيها لصالح تلك الوحدة التزاما طالما يعيش فيها . ونتيجة لذلك يجب على كل فرد من افراد الوحدة ان ياكل في المطعم المشترك وينام في عنابر مشتركة كجنود الجيش . فحياته من الان فصاعدا تشابه حياة الجيوش في المعسكرات بدون ادنى فرق .

لم يكن هذا كله . بل كل فرد يعيش في الكوميون الان لا يحتاج الى بيت او منزل خاص له وكل ما قد امتلكه من عقارات واملاك منقولة او غير منقولة اصبح جزئا من ممتلكات الكوميونات التي يعيش فيها . وهذا يعني ان كل فرد يعيش في الكوميون اصبح محروما من الملكية كما يحرم من شراء املاك جديدة .

واما المسلمون الذين كانوا يعيشون حتى الان عيشة اسلامية في الصين فقد ادركوا ادراكا واقعيا بدون اي شك او غموض . انهم لا يرون طريقا الى استبقائهم مسلمين بعد فرض حياة الكوميون عليهم . بالاضافة الى انهم مكرهون على قبول الزواج المختلط والتعود على اكل لحوم الخنزير والمعيشة في وحدات الكوميونات كغيرهم من المواطنين . لان هذا النظام المشؤوم يمنعهم من تادية شعائرهم الدينية ويحرمهم من اقامة طقس ديني في الوحدة جماعيا او فرديا كما يفرض عليهم ان يعيشوا عيشة عادية كسائر الصينيين الشيوعيين في الكوميونات .

ج ـ مصير الاوقاف والمساجد والمسلمين في الصين الشيوعية :

لا يخفى على العالم الاسلامي ان المسلمين في الصين كانوا يعتبرون المساجد مراكز لحياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية . فان المساجد هى الاماكن التي يأوي فيها الائمة ـ الرؤساء الدينيون والقائمون بالخدمات الدينية . كما انها كانت مراكزا لتجميع المسلمين لاغراض شتى . انها اماكن العبادة والصلوات كما انها كانت تستخدم كالمدارس لتعليم القرآن والشرائع الاسلامية لابناء المسلمين ويقيم فيها الاساتذة والمدرسون وكذلك

الطلبة . انها كانت تقوم في اغلب الحالات وتحيى على ريع الاوقـــاف التي وقفها الاغنياء واصحاب الخير في الازمنة المختلفة لادارة شؤون المساجد والمدارس . وكانت هذه الاوقاف قد تكون املاكا منقولة او غير منقولة من الاراضي والبيوت او العقارات او المزارع . فيصرف ريعها على القيام بشؤون المساجد والمدارس في المناطق التي فيها المسلمون – في دفع الرواتب للمدرسين والمعلمين واعاشة الطلبة الذين يقيمون عادة داخل المـدارس ويتلقون التعاليم الاسلامية فيها مجانا . وكان كل هؤلاء يتلقون مساعـدات مالية او عينية من اوقاف المساجد والمدارس الاسلامية حسب العادات والتقاليد المحلية .

لكن كل هذا تغير بعد ما جاء الشيوعيون ووضعوا ايديهم على المساجد والاوقاف فاستغلوها لاغراض شيطانية الحادية . فبرنامج اصلاح الاراضي الذي اجراه الشيوعيون في ارجاء البر الصيني كان يفرض مصادرة الامـلاك العقارية وتصفية الملكية الخاصة وممتلكات المنظمات الخاصة . وبتنفيذ قانون اصلاح الاراضي على الطريق المذكور اعلاه قد ذهبت اوقاف المسلمين مع التيار الطغياني وغابت في جريان الاحداث العاصمة . فلما راى الاساتذة والمعلمون والائمـة والقائمون بشـؤون المسـاجد والمـدارس انهم محرومون من موارد المعيشة ، اضطروا الى ترك المساجد يضربون في الارض ويطلبون الوسائل للخبز في اماكن اخرى . انهم يجبرون تحت الظروف القاسية على ان يتفرقوا الى اماكن مجهولة لا يسمع عنهم من بعـد شيء ابدا . ربنا ارحمهم واحفظهم وانقذهم من المصائب والمآسي .

واما فيما يتعلق بمصادرة الاوقاف من قبل الشيوعيين واثر ذلك على تفريق الاساتذة والطلبة والقائمين بأمور المساجد والمدارس الاسلامية اذكر هنا مثلا واحدا لاثبات حقيقة الامور وشهادة على الوضع الواقعي بهـذا الصـــدد .

ان جامع سي نينج بولاية نينج هشيا كان يملك خمسة عشر – ١٥ – هكتار من الاراضي الزراعية يدر ريعها على القائمين بأمور الدين بـين « جماعة » المسلمين المنتسبة للجامع المذكور . وكان يحصل من المـزارع الموقوفة ١٤٠٠٠٠ كيلو من القمح وكمية كبيرة من الحبـوب الغذائية الاخرى في شكل ايجار سنوي . وكان الجامع يستخدم هذه الموارد لاعاشة ٢٠ من الطلبة والمعلمين والقائمين بأمور الجامع بمن فيهم الامام والخطيب والمؤذن وعدد من الخدم والفراشين وهم كانوا يسكنون داخل الجامع .

فلما جاء الشيوعيون وفرضوا نظام اصلاح الاراضي على البلاد صودرت هذه الاملاك والاراضي الزراعية الموقوفة ضمن المصادرات العامة فجرفت مع التيار الطغياني الشيوعي . وعندئذ حرم الجامع ومن يعيش على الاوقاف من الطلبة والمعلمين والقائمين بأمور الجامع من موارد الدخل . ونتيجة لذلك اضطروا الى ترك الجامع قاصدين اماكن اخرى حيث يتيسر لهم ان يجدوا وسيلة للعيش . وبذهابهم اصبح الجامع مهجورا موحشا وبقي في الظلام القاتم بدون النور .

من هذا المثال الوحيد تستطيع ان تتصور حالة المآسي التي كان المسلمون في الصين يعانونها في المدن الاخرى في انحاء الصين الشيوعية على ايدي الحكام الشيوعيين . ويمكن إن يقال ان المساجد في كانتون وشنغاي وبكين وارومجي ما زالت باقية في حالة جيدة يتولى امورها القائمون بالشؤون الدينية على ما يبدو . لكن هذه المساجد تبقى في الحقيقة كشبابيك العرض لوجود الاسلام في الصين الشيوعية ليؤثروا بها على الزوار المسلمين الواردين من البلدان الاسلامية بدعوة الحكومة الشيوعية بغية اقناعهم بأن الاسلام يجد مكانا محترما لدى النظام الشيوعي في الصين وله « مستقبل عظيم » ان سار مع المباديء الشيوعية فيه . ولاجل ذلك ابقيت هذه المساجد التاريخية في حالة جيدة وتفتح ابوابها للضيوف الكرام الذين جاءوا من البلدان الاسلامية من الشرق الاوسط وجنوبي شرق اسيا . وطبعا ان الضيوف لا يزورون هذه المساجد الا بمعية المراقبين الشيوعيين .

ان تقويض الاسلام في الصين الشيوعية سيتم في مرحلته الاخيرة . رغم استمرار مقاومة المسلمين في اماكن متفرقة في اجزاء الصين المنعزلة . فمثلا في الختن بجنوب سنكيانج حيث وقع نحو عشرة الاف من المسلمين ضحايا على ايدي الشيوعيين ، نتيجة لحصار اقتصادي ضرب على المسلمين في تلك المدينة النائية . وبعد ذلك قام المسلمون في كاشغر بحركة عصيانية قوية في اب ١٩٥٧ ضد الشيوعيين نتيجة لاجبار البنات والسيدات المسلمات على ان يعشن مع الشبان الشيوعيين في المعسكرات القائمة في ضواحي المدينة . لقد مات في هذه المعركة الوحيدة زهاء ٣٫٥٠٠ مسلما شهيدا في سبيل الحرية والكرامة .

وبعد هذا كانت هناك حروب عصابات قام بها المسلمون بين حين لاخر ضد السلطة الشيوعية في المناطق المختلفة في شمال الصين الغربي بما فيها ولايات قانصو وتسنغاي وسنكيانج . وعلى طول الطرق العامه المتصلة

بين المدن الكبرى في الولايات النائية . فاختار المسلمون اسلوب «مكر ومفر» في حرب العصابات ، يهاجمون الاعداء ثم يفرون الى الاختفاء ثم يظهرون لايقاع ضربات اشد على الاعداء ثم اختفوا وهكذا كانوا يكررون في عملياتهم الحربية ضد الشيوعيين في كل مكان يستطيعون ان يقوموا بها . وفي الحقيقة ان حروب العصابات لم تتوقف في الاماكن النائية في البر الصيني حتى يومنا هذا .

كانت من اشهر المقاومات ضد الشيوعية واشدها عنوة هي الثورة الدموية التي ظهرت ضد النظام الشيوعي في التبت في سنة ١٩٥٩ وقد دامت مدة طويلة متواصلة وانتشرت في قبيلة الخامبا من السكان في جنوب التبت . لقد وقع الاف الالوف من التبتيين ضحية لسيوف الشيوعيين شارك فيها عدد لا يحصى من المسلمين في التبت مقدرات الاتباع لدالاي لاما ـ رئيس الطائفة الدينية التبتية الاعلى . ان الاجراءات القاسية والاساليب الفتاكة التي استخدمها الشيوعيون في كبح هذه الحركة العصيانية ما زالت تتجسم امام اعين الناس مريعة ومهيبة للغاية تقشعر منها الابدان وتخنق الانفاس .

لوجود هذه المقاومات التي قام بها المسلمون ضد الحكم الشيوعي في انحاء البلاد فكر الشيوعيون في تنفيذ نوع جديد من الاعمال الاضطهادية على المسلمين في الصين الشيوعية كلها على وجه عام . فلذا نرى ان الحكام الشيوعيين قد نادوا في ربيع عام ١٩٦٠ م باجراء اصلاح موحد بين جميع طبقات الشعب وافراده بدون تمييز او تفريق . وهذا الاصلاح الموحد هو ما يسمى بتوحيد عقائد افراد الشعب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم وقومياتهم وتوحيد المآكل والمشارب ومراسم الزواج والتصرف بالموتى . فاذا قام المصلون باقامة الصلاة فرديا او جماعيا او اقامة حفلة الزواج وغيرها طبقا للشعائر الاسلامية ، فاعترض عليهم اولو الامر في المحلة وامسكوهم الى ميدان التأديب وعذبوهم حتى يتوبوا عن اقامة الصلاة والشعائر الدينية الاخرى المتعلقة بالزواج او دفن الموتى . وبهذا الطريق كانوا يمحون المظاهر الاسلامية كليا من المجتمعات . فلما ذهبت مظاهر الاسلام من بين المسلمين واختفت آثارها ، ادخلت اركان الاسلام الخمسة وهي الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج الى بيت الله الحرام كلها ، في قائمة التحريم المحظور عند الشيوعيين فبوجب العقاب على القائمين بها بدون شفقة . واذا ذهبت مظاهر هذه الاركان الخمسة وشعائر الدين من حياة المسلمين اليومية ،

يغيب الاسلام عن اذهانهم بمرور الزمان وعن ارض الصين التي دام فيها الاسلام بنوره اكثر من ١٣ قرنا .

ان الشيوعيين اليوم يعتبرون العمل على هذه الاركان الاسلامية الخمسة جريمة من الجرائم الفكرية والاجتماعية وعملية من الاعمال الرجعية التى لا تغفر . بحجة ان الصلاة تضيع الوقت والصوم يضر الصحة وان الزكاة عاملة تساعد على الاتكال على الخيرات والتقلص من العمل الجدي في كسب المعيشة كما تروج عادة للاعتماد على مكاسب الاخرين . ومما لا شك فيه ان جميع الاديان كلها تعاني اضطهادا شديدا في البر الصيني ولكن الاضطهاد الذي يعانيه المسلمون هو الاشد والاعمق والاقسى قد يقضي على حياتهم الدينية والمعنوية كليا .

ولاجل المحافظة على بعض المشاعر من الحياة الاسلامية في الصين الشيوعية قام المسلمون في نيو كاي احد الشوارع التي يسكنها اكبر عدد من المسلمين في مدينة بكين ، بحركة ضد الثورة الثقافية في مارس ١٩٦٧ تحت قيادة جماعة من المسلمين المتحمسين الذين ما زال لهم بعض النفوذ في المجتمع الاسلامي في البلاد . وكان المنظم للحركة هو السيد حسين يانج وين تسنج يسانده الاستاذ محمد مكين والشيخ عبد الرحيم ما سونج تيننج والاخرون من وراء الستار . فجمعوا نحو اربع مائة من المجاهدين في سبيل الاسلام والحرية وهاجموا مركز الشرطة في نيو كاي وقبضوا على بعض رجالها وانزلوا عليهم بضرب اليم . كما ضربوا النطاق على هيئة الحراس الحمر في تلك المنطقة وطردوهم من المساجد ومحلات المسلمين .

فلما علمت السلطة الشيوعية ذلك بعثت بجماعة كبيرة من رجال قوة الامن . فحاصروا المسلمين في محلاتهم وقبضوا على عدد من الزعماء المسلمين وكان من بينهم الشيخ عبد الرحيم ما سونج تينج والاستاذ محمد مكين كما اعتقل فيما بعد بعض الشخصيات البارزة من المسلمين في الدوائر الحكومية الشيوعية ، بتهمة تحيزهم الى جانب المسلمين الرجعيين والقوهم في السجن .



The Mosque of Cow Street, Peiping.

مسجد نيو كاي (سوق البقرة) في بكين من اشهر المساجد واقدمها وكان مركزا للحركة الاسلامية في الصين عبر القرون الماضية .

لقد وردت الينا الانباء من البر الصيني مؤخرا ان الشيخ عبد الرحيم ما سونج تينج والاستاذ محمد مكين قد توفيا في السجن وبوفاتهما والاخرين المتحمسين للدين والحياة الاسلامية في السجن على ايدي السلطة الشيوعية سكت صوت الاسلام في عاصمة الصين الشيوعية وغاب عن ارجائها الواسعة . لا ندري متى يستطيع ان يعود اليها بنبرة اقوى من ذي قبل .

ان الاحداث التي سردناها آنفا تشير الى حقيقة واحدة وهي ان الشيوعية لا تريد ان تبقي اية ديانة في ارضها . فقد ذهبت عنوة بالمسيحية والبوذية واللامائية من ارض الصين تقريبا تماما . واما الاسلام فقد عاش فيها مدة اطول من اي دين آخر وذلك بسبب شدة تمسك المسلمين بأهداب هذا الدين الحنيف ومقاومتهم العنيفة المستمرة ضد الحكم الشيوعى الغاشم حتى السنوات الاخيرة . ومن الامكان ان ينقذ موقفهم اذا وصلت اليهم النجدة المعنوية في وقت مناسب .

ربنا ساعد العالم الاسلامي على اتخاذ ما استطاع من وسائل او تدابير لانقاذهم من مخالب الوحوش الشيوعيين . انك على كل شيء قدير .

(انتهى)

مصادر الكتاب ومراجعه

Abdul Aziz : The crescent in the Land of the Rising Sun, London, 1941. (containing information on Muslim situation in Japan and the foundation of Kobe Mosque) .

Ahmed Ali : Muslim China Karachi, 1949 . (A lecture on the Muslims in China before the Pakistan Institute of International Affairs, Karachi, 1949.)

Bales, W. L. : Tso Tsung-tang, Shanghai, 1937. (Chapters VIII, IX and X contain details on General Tso's Military Operations against Muslim Revolt in Shensi, Kansu, and Sinkiang) .

Boulgar, D. C. : Life of Yakoub Beg, London, 1928. (an important work on political situation in Turkistan and Central Asia at the time of Yakoub Beg.)

Bretschneider, B. V. : Ancient Chinese Knowledge on the Arabs, London, 1929 .

Broomhall (Marchall) : Islam in China, London, 1910 (containing discussions on early relations between Arabs and China, Muslim Population , mosques in Canton and Sian and Muslim Revolts in Yunnan, and Northwest China.)

Chang Hsin-Lang: Collection of Historiacal Materials on Relations Between China and the West: Part III, between China and Arabs and Part IV between China and Persia. Catholic University, Peiping.)

Chao Ju-kua : Chu Fan-chi ; In this book Chae, a Custom Officer of the Sung Dynasty gave much information on trades carried by Arabs and Persians in China in 12th and 13th centuries) .

Ching Chi-tang: Studies on the Muslim History in China. Peiping, 1935. (in Chinese), first book written by a Chinese Muslim on Muslim History in China, up to the end of the Ching Dynasty.)

Fadallah, Rashiduddin : (Jami'ul - Tawarikh in Persian) ed. by R. Blochet, Gibb Series, London, 1911.)

" Friends of Moslems " a Quarterly News - letter (1925-1949) ed. by Mrs C. L. Pickens, giving confidential information on missionary activities among Chinese Muslims in various places in China, It was the official organ of the Society of Friends of Moslems in China and stopped to appear since the Communists come to power.

Fu Thong-hsien : (   ) : Chinese Muslim History, Changsha, 1940. containing details on Muslim conditions, during the Republic period up to 1939.

Fleming, P. : News From Tartary : London, 1936. London Times correspondent visited Sinkiang during 1935 and gave information on political situation in Sinkiang during Governor Ching Shu-zen and Shen Shih-taai's terms of office.

Gibb, R. A. R. : Ibn Batuta Travels in Asia and Africa : Selected translations, London, 1953.

Moslems in China : Ed. by China Islamic Association, (Peking) 1953 with 100 pages of pictures showing Muslim life and activity in Communist China , and 12 pages of Introduction in Chinese, Arabic and English.

Pei Shao-yi : ( ) : Collection of Materials on Muslim History in China, Shanghai, 1948, containing important historical documents extracted from Chinese dynastic official histories , and some research articles, published before 1948, on Muslims in China.

Rocher, E. : La Province Chinoise du Yunnan, Paris, 1880, Part II dealing with Muslim Rebeliion in Yunnan.

Rookhill W. and Hirth, F. : Chao Ju-kua : His Work on the Chinese and Arab Trade in XII and XIII centuries, St. Petersburg 1911.

Sulaiman Al-Sirafi and Abou-Zaid : Silsilat Al-Tarikh (سلسلة التاريخ) Paris, Imp. Royale, 1845. 2 vols .

Shiao Yi-Shan : (   ) General History of the Ching Dynasty, Shanghai, 1927.

Vissiere, A. Recherches sur les Musulmans Chinois. (Mission D'Ollone 1906-1909), Paris, 1911 containing research studies on Muslims in Yunnan, Sechuan, Kansu and Turkistan.

« « « Studes Sino-Mohammetans : 2 Vols. Part I dealing with Sayyid Edjell and His Irrigation Works in Yunnan, and Part II including Studies on Muslim Inscriptions in mosques, on Muslim in Rangchow and Muslim Literature.

Articles :

Chang Chi-chung : Dilema of Sinkiang in «Pacific Affairs», Dec. 1947. PP. 425.

Chinese Year-Book Chungking, 1948, Muslims in China pp. 34-36.

Hoover Jr., Lymann : China's Muslims Must Choose, in « Asia and Americas (AAA) 1938 pp. 273-275.

« « « Chinese Muslims Are Tough : AAA 1938 pp. 719-722.

Issa Yusuf : Radio Statement, New Delhi, 1950, on conditions in Sinkiang pior his flight to India.

Kin, John : Allah Flays Japan : AAA, 1942 pp. 163-171.

Parey A : Japan Courts Allah : AAA, 1942 pp. 172-174.

Yang Ching-chih : Japan : Protector of Islam , « Pacific Affairs » Dec. 1942 pp. 471-479 ; and also in « Friends of Moslems » , Jan, Ist. 1943 , pp. 3-6.

Sinkiang Survev : Special Number of « Far Eastern Surtey », March 10,1948.

Al-Musawwar, Cairo. June, 3, 1955. pp. 9-13 containing information on Sheikh Hasan Al-Bagori' visit to Pelping.

فهرست الكتاب

صفحة


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب البيوع

صفحة من كتاب الفقه الاسلامي ـ المعاملات
عليها الحواشي مكتوبة بقلم رفيع في الصين
قبل الحكم الجمهوري

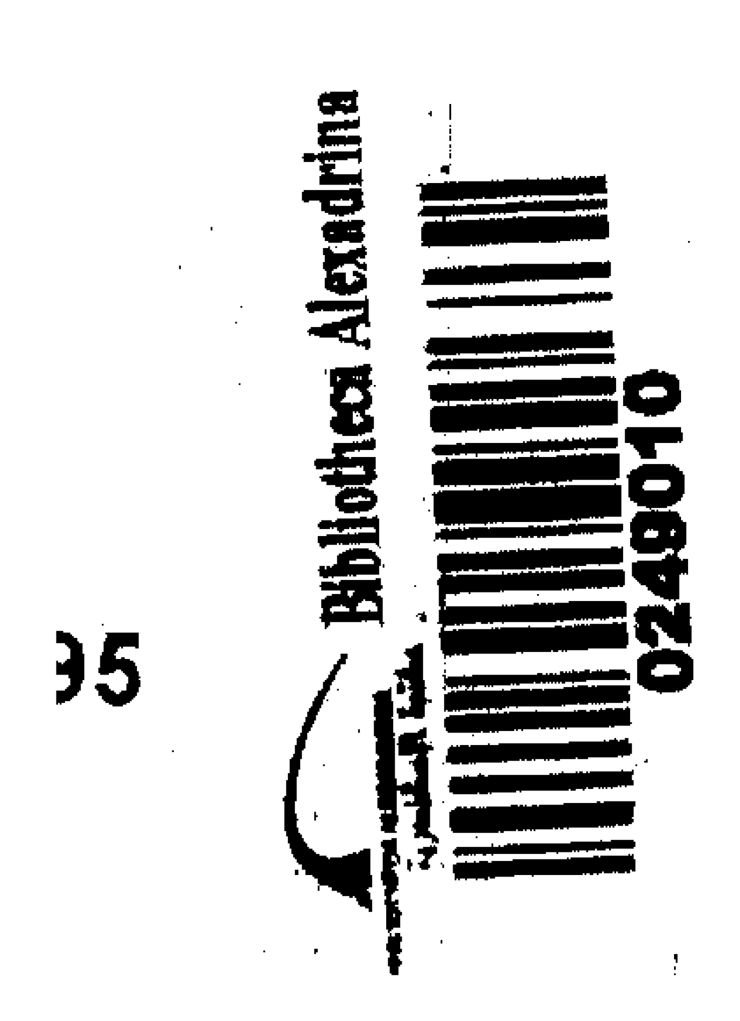
HISTORY OF MUSLIMS IN CHINA

Past and Present

BY

BADRUDDIN W. L. HAI

Counsellor of Chinese Embassy - Jeddah



PRINTED IN INCHA PRESSE

TRIPOLI - LEBANON

PRICE : L. L. 5